

Great Persians

رواية

الفرس الأعظم

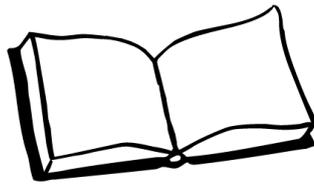
عوني صادق

الفرس الأعظم¹

Great Persians

رواية

عوني صادق



قصص وحكايات
للتنشر الإلكتروني

دار

kesasandhekayatpub.blogspot.com

¹ Great Persian(*) "جرت رشنس" كوكب يتبع درب التبانة"

العنوان: جرت رشنس_ الفرس الأعظم

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: عوني صادق [\(نبذة\)](#)

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحي

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

[الموقع](#) [الصفحة](#) [الجروب](#)

-1-

ليلى أبو زيد

تنازعي التفاصيل الشاردة، ويترصّد وعي ما علق منها في الذاكرة، حتمًا عليّ
أن أقولها لكم.
حبيبي جلال..

هكذا اتفقت معك -وكما تمنينا دومًا- أن نعود إلى فيلتنا القديمة. التي لا تزال
على حالها، الحديقة، والهول الفسيح، والمكتبة الكلاسيكية التي أحتفظ على
رفوفها بمخطوطات رواياتي الأولى -التي لم تر النور- وغُرف النوم العلوية
الفسيحة، نعم تقدمت بنا السنُّ، ونهياً لبداية سعيدة، بعد أن يتزوج أولادنا
ونستعيد ذكرياتنا مع أحفادنا.

ولكن...!

قبل شهرين وصلني الخبر الذي قلب حياتي، عاودك المرضُ ونُقلت من مكتبك
إلى المستشفى في حالة حرجة، كنتَ دومًا تطمئنني، وأطمئن نفسي، أطارد
الهواجس اللعينة، فلم تكن قد وصلتَ بعدُ مع المرض إلى هزيمة مسلم بها. لكن
مع تقلُّب ظروف السوق الأخيرة، وخسائرِكَ لصفقات عوّلت عليها، ساءت حالتك
كثيرًا؛ ومع ذلك كنتَ مبتسمًا وقلت لي في آخر مرة مداعبًا، بعد عودتك من لندن
بعد رحلة العلاج طويلة..

ستتكفل نوبة اختناق بالمهمة.

دقّ قلبي بشدة، وغضبت منك، وعاتبتك كثيرًا.. كيف نطقها يا جلال، وهل أنا لي حياة من بعدك؟ وأنا أنظر إلى وجهك، لحظتها شعرت.. شعرنا معًا بأن زلزالًا أطاح بي إلى أرض، وسماء أخرى، إلى كوكب بعيد يدور في سديم هائل.

وأنا أقود سيارتي غلبتني دموعي. فلم أرَ أمامي. وكدت أصطدم برجل قطع الطريق فجأة، انحرفتُ عنه في اللحظة الأخيرة، اضطرب قلبي أكثر، فالحياة قد نفقدها فجأة، مجرد حادث عارض، نموت ويوارينا التراب، كنت أشعر بالأمك التي تعاني منها، منذ الذبحة الصدرية الأولى التي هاجمتك، بعدها غشيننا الكثير من المستشفيات، وسافرت للعلاج، لإجراء عملية القلب المفتوح، وعند عودتك بعد ثلاثة أشهر، استقرت حالتك قليلًا، ثم عانيت من مضاعفات خطيرة، نُقلت إلى المستشفى في حالة خطيرة، ولحقتُ بك، صعدت إلى الطابق الثالث، هرولت عبر الردهات ولم تكفّ دموعي حتى وصلت إلى غرفتك في المستشفى الخاص.. جميلة، مرتبة، نظيفة، تناسب عبر ممراتها موسيقى أحبها كثيرًا، كنت تقول لي، وأنت تدير أسطواناتها:

- اسمعي هذه القطعة لموزارت، ولكن باخ أضاف عليها من السلم الخماسي ثلاث جمل موسيقية، أضفى عليها شجنًا غجريًا حزينًا، أما بيتهوفن فله إبداع خاص، استوحى محمد عبد الوهاب منه الكثير في أغانيه.. أسمع الجندول، ومقدمة أنت عمري، كنت أسمع صوتك في هذه اللحظات السعيدة، لكنني الآن اسمعها موسيقى حزينة.. تنعي لي مأساتي، وانتابني شعور بالكارثة الكبيرة التي ستحل بي، ها هي تباغتني.

قدّم لي الطبيب صورة قلبك على شاشة معتمة، جلست على حافة المقعد أمامك، استقرت عيني، لا تريد أن ترى غيرك، أنظر إلى الأجهزة، والأنابيب التي

تتصل بعروقك، تحرك الدماء فيها ببطء ليظل قلبك ينبض، وتتنفس. قلبك الكبير الآن يبدو ضعيفًا مهالِكًا، لم أشأ أن أفارقك، وددت أن أقضي البقية القليلة الباقية من حياتنا معك إلى جوارك، رغم يقيني الذي حتمًا أكذبه هذه اللحظة، بأنك تبتعد عني، تقترب من فوهة عالم آخر، لا تشعر بي ولا بشيء.. ضعيفًا مستسلمًا، حتى يدي المعلقة بكفك الباردة لم تشعر بها، تنبئ برودتها بالنهاية، تمنيت ودعوت الله أن أحظى منك بنظرة أخيرة، أثبت لك كلمة وداع وأنطقك الشهادة، ثم تغمض عينيك، أخذتني غفوة، أطبقت جفني على صورتك، ورأيتك تضغط على كفي، وتودعني بابتسامة أضاءت وجهك الشاحب، فتحت عيني، ولكنك كنت على حالك، مستسلمًا لنوبة هدوء.

بعد ساعة لحق بي هاني، سلم نوبته في ديسك المجلة لزميلته لبنى الشرقاوي، ثم جاء ماجد من مصانع شبرا الخيمة قبل منتصف الليل، في الصباح حاولنا مرارًا الاتصال بابننا الأكبر القبطان سامح دون جدوى، يقينًا كان في بقعة بعيدة، خارج تغطية أقمار الاتصال، قال قبل سفره منذ أشهر.. إنه سيعبر بحر الشمال بصحبة فريق بحثي؛ لإجراء تجربة عن الاحتباس الحراري، جلسنا قبالتك ندعو الله أن يمنحنا القدرة على تحمل فراقك. ولكن... افترقنا.

بعدها انطفأ بداخلي كل شيء، إلا من رغبة فاترة تسللت إلى نفسي المعتمة، فتشبثتُ بها.. سأدوّن ذكرياتنا معًا.. ولكن..

بعد أيام العزاء قررت العودة إلى فيلتنا بمفردي، أعيش مع ذكرياتنا معًا، أخرج أوراق. رواياتي الناقصة لأكملها، كلماتنا، صورنا، وصور صغارنا، فلنا ذكرى في

كل ركن. في كل غرفة.. ظلال الجدران.. الشرفات، لنا مع قطع الأثاث التي تخيرناها معاً من المزدادات، منذ أكثر من ربع قرن، أزلت الأتربة عن الحوائط المزينة بصورة زواجنا، وصور أولادنا وهم صغار.. وفتية.. وشباباً أخشى عليهم من الحسد، لي مع كل هذه الأشياء ذكرى، حتى أشجار الحديقة.. أصص الزرع، في تراس الهول الواسع، قصاري الورد والقرنفل في الروف الملحق بغرفة نومنا التي شهدت أمتع لحظاتنا.

قلت لماجد وهاني:

- كل منكم يعود إلى شقته.

اعترضاً، فقلت لهم:

- أرجوكم، هذا ما اتفقنا عليه أنا وأبوكم قبل وفاته.

- ماما.

قلت في نفاذ صبر:

- لا تُتعبا قلبي.

قال هاني:

- تحمّلينا بعض الوقت.

وقال ماجد:

- إلى أن يأتي سامح، ونكون معاً لنهون عليه فقد أبيننا.

هكذا في وقت قصير انقضت علينا تعاسة مزمنة أخرجت حياتنا عن مسارها

إلى صحراء قاسية، وانحرفت أحداث روايتي إلى مأساة، لم أستعدّ لها.

.....

عزيزي جلال.

نزلت هذا الصباح لاستقبال زائر لم أراه من قبل، ولم يرد اسمه على لسانك قط -سرحان عبد الشفيح- وصل لتوّه بعد مهاتفة مقتضبة ليلة أمس، جاء للتعزية، وحاملاً رسالة محددة وخطيرة.

جلس قبالي، وألقى بمظروف على المائدة، وقال:

- سأوفر عليك التفاصيل المزعجة، المرحوم مدين بمبلغ ضخّم، ورهن

كل أملاكه قبل وفاته لإحدى الشركات العملاقة.

وضع فنجان قهوته على المائدة، واستأنف حديثه:

- جرت رشنس "Great Persians" شركة استثمارية عملاقة، متعددة

الجنسيات، تطالب بفلوسها.

وقع الخبر عليّ كالصاعقة، وها أنا ذا في الخمسين من عمري.. باغتتني السنوات يا عزيزي، وأنا لم أفق بعد من صدمة وفاتك المفاجئة، حتى جاءتني صدمة ثانية زلزلت حياتي، بعدها توالى المصائب، ولم تعد حياتي كما كانت، تغيرت واتخذت مساراً آخر، نصحني الدكتور بالأبج سريري، ودخل سامح الذي وصل للتو، أشبه أولادي بك، سمرتك الراققة، وشاربك المنمق، فإذا به يبتسم رغم المأساة، قبّل يدي، وقال مهوئاً الكارثة:

- ثلاثون عاماً يا ست الكل، ولم تتعلمي من جلال الشناوي، قدرة تحمل

السخافات التي اعترضت حياتكما معاً!

ربتُّ على يده، وقلت:

- ليست سخافات، إنه دين يقارب المليار.. يقيناً ليس سخافات.

تدخل ماجد بالحديث، وقال متشككًا:

- أنا أعمل مع أبي، وكل أسرار شغله تقريبًا أعرفها. وليس من المعقول أن يعقد صفقات بسبعمئة وخمسين مليون جنيه، ويضطر لرهن كل أملاكه، ولا يكون لي علم بها.. مستحيل.

احتويتهما بنظرة، وسألت:

- هاني؟

- مستحيل! هي عملية نصب كبرى.

أنا أيضًا أنكر كل ذلك، فطوال حياتنا لم يُخفِ أبوكم عني شيئًا، حتى وصيته التي سجلها واحتفظ بها عند محامية "نجيب الحريري"، تقريبًا لم يذكر فيها شيئًا عن أية ديون، أو رهن تركة، شعرت بأني أغوص في كابوس مرعب، سخافات كما قال ابني، ولكن ما الحيلة؟ سينقض الدائنون مثل الضباع علينا، ينهشون مجهود سنوات من الصبر والعمل بدون كلل، والانتصار على تحديات صعبة، ولكن لن نستسلم، سندافع عن كل شيء وأنا قبلكم، سنترك مصابنا وراءنا. نهضت من فراشي، هبطنا الدرج في إثر بعضنا، نزلنا الهول، وعاودت

الحديث مع سرحان عبر الهاتف:

- ممكن أتشرف بلقائك؟

- تحت أمرك.

- نلتقي بكرة بعد الظهر.

أغلقت الهاتف، وقلت لسامح:

- تسافر البلد لعمك عبد الحليم، تعتذر عن تأجيل زفافك على ابنته

نشوى لأسباب خاصة.

أوما برأسه، واستقر كل منا على مقعده.

- بعد المقابلة، سأطلب من نجيب الحريري، فتح الوصية.

** **

عزت سليم

قلت لي منذ سنوات بعيدة.. عزت سليم ابن واحد من بقايا العصر الإقطاعي القديم، لم تفلح العاصفة في أن تنال منه، ولم يقدر -الضباط الأحرار- على دفنه، فعاد بوجه أكثر شراسة وحقد أسود على الفقر والفقراء، تمكن أبوه -عبد الحميد باشا- من غرس حقه في قرار قلبه على التجربة، بعد تصفية أملاكه، والانحناء للعاصفة، لم يبك على أطلال الزمن، بعد سنوات استعاد عزت ثروة العائلة أضعافاً مضاعفة، شركات، واستثمارات، وتجارة امتدت خارج البلاد، تزوج نوال بنت عبد الغني رأفت باشا القنصل السامي في سفارة مصر في المجر، عقدت معه صداقة هامشية امتدت أواخرها الهشة لسنوات، فقد رفضت الانخراط معه في العمل.

عزيزي..

عزت وابن عمه حامد سليم ووكيل أعماله، وشريكهم الثالث مكرم السرجاني نشروا عزاءً لك في الأهرام، بعد يومين من الوفاة.

عصر اليوم، جلست في التراس، أعدّ نفسي لمقابلة مندوب ووكيل أعمال جرت رشنس، وجلس ماجد قبالي، وقال:

- لا أريد أن أخفي عليك...

صمت للحظة، قبل أن يستدرك:

- لولا ظروف وفاة بابا، كنت تقدمت لخطبة...

تناولت كوب ماء، وسألته:

- خطبة من؟

- ابنة عزت سليم.

غمغمت:

- أعرفه، وأعرف أمها نوال رأفت.

كنت أتكلم بحدّة، واستدركت وكأني أحذره:

- أبوك رغم معرفته به، رفض العمل معه...

أنصت لي باهتمام، ولكن خيم الصمت للحظات، ثم عاد للحديث:

- أحببتها، وأظنها تبادلني نفس المشاعر، ووعدتها بزيارة أبيها، لكن.. الدين

ورهن التركة، ووو..

قاطعت تردده باقتضاب:

- نؤجل الكلام الآن.

بعد نظرات الدهشة، قال:

- أنا معك لكن هاني أقام على شريكه -عزت سليم- الدنيا في المجلة.

- ابن عمه حامد سليم؟

- لا.. مكرم السرجاني، وهذا سيؤثر على مشروع الزواج.

مشروع؟!!

تطلعت إلى وجهه، ابتسمت ملامحي رغمًا عني.. أولادي وأعرفهم أكثر من نفسي،

ماجد فور تخرجه من كلية الهندسة، انخرط مع أبيه في البيزنس، واعتبر كل

علاقة بمثابة صفقة، أوشكت على سؤاله: هل يحب ابنة عزت سليم، أم يتهمياً

للقفز من المركب المشرف على الغرق؟

قلت باقتضاب:

- قلت نؤجّل الكلام الآن.

وقفت وانطلقت إلى الهول، كان عليّ أن أجابه المأساة، وأولادي في ظهري، لا يشغلهم شيء، حتى سامح الذي اتفق على إتمام زواجه من نشوى -ابنة عمه- فور عودته من البحر، عليه الآن أن يؤجّل مشروعه.

أعاهدك يا عزيزي.. لن تفلح الكارثة في أن تنال مني.

أرجأت رفضي لمشروع زواج ابني من ابنة عزت سليم، كما رفضت أنت الانخراط مع أبيها في العمل، رغم علاقتكما -الهشّة- الممتدة لسنوات، يقيناً هي فتاة جميلة -ويقيناً آخر- مدللة، وصدق حدسي عندما رأيت صورتها على موبايل ماجد، قريبة في الملامح من أمها، بيضاء، ناصعة، في عيونها لمعة طفلة بريئة، تنطق ملامحها بالشقاوة، كان يتحدث معها، ووصلني حديثهما معاً، وضحكاتها العالية.

- Madness أحلى حاجة في الدنيا الجنون.

- أحلى حاجة في الدنيا العقل.

- همهم... You are a formal fool "أنت مجنون رسمي".

لفحها بنظرة عميقة، وقال:

- أحبك موت.

رفعت أصبعها، وقالت:

- لماذا سيرة الموت؟ قل أحبك حياة، أحبك حياتي.

- أحبك حياتي.

** **

حامد سليم

كهل في الخمسين، تخرج من كلية الشرطة، ولم يدم عمله في البوليس سوى ست سنوات، ثم تركه بعد شراء حصة من شركة عمه، وأدار شركة آل سليم مع صديقه وصفيه وابن عمه، عزت سليم.

التقينا بآل سليم صدفة منذ سنوات في سيدي عبد الرحمن على البحر، وهي المرة الأولى التي رأيت فيها نوال رأفت، كانت تمرُّ بفترة عصيبة من حياتها، قلت لي.. إن شقيقها حسين، متهم في قضية لها أبعاد سياسية، ادعى محاموه والمقربون بأنها كذب وافتراءات، ودسياسة من الخصوم، اختفى بعدما سهل له بعض المعارف السفر قبيل صدور الحكم عليه، تصافحنا على وعد بقاء لم يحدث، إلا بعد سنوات، جلست قبالي -بيني وبين البحر- وقلت لي وأنا أتناول الأيس كريم.. حامد راهب في معبد الحب، عازف عن الزواج لمروره بقصة حب فاشلة.

.....

قبل مجيء مندوب "جرت رشنس" بساعة، قلت لهاني:

- لم أتدخل في عملك قبل ذلك.

تفحص وجهي، ولاذ بالصمت كعادته.

هاني -هنوش- أصغر أبنائي، وأشبههم بي، عيونه السوداء، وبشرته البيضاء، وشعره المسترسل، أضفت عليه ملامح فتاة جميلة، لا أخفيك سرًّا وأنا حامل به كنت أتوق لإنجاب بنت، لا أنكر أنه نال أكبر قسط من التدليل، تعلق بي لسفرك ومشاغلك الدائمة، شاركني غرفتي، كان ينام بين أحضانني حتى بلغ العاشرة،

ومثلي أغرم بقراءة القصص، والروايات والتاريخ، بعد الثانوية أصرّ على دراسة الإعلام، كانت هي الأقرب لميوله، فتفوّق، وبعد تخرّجه عمل بالصحافة.

بعد لحظة صمت، سألتني مستنكرًا:

- وما الداعي لهذا الكلام الآن يا ماما؟!

قلت:

- أوقف حملتك الصحفية على شركاء عزت سليم.

- لماذا؟

التفتُ إلى ماجد، وقلتُ باقتضاب:

- نتحدث بعد زيارة سرحان.

انتقل هاني وجلس إلى جوارني، وقال:

- عزت سليم وشركاه بينهم حرب، وخسائر تهدد بإغلاق شركتهم، ووصل

على إيميلي الخاص مستندات مهمة، تأكّدت من صحتها.

.....

في ذات الليلة جلس آل سليم، عزت وحامد على طرفي مائدة، بينهما رقعة شطرنج،

ينتظر أحد ملكيها نقلة تطيح به، قال عزت في انفعال:

- هذه حملة منظمة يا حامد، سأرسل "ماسدجات" لكل أعضاء الجمعية

أتهم فيها الصحفي ابن جلال الشناوي، بأنه مدفوع من ناس؛ لعزلي من

رئاسة الجمعية.

قال حامد:

- لكن الحملة أكبر من ولد صحفي مبتدئ.

- أيُّ صحفي لا يكتب إلا ومعه مستندات.

- تفتكر مَنْ مدّه بأسرار شغلي؟
- أكيد كانت مع أبيه جلال الشناوي.
- لكنها ليست بعيدة عن سرحان عبد الشفيح.
- عبرت نوال "الهول" في طريقها إليهما، وقالت معاتبة:
- بنتك لحد الساعة، وهي بره!
- لاذ حامد بالصمت، بينما انفجر عزت، غاضبًا:
- هي صغيرة يا نوال؟!!
- لأنها كبرت؛ يجب أن نتابع تصرفاتها.
- وقف، وقال لزوجته ليطمئنهما:
- سأتصل بهما.
- واصطحب حامد إلى الباب، واستدرك:
- المهم الآن مشكلتنا الأصلية مع مكرم السرجاني
- خلص أنت حكاية شراء الأسهم من المساهمين.
- كل حاجة جاهزة.
- لم ينس حامد قبل خروجه أن يصفح نوال، ويقول:
- تصبجي على خير يا نوال.
- وأنت من أهله يا حامد.

خرج حامد..

هو يتذكر، حينما طرق عزت باب بيت عبد الغني رأفت في المنيرة، كان بصحبة صديقه الذي لا يفارقه، أسرع إلى الخادمة السوداء أم الخير، وصاحت: جاء

العريس، ومدت أصابعها تعدل فستان الهانم الصغيرة، تفرد الدوكلتيه، وتشدُّه لأسفل حتى تظهر أعلى نهديها الصغيرين، ولم تنس تدليك خديها ليزيد توردهما، رغم حمرةهما القانية، وغمزت لها: ابترسمي.

دخلت ببطء متلكئة، وأطلت بوجهها المستدير، وعينها الزرقاء تبحت عن شريك العمر، حتى استقرت على وجه حامد.. شاب وسيم، تنضح ملامحه بابتسامة عذبة، طويل عريض مثل ملاكم، تبادلًا نظرة استمرت لعشرين عامًا، نبت في الخفاء حبُّ صامت.. اكتفيا باللقاءات العابرة، وبعد زواجها من عزت كانت تستنجد به ليحلَّ خلافتهما.

ولم تشأ نوال أن تتكدر بسبب متاعب القولون، ابتلعت غيظها، مع كبسولة "سبازمونال" وجلست على فوتيل، وقالت لزوجها:

- سأنتظرها، ولو لم تمنعها من الخروج والسهير، سأسافر الفيوم أهدئ أعصابي في العزبة لحد ما تجد حلًا مع ابنتك.

أطل عليها بنظرة ساكنة، وجلس قبالتها.

وصلت ميرفت وفتح لها مرجان، وقفت أمها وكادت تنفجر، ولكنها خشيت آلامًا ستمنعها من النوم، فتهتدت، وقالت لهما منذرة:

- أعصابي لن تتحمل أكثر من ذلك.

وأسرعت إلى السلم.

بعد لحظة صمت، قالت لأبيها:

- أنا لم أتأخر، أنا...

أنت..

سيظل يراها طفلة، لم تتغير معاملته لها، لم تكمل دراستها باختيارها، رغم قدرتها على النجاح، قالت له: الفقراء يتعلمون لتوظيفهم الحكومة، ويقبضون مرتبات، أنا لست في حاجة إلى مرتب، فلماذا أقرأ وأتعلم، وأنجح؟ ما الفائدة من وجع القلب هذا؟!

قال لها وهو يضم وجهها بين كفيه:

- فيفي. أنت كبرت، وماما خائفة من سهرك كل ليلة، وعندها حق.

أومأت برأسها، وقالت:

- باختصار يا داد، وبدون لفّ ودوران، فيه شاب طلب يقابلك.

أنتِ كبرتِ فعلاً، وسيأتي من يأخذك مني، لا سبيل إلى إنكار حقائق الحياة، وملامحه تمعن في إذكاء غيرة، وقلق في انتظار لحظة فراق، لكنها سنة الحياة، والخلق، سألهما:

- من يكون هذا المحظوظ؟

- ماجد جلال الشناوي.

انطلقت مخاوفه كطلقة طائشة، وصرخ:

- كله إلا ابن الشناوي!

كعادتها المرحة عندما تواجه الغضب بابتسامة عذبة، تخرق قانون الفعل ورد

الفعل، وتوسع ابتسامتها حتى تتحول إلى ضحكة عالية يحياها، وتقول:

- ههه... اتفقنا أن نكون أصحاباً، نتناقش بالعقل يا عزت باشا.

يمتص غضبه الساخن، ويقول:

- لأننا أصدقاء، أقول لك سرّاً.

مالت عليه لتفسح له مجالاً ليقول السر:

- قل!

- أبوه مات بعد أن رهن كل ما يملك.

ضمت شفيتها، وصاحت:

- واووو!!

واستدركت هامسة:

- ضيّع ثروته على النسوان؟

صدمته الجملة، ورمقها بدهشة، وقال مؤنّبًا:

- ضيّعها لأن أصله فلاح.

صاحت:

- يا نهار أسود!

وانفجرت ضاحكة، ثم قالت ساخرة:

- أنت قديم قوي يا عزت باشا، ما كل الرؤساء بعد الملك كانوا ولاد

فلاحين، هذه الاسطوانة لو سمعها منك أحد سيكسرها على دماغ.

- بنت؟!!

- أقصد دماغك.. دماغك راح فين؟!!

- اصبر في النظر عن هذا الموضوع.

ثم تركها غاضبًا، وصعد إلى غرفته لينام.

** **

-2-

سرحان عبد الشفيق

قبل حضوره جمعت أولادي، وسألتهم:

- ما العمل؟

قال سامح:

- ماجد مسئول عن البحث في كل ملفات، وعقود، وصفقات المرحوم أبي.

وقف هاني وقال:

- هذه الشركة لها رجال هنا، سأبحث عنهم في أرشيفي الصحفي.

قلت:

- لو لم نجد مفرًا من الوفاء بالدين، سنفعل المستحيل، ولا يضع هؤلاء

الصوص أيديهم على قرش من تركة أبيكم.

قال سامح بصوت مختنق:

- أنا لم أخرج بعد من صدمة وفاة أبي! وأنا في البحر تعودت على عاصفة،

نوة، اصطدام السفينة بجبل مرجاني، ونطقت بالشهادة ألف مرة،

لكن...

قلت غاضبة:

- أبوكم عمره ما أخذ أي ديون ولا رهن حاجة.

قال ماجد متوجسًا:

- عصابة دولية! معنى مرعب أن يسقط أبي في شبكة عصابة دولية، هذا معناه ضياع كل شيء.

ربت على كتف سامح الجالس إلى جوارى، وقلت:

- سأعتبر العصابة الدولية عاصفة، نوّة، جبل شعاب مرجانية، وندطق بالشهادة لكن لن نستسلم أمام أي أحد، ولن نرفع راية بيضاء.

رن الجرس وفتح الباب..

حضر سرحان وجلس قبالتنا مفعماً بثقة زائدة، نعم يا عزيزي.. لا داعي للصدام الآن، نحن لا زلنا في بداية المواجهة.
قال بلهجة لينة معتذراً:

- آسف يا ليلي هانم، كان بودي زيارتكم في ظروف أفضل.. لكن أنا مجرد وسيط.. و...

التزمت الصمت، وانتظرته حتى انتهى من اعتذاره، وقلت:

- زوجي لم يُخفِ عني أي سر، كنا نتناقش في كل كبيرة وصغيرة، اختيار كل شيء: من ألوان ربطات عنقه، وموديلات أحذيته، حتى أكبر صفقاته، لم يذكر لي أنه استدان أو رهن شيئاً من أملاكه.

رنا بعينيه صوب أولادي الملتزمين الصمت، دققت النظر في معنى ابتسامة ينضح بها وجهه، لم يحاول إخفاء حقيقته..

اعتبروها عملية نصب.. سطواً مسلحاً.. سرقة بالإكراه، المهم الطوق حول عنقكم يا هانم، ولا مفر.

استطرد قائلاً:

- ليلي هانم قلت ما أنا إلا وسيط، وكيل لأعمال جرت رشنس، مكتبها الرئيسي في لندن، أمّا أعمالها، عملاؤها، الشركات التي تديرها، فتنشر في العالم كله. حجم أموالها في القارات الخمس، لا علم لي به.
- همّ ماجد بالحديث، فأشرت له فالتزم الصمت، وقلت لضيفي:
- نحتاج فرصة للتأكد من حقيقة هذه الأوراق.
- خذي وقتك، لكن نصيحة، فكري في حلول عملية لتقليل الخسائر، ممكن أتدخل لتتم جدولة الدين، ويقسم لأقساط، وسوف أبذل كل جهدي، لتكون بأقل فائدة.

قلت باقتضاب:

- مع السلامة.

فور خروجه قلت لأولادي:

- هي عملية نصب محكمة على أبيكم، وعلينا، رغم الموقف غير المفهوم والمليء بالألغاز، سنتعامل بجدية، سنواجه الحقيقة مهما كانت صعبة، نعتبر أن أباكم أدين بهذه الأموال الضخمة، وضروري نفكر في سدادها كلنا، نشتغل ليل نهار، نعمل صيانة وهيكله لمصانع المجموعة، لازم نواجه المشكلة، وحياتنا تسير كما كانت. انصرفوا إلى شغلكم.

قال هاني راجياً:

- أرجوك يا ماما لا تجهدي نفسك.
- أنا عبرت أصعب صدمة في حياتي، -وفاة أبيكم- وأي صدمة بعدها سأعبرها.

ورفعت الموبايل، وقلت وأنا أطلب نجيب الحريري:

- ليحضر المحامي غدًا، يفتح الوصية، ونعرض عليه الموضوع.

أنهيت المكالمة، وقلت لأولادي:

- تصبحون على خير.

بعد يوم طويل صعدت السلم، وما إن وطئت غرفتي وأضأت النور، حتى واجهتني صورتك.. تأملت شبح ابتسامة، ووجدت نفسي أتحدث إليك، أسألك.. قل لي الحقيقة: هل هي التي أعرفها، أم أنك أخفيتها عني؟ سقطت دون أن تدري في أيدي لصوص، مرايين يعيشون على دماء البشر؟ أرجوك لا تتركني غارقة في بحر الحيرة المتلاطم.

.....

لم ترد..

استلقيتُ على سريري، ضعيفة واهنة.. تتلاطم أفكارٌ شريرة في رأسي، وأنا أصارعها بكل قوتي، أغمضت عيني فأفزعتني الظلمة، وجثمتُ على صدري كأبة ثقيلة، لم أشعر بهواني بهذا القدر قبل ذلك، رتل آيات القرآن حتى سقطت في نوم عميق مثل مثل بئر.

** **

ميرفت سليم

لها خفة ظل لا أنكرها، لكن ثمة شكوك تلاحقني، كلما تذكرت أباها، وترفعه المقزز، وحقده المتوارث عليك، وعلى كل طبقتك من الفلاحين، الذين تعتبرهم عائلته -التي ترفل في عز زالت أسبابه منذ عقود- عبيدًا، لولا تبدل الظروف وسنن الله في خلقه، وتقلد السلطة مجموعة من العسكر، تجرأوا وأشهروا مسدساتهم في وجوه أسيادهم، لأشار بسبابته نحو الحفاة العراة، وغمغم.. سأدفنكم في التراب، ويستدرك في سره.. فلاح خرج من الطين، حتمًا يلوث البديل، والقمصان التي تمس جلده.

والله هزلت يا حامد يا ابن عمي!

قلت لي مرة وقد تصادف وقابلته في نادي الصفوة، في أعلى قمة في القاهرة.. الليلة لم أعره أدنى اهتمام، تجاهلته حتى جاء وصافحني في حفاوة، عارفة يا ليلي.. حقيقي، الكبر على أهل الكبر صدقة!

اليوم يا عزيزي ماجد ابنك يُبادل ابنته الحب! أغلقت معه الموضوع لشكوي في أن كل من كان لك بهم علاقة في السوق، هو على علاقة بالمؤسسة العملاقة. جرت رشنس.

خرج من غرفته وقال لي:

- صباح الخير يا ماما.

- صباح الخير.

جلس قبالي، وقال:

- راجعت حسابنا في البنك هنا في مصر، كان آخر سحب قبل وفاة بابا بستة أشهر، لسداد مصاريف المستشفى، وباقي الرصيد ثابت، لكن رصيده في الخارج مع كم شريك تجاري أجنبي، لا أعرف عنه شيئاً.
- قبّل يدي وانصرف، فور وصوله إلى مكتبه، اتصل بفيفي، وقال معذراً:
- جدّت ظروف سأضطر إلى تأجيل الزيارة.
- كادت تقول له، الباشا يرفضك، ولا يريد أن يرى خلقتك، لأنك فقير "دُقّة"، وأبوك مات بعد ما ضيع فلوسه على النسوان، ولكنها عقدت لسانها، وأومات برأسها، وقالت:
- أنا في النادي الليلة.
- جلس إلى مكتبه حزيناً مكتئباً، كنت أشعر بما يجول في عقله، من أثر الصدمة التي أربكتنا جميعاً، كارثة.. مصيبة.
- لم ينتبه لدخول الأسطى شاهين، رئيس الوردية:
- مهندس ماجد...
- غمغم وهو يضرب بقبضته المكتب:
- مصيبة!
- رفع عينيه نحو شاهين، وقال في غضب:
- نعم؟!
- قال متحرّجاً:
- أنا جئت في وقت غير مناسب؟!
- نعم؟
- محتاجين نشترى شحنة خام، الخام في المخازن لا يكفي لبقية الأسبوع

انفرجت شفتاه عن ابتسامه مُرّة، وأشار له بسبابته، وقال باقتضاب:
- اخرج.

** **

نوال عبد الغني رأفت

عيونها الزرقاء، وحمرة وجهها المستدير القانية، وهدوء أعصابها تشي بعرق إنجليزي تسلل إلى أسرتها، تنم ملامحها عن حُسن لم تنل منه التجاعيد، أبوها عبد الغني رأفت، كان يتحدث عدة لغات بطلاقة، ترك العمل بالخارجية بعد عام 1952م وهو في ريعان شبابه، طاف بلاد أوروبا وأمريكا، قبل أن يستقر في مصر، لازمته ابنته عندما أصيب بأمراض الشيخوخة، تشرف على علاجه مع ممرضة جاءت خصيصًا من القصر العيني لرعايته، توفي وقد ناهز المائة، ولم يستطع ابنه الوحيد -حسين- حضور جنازته، لخوفه من القبض عليه فور هبوطه من الطائرة، بسبب إدانته في قضايا سابقة، وصدور أحكام غيابية ضده؛ فأرسل برقية عزاء.

كل صباح تجلس تشرب قهوتها في هدوء، تتابع ما يحدث حولها في صمت، تتحمل مداعبات ابنتها فيفي، وأحيانًا تتحول ابتسامتها إلى ضحكة ناعمة غارقة في الأنوثة، ولكنها عقدت العزم هذا الصباح على تحذيرها، انتظرتها حتى خرجت من غرفتها، فقالت لها:

- اسمعي يا بنت: من بكرة لا خروج ولا سهر.
- من بكرة؟! من الآن.
- لم تكلمي جامعة، وليس لك هدف في الحياة.
- لي هدف طبعًا.
- هدف؟!!
- ناوية أجيب من الآخر، أتزوج وأقعد في البيت.

- تكلمي جد.
- والله العظيم يا ماما أنا أتكلم جد، وبصراحة قررت أتزوج.
- مَنْ العريس؟
- مهندس قمر، لكن بابا رفض.
- رفض؟!!
- قال إن باباه ضيِّع فلوسه على النسوان.
- علت نبرة صوت نوال، وقالت مشمئزة:
- أنت أصحابك أكيد تربوا في بيئة زبالة!
- وعادت إلى هدوئها، وهمت ابنتها بالحديث، ولكنها صمتت عندما رأت أباها يهبط السلم، ويتحدث في الموبايل:
- فيه دعوة لاجتماع الجمعية العمومية وصلت بالبريد، المطلوب إن مكرم لا يستلم الدعوة إلا الساعة الخامسة بعد الظهر.
- علت وتيرة صوته، وقال في نفاذ صبر:
- عارف فيه إعلان في الجرائد، لكن السرجاني لا يعرف أن يفك الخط أصلاً، مع السلامة.
- أغلق الموبايل، وشيعهما بنظرة عاجلة، وقال:
- أنا في اجتماع، وراجع بعد الظهر.
- وأشار لابنته، وقال منذراً:
- موضوع ابن الشناوي أفضليه.
- واستدار خارجاً.

لوت شفتها وقالت لأمها:

- زوجك يعاند معي، وأنا دماغي جزمة قديمة، وممكن أنتحر.

قالت في هدوء:

- أنت حرة!

** **

عبد الحلیم الشناوي

الأخ الأكبر لزوجي، يتيه فخراً بأرضه وأرض أخيه، التي تطوّق أطرافها عدة قرى حول زمام عزبتنا، في زيارتنا للبلدة -رغم حفاوته بنا- ألمح في قرار نظرتة غيرة دفيئة، أقلت بثقلها في قلبه، وحتى الآن ما تزال تطارده مشاعر متراكمة، يهرب منها في وجودنا، ولكنها تتبعه.. مثل اتهامات يحاول محوها بكلمات وضحكات مفتعلة. كان أبوه يصمه بالبلادة، والغباء، على عكس ما ترى أنت، فكلمته مسموعة من الجميع في العزبة، يُخفي غيرته، يزيد من حفاوته، وحدبه على أولادنا، على عكس زوجته "زينب أبو غنيمه" التي وصفها ماجد بالعقربة الصفراء؛ لسلطة لسانها، وهي تطلق لعناتها على جميع الأقارب والجيران حتى على أخيها سعد، ولا تتورع عن سبّه بأشنع الشتائم؛ لأنه أكل حقها في الغيط والدار!

نضحك... حتى سامح الذي أحب ابنتها "نشوى" يضحك، ويسألها:

- يا ترى ليس لنا من حبك جانب يا خالتي!

تبتسم ابتسامة صفراء، وتقول باختصار:

- أنت زوج ابنتي الدكتورة نشوى، قمر الدار.

وتلوي شفيتها، وتستدرك:

- لا أعرف كيف أعيش من غيرها.

"نشوى" اعتبرتها طفلة تمنيت ولادتها، نمت محبتنا وبادلتني مشاعر خصبة، كزهرة مبللة بالندى البريء. ها هي انتهت لتوها من امتحانات سنتها الأخيرة في كلية الطب، حتمًا ستنجح، وتصير طبيبة، ذكية. جميلة، وزوجة ابننا سامح.

زاره سامح بعد أسبوع من عودته من سفره؛ ليطالبه بتأجيل الزواج، فسأله
متشككًا:

- خير يا ابني!

احتواه بنظرة.. الحقيقة هو ليس بالغباء الذي وصمه به أبوه، نظرته تشي
بذكاء -فلاح قراري- حتمًا سيبحث عن السبب، ولن يهدأ حتى يعرف. حاول
سامح تهدئة خواطره، فقال:

- سيتم الزواج بعد ظهور النتيجة.

- على خيرة الله.

وأوعز إلى ابنته قبل أن ينصرف؛ بأن تعرف السبب الحقيقي للتأجيل.
نعم يا أمي.. حاولت نشوى سبر أغواري؛ للوقوف على سرّ التأجيل، ولكنني
التزمتُ الصمت، تأملتُ وجهي.. واتسعتُ عينها وكأنها ترى رجلًا غيري، نعم لم
أستطع إخفاء أثر الكارثة، كانت مثل حبل يطوق عنقي، وأنا أنظر إلى قرار عينها
الدافئتين.. قلقة، حائرة تطاردها شكوك من طلب التأجيل المفاجئ، قالت
غاضبة:

- الوصية لن يكون فيها أي جديد، وزواجنا لن يؤخر فتحها، ولن يؤثر
بشيء.

سرنا معًا على الطريق الزراعي، الشاهد على أول كلمة "أحبك" أقولها لها،
تحت ظل شجرة توت عالية، قالت:

- الآن قل لي سبب التأجيل الحقيقي.

التزمتُ الصمت لبرهة، ثم اغتصبتُ ابتسامة كاذبة، وقلت:

- وفاة بابا و..

- الله يرحمك يا عمي.

وهامت رأسه نحو حقول ممتدة، وقال:

- حبيبتي.. ننتظر فقط حتى تظهر النتيجة، وأنتهي من تشطيب الشقة.

قاطعتني معترضة:

- شقة! وفكرك أنا ممكن أترك طنط ليلي؟!!

- همهم... سامعة يا أمي؟ لا أخفيك سرًا، ينتابني يقين بأنها تحبك أكثر من أمها -

بنت أبو غنيمة- في هذه اللحظة وددت ضمها بين ذراعي؛ لأستريح من حملي الثقيل.

تذكر أباه فجأة، فغمغم:

- الله يرحمك يا بابا.

وسبح بعينيه عبر خضرة الحقول الممتدة، وقال:

- الخضرة دائمًا تفكرني بالجنة.

- الله يرحمك يا عمي، ويجعل قرارك الجنة.

وتعلقت بيديه، وقالت راجية:

- سامح. سنعبر الأزمة، لن نقف عندها.

- تركني وأنا في قمة الاحتياج إليه.

** **

ميرفت سليم

قصّ لي ماجد ما حدث ذات ليلة في حديث عابر، قال.. هي غير كثيرات مُهدت
لهن سبل الانحراف ولم تنحرف، ماما صدقيني لو تركتها سأخسر، ولن أقابل
مثلها طوال حياتي.

فور انصراف الأسطى شاهين، طلبته على الموبايل، وتناهى إلى أذني صوت
موسيقى صاخبة، فقفز حديثه العابر إلى رأسي، فقلت باقتضاب:

- ماجد أنا أنتظرك، تعال.

يقيناً كان معها، تنظر إليه، وتشير لأعضاء شلتها نحوه ساخرة:

- Le nouveau visage لا نوفو فيزاج "الوجه الجديد" واقع في حيي، مجنون!

يتمنى يخطبني، لكن بابا رافض.

تتهمد واحدة منهم:

- واووو. يخطبني أنا؟!!

- خذيه كادوه مني، وعليه Coupe de champagne كوب دي شمباين "كأس

شمبانيا".

تهتف بجذل:

- موافقة.

** **

-3-

الأسطى شاهين

تذكرته شابًا في أيامه الأولى، قلت لي.. إنه اضطر لترك شركة المحلة، بعد زواجه من بنت من شبرا، واستقر بها في عزبة عثمان، في شبرا الخيمة، يحب عمله مثل عينيه، عامل غزل من الطراز الأول، يهتم بكل ما يتصل بعمله، يفك أحدث الماكينات قطعة قطعة، ويعيد تركيبها.

خرج من مكتب ماجد حزينًا، وفور تسليم الوردية للأسطى عبد الرحيم، جاء ليشكولي، وقف على الباب منكس الرأس، يغالب شعورًا بألم الإهانة، جلس على فوتيل أمامي، وقال مخفيًا حرجه:

- أنا سلمت نوبتي، وجئت لك يا ست هانم.

كظمت هواجسي المتلاحقة، وسألته:

- خير يا أسطى شاهين!

- خامات التشغيل، القطن، والبوليستر، الليكرا، الإكليريك خلصت،

والمكينات ممكن تتوقف بعد أسبوع.

تحولت الهواجس إلى قلق:

- المهندس ماجد عارف؟

صمت للحظة، فقلت:

- تكلم يا أسطى.

- والله يا هانم المهندس له فترة لو جاء المصنع، يقفل عليه مكتبه، لا ينزل العنابر يشوف العمال ولا الشغل، ومعظم الوقت خارج المصنع. تلاطمت الأفكار الشريرة في رأسي من جديد، وضغطت على صدري كآبة ثقيلة.

.....

ودّعت الأسطى شاهين، وانتظرت في الهول وصول أيّ من أولادي، كنت أنتظرك معهم، خيل إليّ أنك قادم. ترنّ الجرس. وتولج المفتاح وتفتح الباب، فأسرع نحوك، أضمك إلى صدري لأستريح.

حبيبي. كم أنا في حاجة إليك!

حبيبي أنا عاجزة عن تقبل فكرة غيابك مرة واحدة، أطاردها وتطاردني، أحسبك في سفر، وأنتظر رجوعك، أنتظر على أعصابي اتصالك بي، ويتردد صوتك في أذني.. حبيبتي أنا في المطار، نصف ساعة وأكون في الحلمية، أستحم بماء الورد.. أتعطر وأرتدي أجمل ثيابي، وأنتظرك، لكن في هذه اللحظة، قبضت الحقيقة على عنقي، انهالت عليّ بالصفعات.. زوجك. حبيبك. والد أحبابك.. مات! هكذا وجدت نفسي محاصرة، وأنا أحوج ما أكون إليك.

جاء سامح، تاركًا وراءه شكوكًا وأسئلة في رأس عمه، وقلقًا في قلب حبيبته.

جلس قبالي، وسألني:

- اتصلت بالمحامي؟

- عندما يعود من الإسكندرية، بعد يومين أو ثلاثة.

بعد لحظة صمت، قال:

- اعتذرت عن السفر لفترة، وو..

ربتُ على يده في رفق، وقلت:

- أنت لا تعطل نفسك، ولا تعرف حاجة عن شغل أبيك.

تهدج صوته، وهو يقول:

- أنا الكبير، ومفروض أنني مكان أبي، ولازم أكون على مستوى المسؤولية،

أواجه معكم صدمة.. وفاة بابا، وتركة مدينة، وووو...

كظم دموعه، وصمت..

قلت له:

- لازم تعرف أن التركية غير مدينة، أبوك عمره ما أخذ ديونًا، ولا رهن

حاجة.

وعلت وتيرة صوتي:

- لازم نواجه الكارثة، ونتمسك بحقنا للنهاية.

هدأت بعض الشيء، ثم استدركت:

- أخوك ماجد ترك المصنع للعمال، ومشغول ببنت عزت سليم.

سألني:

- ما الحكاية؟

** **

حامد سليم

نبدأ الاقتراع.. الموافق على تعيين مصفين للشركة يتفضل يرفع يده.
بدأ حامد يعد الأصابع المرفوعة للأعضاء، وكأنه يعرف سلفاً نتيجة الاقتراع،
قال بأريحية، وهو يدوّن في محضر الاجتماع:
- 15 موافق.. و3 غير موافق.

ثم تطلع إلى الوجوه، ومن طرف خفي نظر إلى ابن عمه، عزت سليم الذي طغى
عليه بمشاعره.

منذ الصغر، تنازعت في أعماقه عواطف مركبة لصداقة غريبة، متناقضة،
تقلبت بين كره وحب، وغيره، وحسد أسود، أحب نوال ربما لا لشيء إلا لأنها
تزوجت هذا الصديق الذي لم يعرف غيره، جميلة حتى وهي تعبر الأربعين، لا تزال
ترفل في حُسن نادر، وأنوثة ثرية دسمة، لم تمنحه وعداً خفياً، ربما لطبيعتها
المتحفظة، وهدوئها السادر، أو لعلها صممت لقناعتها بنصيها، وبقيناً خوفاً على
سمعة عائلة رأفت، رغم صدها، وتوسله بالحب الصامت، روج لنفسه أن
صديقه لم يُشبع أنوثتها، فكظم حبه، وانتظر أملاً ظن أنه لن يأتي.

قال حامد:

- نحب في الأول نهئ عزت بيه؛ بعد تصحيح الأوضاع؛ ورجوعه لرئاسة
الشركة..

تردد تصفيق خافت، وأزاح الميكروفون أمام صديقه، الذي ابتسم مقبلاً على
نصر جديد، بإطاحة خصمه الغبي.. مكرم السرجاني، ثم قال:

- في البداية لازم نقرّ أن موقفنا في السوق صعب.. نشاطنا بسبب بعض الأخطاء الفردية في خطر كبير، المصنع، والشركة بكل فروعها الإثني عشر لم تحقق المستهدف منها، سنبدأ بالمناقشات الروتينية، سياسات البيع، والعرض والطلب، ونقص الخامات الموجودة في السوق، وو.. فجأة فُتح الباب واندفع مكرم السرجاني بصحبة محاسبه القانوني عامر سوسة، متأهبًا لمعركة أعدت من وراء ظهره، تبادلت الأعين نظرات مضطربة. عرفت منك أنّ مكرم السرجاني بدأ بتجارة الملابس والخردوات في محلات وسط البلد، الموسكي، والعتبة، وباب الشعرية، منذ طفولته امتلاً تصميمًا على توسيع تجارته، وبدأت شراكته مع آل سليم بالحصول على حصة من إنتاج مصنع الملابس الجاهزة، تعددت الحصص، وعندما تراكمت الديون على مصنع آل سليم، بعد قرارات التأميم، دخل شريكًا بربع المصنع، ثم بالنصف، وتطلّع جيشه إلى امتلاك تركة ابن الباشوات كلها، فهرع عزت إلى ابن عمه حامد سليم رفيق صباه لنجدته، فأنقذه من أنياب تتأهب لالتهامه، واليوم حبك خطة لتنظيف ما علق بآل سليم من إهانة، فأطاح به من رئاسة الشركة، تمهيدًا لتصفيتها، ليجد السرجاني نفسه مجرد مساهم مثل بقية المساهمين، حتى تحين الفرصة لطرده تمامًا.

قال مكرم وهو يندفع نحو المنصة:

- أنا رئيس هذه الشركة، ولي حق التصرف في كل كبيرة وصغيرة. وانطلق اللسان من عقاله، وأهال شتائم منتقاة، قبل أن يتدخل محاسبه سوسة، يقول في هدوء:

- اهدأ يا مكرم بيه.

قال حامد:

- اهدأ لكي تفهم التغيرات التي حصلت.

صاح مكرم:

- كل ما حدث باطل.

قال عزت في هدوء:

- أنا أملك 55% من الأسهم.

اتسعت عيناه مثل سفاح يقدم على قتل ضحية غافلة، وصرخ بصوت مبحوح:

- متى حصل هذا!؟

واصل عزت الضغط على ضحيته المحاصرة في الزاوية:

- عدد من المساهمين تنازلوا لي، وسمسار البورصة قام بكل إجراءات

التنازل، وتم إثباتها في دفاتر الشركة.

ورفع حامد تباغاً ورقتين، وقال:

- هذا مستند من الشهر العقاري، مثبت فيه تاريخ دفع الأرباح بالكامل

للبائعين، وهذه إقرارات منهم بالتنازل عن الأسهم.

قال عزت:

- وسيعلن عن تصفية الشركة قريباً، ولكن بعد أن نراجع حسابات الإثني

عشر معرضاً.

رفع مكرم يده، وهو يسحب نفساً عميقاً كآخر ما تبقى له في الحياة، وقال:

- من وراء ظهري! الاجتماع باطل وكل ما ترتب عليه باطل، تفضلوا بره.

صاح عزت غاضباً:

- اخرج بره أنت.

قفز سوسة إلى عزت وقال في لين:

- اهدأ يا عزت بيه.

واصل عزت غضبته العارمة:

- لازم نكشف الأوراق كلها.

رد مكرم في تحدّ:

- اكشف يا ابن الباشا.

- البضاعة المخزنة في البدروم تحت معرض الأزهر، بضاعة تقدر بخمسة

مليون جنيه غير مثبتة في الدفاتر.

بصوت مبجوح، ووجه أحمر قانٍ، قال مكرم:

- كذب.. كله كذب.

- أنا سأشكل لجنة تقييم البضاعة قبل بيعها لحسابك.

كشّر مكرم عن أنيابه، وتدفق الدم إلى وجهه، وقال:

- أنا رجل شريف.

ودسّ يده في جيوبه وأخرج أوراقاً، وقال للجميع:

- أنا معي الدليل، تفضلوا يا سادة، عزت سليم هو من يشتغل بفلوس

الشركة لحسابه، تفضلوا مانفستو الباخرة حملت لحسابه آخر طلبية،

دون علمي، وعلم أحد منكم.

وشرع يوزع على الحاضرين قصاصات ورق:

- تفضلوا.. هذا الفاكس يؤكد أن حضرته وكيل شركة خواجاتي، توصل له البضاعة من الباب للباب، معفاة من الجمارك، وخارج حسابات، ودفاتر الشركة.

صاح حامد عبر المايك:

- هذه مستندات ممبركة، والتي اعتمد عليها الولد الصحفي، ابن الشناوي، في حملته المغرضة.

.....

آلمته الوخزة المفاجئة، ووصل إلى معرضه الرئيس في الأزهر، ونظر إلى عامر سوسة مستغيثاً:

- دبرني يا سوسة!

قال سوسة وهو يبرئ مقعداً له:

- عين العقل، ننحني للريح حتى تعبر.

هدأت النظرة الزائغة في عيني السرجاني، وقال:

- صح.. عين العقل، لا نعادي عزت سليم في هذا التوقيت.

مال سوسة بجذعه عليه، وقال:

- وخير البر عاجلة.

هدأ تماماً، وتناول الموبايل، وقد تهللت أساريره فجأة وهو يقول:

- عزت باشا.. حبيبك السرجاني، أنا فكرت في رأي سعادتك، من حقك

تراجع الشغل، بأي مكتب محاسبة تختاره وتطمئن له، وأنا تحت أمرك

في أي وقت، مع السلامة.

أغلق الموبايل، وقال لسوسة:

- رحم الله امرأ عرف قدر نفسه، أنا معي مستندات توجعه، لكن كل حاجة لها أوان.

واصطحبه إلى الباب، وواصل حديثه وهما يخرجان إلى المعرض:

- أنا أعقد هدنة مع عائلة سليم، وأركز مع الولد ابن الشناوي، لازم أخلص من موضوعه لأنه عامل لي وش في دماغه.

- سيخلص قريبًا جدًا.

.....

في أحد أركان المعرض اختفى رزق السلاموني -عامل المعرض- صعيدي، هرب من الفقر على ظهر قطار، منذ وصوله محطة مصر، وهو يتحاشى أن ينزلق إلى مصير قناوي بطل فيلم باب الحديد، يحب هنومة، ويخدعه عجوز بوجه مثل قطعة حديد خردة، ليزجّ به في مستشفى المجانين، فكّره النساء، حتى أمه التي اختطفها الموت، كرهها لأنها تركته لأب قاسٍ. عنيف فخرج ذات ليلة، طفش إلى بلد فسيح مزدحم..

بين تماثيل الخشب، وكراطين الملابس، وبكر الدانتيل الملونة، وقف يهمس في الموبايل إلى عزت سليم:

- يا عزت باشا، أنا مفتح عيني، أنت تقول لي المطلوب وأنا أنفذ.

-

- حاضر يا باشا.. مع السلامة.

فجأة انقضت عليه أميرة...

.....

أميرة عبد ربه، اسم على مسمى، سبحان مقسم الأرزاق والحظوظ، جميلة كأمية فرعونية، لونها الخمري، وعيناها السوداءوان مثل عيني صقر توغر الصدر برغبة حارقة، شعرها الغزير ينساب أسفل حجابها مثل شعر مهرة متأهبة للعدو، ولدت في أحد أحياء القاهرة العامرة بالرجبات والنساء، حي الوايلي معظم سكانه من قرى محافظات بحري، هاجروا للبحث عن الرزق في مدينة الأرزاق، منذ أربعينيات القرن الماضي.

يااه ه ه ه!! لو لم أكره النساء؛ لأحببتك يا بنت عبد ربه.
قالت له:

- بلغت تقرير كل ليلة للباشا؟

نظر إليها موغلاً في التحدي.

- تقرير، هه... بطلي افتراء!

ابتسمت ساخرة، وقالت في استهانة:

- رزق انتبه لنفسك قوي، وإلا ههه... أعملها لك مفاجأة.

انصرفت فتبعها بعينين ثاقبتين، وغمغم:

- مفاجأة؟!

وصلها نداء مكرم:

- أميرة.

هرعت إليه:

- مكرم بيه.

أشار لها بإيحاء تفهمه، ولا يغيب عن عامر سوسة، نديم جلسات السوء والخير معاً "إن وجد".

قال مكرم لأميرة:

- الحاجة شوقية تنتظرك في الشقة في فيصل.
- أومات برأسها ممتعضة، واستدارت، واستأنف حديثه لسوسة:
- يا سوسة، سياسة العصا والجزرة لا تنفع مع عزت سليم.
- نجرب سياسة كسينجر.
- ابن خالتك؟!
- الاحتواء، نأخذه في حضننا.
- يا سلام، حضننا، وهو قرفان مننا!
- ضروري نسبقه بخطوة، حتى نملك المبادرة، يبقى نحن الأكشن، وهو الري أكشن، لكن في البداية نحتاج مهادنة، هدنة نرتب الأوضاع ونتكثك.

شملة الرجل بنظرة استحسان غامر، وقال:

- تكتكة صح.

واصل سوسة:

- لكن قبل نقل البضاعة من البدروم، نعمل حريقه صغيرة.
- ونقول حصل الحريق بسبب ماس كهربائي.
- برافوو.. لكن...

واحتقن وجهه بلون أحمر، واستدرك:

- في اجتماع الجمعية العمومية، عزت سليم حط يده هذه المرة على المصنع والإثني عشر معرضًا، وأنا أصبحت "شُرابة خُرج".

واصل سوسة التسلسل كعادته إلى أعماق سيده:

- وفكرك سنتركه؟ أبدأ! سنرفع دعوى أمام القضاء...

قبض أصابعه، وعادت إليه حيوية الانتقام، وقال:

- نتهمه بتهريب فلوس للخارج.

ومسح سوسة على كتف سيده، وقال:

- لازم نخفي ماكينة الكاشير، والكمبيوتر، ونوّلع في البونات، والأوردرات،

ورولوهات البيع، قبل ما يشرف عزت سليم ويراجع الحسابات.

- المهم البضاعة الموجودة في المخازن، غير المثبتة في الدفاتر.

- أنا فكرت أنقلها إلى شقتي القديمة في الظاهر، ويوم الجمعة الشوارع

فاضية.

وانصرفا ضاحكين، تابعهما رزق حتى استقلا السيارة، ورفع الموبايل:

- مساء الأنوار يا عزت باشا.

-

تابعته بعينها المغريتين، مثل قط بري شرس، حتى انتهى من اتصاله، وقالت

له:

- خلي بالك... السرجاني لو هرشك سيحملك الليلة كلها!

- ليلة؟!!

واصلت سخريتها وتحذيرها:

- ليلة بألف ليلة وليلة.

قال رزق:

- والنهب هنا، وفي تريومف، وروكسي، وكل فروع الشركة.

ثم واصل تحديه، وقال في لا مبالاة:

- أنا أقلب عيشي مثلك، وألعب مع كله.

** **

هاني الشناوي

أصغر أولادي، أراه كالقمر في تمامه، فجأة.. شعرت أنه كبر قبل الأوان، طفلنا المدلل كبر يا جلال، بين ليلة وضحاها صار شابًا، وقبل أن ينعم بنصيبه من التركة، اجتاحتنا تهديد بضياعها، فانتفض كل منا لمواجهة واقع لا مفر منه، قبل يومين كان في الطريق إلى المجلة، رنّ هاتفه، وجاءه الصوت من مكان قديم به كراكيب.. بقايا مقاعد مكسرة، وإطارات سيارات قديمة، وكراتين، وبراميل.

- مَنْ حضرتك؟

وصل صوت بأحرف غليظة:

- ممكن تشرف بحضرتي، وتتقابل الوجوه، لو لك شوق، ولو فضلت

تنشر الهرتلة في المجلة، عينك ما تشوف إلا النور!

أغلق هاني الموبايل في عصبية، ووصل مكتبه..

أخفى عني علاقة بزميلة تكبره بعدة أعوام، سبق لها الزواج، وخزني شعور

بتأنيب الضمير، هل تعلقه بي طفلًا جعله لا يرى من النساء إلا أمًا؟!!

تبًا لأفكار السوء.

لبنى الشرقاوي، رأيتها بعد أسبوعين، لم أرَ فيها ما يجذب أي شاب جميل مثل

ابننا، ملامحها لا بأس بها، لم تعتن بإظهار جمالها، ولا أنوثتها. ترتدي بدلة جينز.

بدون مكياج رغم سمرتها.

دخلت إليه، فرحة مبهجة؛ لإشادة رئيس التحرير بتحقيقهما الصحفي عن المال الساخن، شاركت هاني في إعداده للنشر..

- ردّ الفعل على التحقيق.. فوق الممتاز.. رئيس التحرير "شكري عبد الحميد" قال لي: النقابة ممكن تختاره كأحسن تحقيق صحفي.

شاركها هاني حماسها:

- حلقة العدد القادم كاشفة الخيوط السرية بين كوكتيل الشر.

حملق زكي فيهما، وقال بوقاحة وغيره:

- ورئيس التحرير وافق على النشر؟

قالت لبنى:

- الأستاذ شكري لا يخاف في الله لومة لائم.

رسم على وجهه ابتسامة ساخرة، وقال:

- مجاملاته لك كثرت يا مدام لبنى.

بادلته نظرة استخفاف، وقالت:

- هو لا يعرف مجاملات، كما أني لا أقبلها.

واصل زكي سخافاتة:

- إذن يوجد ثمن للمحابة الواضحة.

تبادلته معه نظرة صادمة، وصرخت:

- أنت مريض، وغير سوي.

- أنا مريض؟!!

قفز هاني، ورفع يده مهدداً، وقال:

- ومعقد!

أزاح زكي اليد المشرعة نحوه في عنف، وقال:

- أنزل يدك.

اشتعل الموقف فجأة، ومدّ هاني يده، وقبض على طوق خصمه، فقفزت لبني

لتحوّل بينهما، وصرخت:

- لا.. لو سمحتما.. كفاية..

صاح هاني غاضبًا:

- أنتِ سامعة الكلام، والتلميحات البذيئة؟!!

- لو سمحت يا هاني، لو سمحت...

واصل هاني في حدّة:

- هو أكثر واحد عارف أنك إنسانة محترمة.

ضحك زكي بافتعال وعصبية، وقال:

- محترمة! طيب يا محترم!

واندفع خارجًا..

لبني تسأل هاني متعجبة:

- رد فعلك مبالغ فيه قوي!

تراجع هاني إلى مكتبه، وهو في حالة من التوتر الشديد:

- فعلاً.. كان ممكن يكون رد فعلي أهدأ، لكن فيه موقف ضغط على

أعصابي.

تراجعت عن سؤاله عن السبب، وهي تحمل حقيبتها، قالت:

- أنا خارجة لأنني تأخرت.

وقف هاني:

- خذيني معك.

اصطحبها إلى الباب، وقال:

- وصل لي تهديد من السرجاني، وأنا في الطريق للمجلة.

فغرت فاهها، وغمغمت:

- تهديد؟!!

واصلا الحديث وهما يعبران الكريدور إلى الأسانسير.

قالت:

- السرجاني، عليه ضرائب بمليون جنيه، ومتهرب من الدفع، غير جرائم

التبديد وخيانة الأمانة.

وأخرجت ورقة من حقيبتها، وقالت:

- هذه صورة من إنذار من المحكمة على يد محضر.

تناولها هاني وقرأ:

- محكمة جناح الأزيكية الكائنة بمجمع الجلاء.. طلبات النيابة العامة...

خرجنا من المجلة، إلى سيارتها، وقال مواسياً:

- انسي كلام زكي.

قالت في لا مبالاة:

- مجبرة أنساه، لأن حياتي لم تعد تحتل، كفاها سخافات!

أدارت الموتور، وأشارت له:

ماجد الشناوي

كما أراه منذ طفولته، نسخة منك، يقلدك، في غيابك يتقمص شخصيتك، يدخل مكتبك ويقلب أوراقك، ويمارس سلطته على أخويه حتى على أخيه سامح الكبير، الذي يقابل محاولاته بالسخرية، والنكات، وينضم إليه هاني "هنوش" يضحك من قلبه، فلا يجد بدءًا من الضحك معهما، عندما أعنفه يهددني بك: والله لأقول لبابا.

بعد الكارثة اعتزلنا، أغلق عليه حجرته، وكأنه أقرّ بنهاية كل أحلامه، ولكنني أعرفه... لن يستسلم بسهولة، ستسير خطته كما كانت، وأخشى أن يتزوج فيفي سليم المدللة، بكل سفهها، وعدم اكترائها بشيء.

.....

في نفس المساء، جلس معها في الديسكوتيك، وسألها:

- طمئيني؟
- آخر الأخبار أني سأنتحر.
- تنتحري؟!
- قررت أهددهم في البيت، لو رفضوا زواجنا، أرمي نفسي في النيل.
- وأنا أنقذك. وأخذك على حصان أبيض. ونطير.

ضحكت وهي تقول:

- إحنا الاثنين تصدّق مجانين.
- قبل ما أعرفك كنت أعقل واحد في العالم.
- افكر أنك ضحكت عليّ، وقلت لي هذا الكلام.

شملمها بنظرة، وكأنه يبحث في عينيها عن طوق نجاة، وهي ابنة رجل يعتد بالثراء، والألقاب، وينظر إلى الناس من برج عال، وأم تعتبر نفسها من طينة منتقاة، يا لها من كارثة يا عزيزي أن يداهم أولادنا هذا الهم، الذي يهددهم بالفقر والحاجة، ويجبرهم على التعلق بأذيال المتعجرفين من أمثال عزت سليم، وزوجته.
قال معاتبًا:

- قلت لي ستقنعين أباك؟

- وفيه أكثر من أني أرمى نفسي في النيل؟!

ابتسم ناسيًا أوجاعه:

- عرفت إذن أنك تموتين في؟

اتسعت عيناها الخضراء مثل أمها، فبدت مبهرة له، وقالت:

- يخرب عقلك، تكون فكرت بجد أني سأرمى نفسي في النيل؟!

- يا خير؟! بعيد الشر! المهم أنت تحبينني، وأنا أموت فيك، أعشقتك.

علت ضحكتها، وغمغمت بكلمات فرنسية لم يسمعها، ثم استقرت بعينيها على

وجهه، وقالت:

- لأول مرة أتمنى أدخل تجربة حب بجد... وأكملها للآخر، نفسي أجرب

الجد مرة في حياتي، أنت عملت لي حاجة في دماغي.

- في قلبك.

- أنت دماغك عباسية.

- أنا مجنون بحبك.

تمنيت أن تبادل ابننا الحب، تتمرد على تقاليد طبقتها، وتخرج من شرنقة

أرستقراطية عتيقة، متمسكة بمخايل عزّ ولي.

دخل واستقر على مقعده، متلفعاً بصمت ثقيل، حتى وهو معنا -بعد الكارثة- كان يخيم عليه سكون تجاوزه لانشغالي بهول المصيبة، بعد أيام زاد قلقي عليه، واهتز يقيني في صلابته، وبدا لي استسلامه للمصيبة جلياً، أو ربما يخفي ما لا أعرفه، هل يعرف أصل الدين، اللعبة الحقيرة التي دبرت بليل ضد أبيه؟! وهل هو له دور في..... لا مستحيل.. مستحيل، بُعداً للأفكار السوداء.

قال سامح قاطعاً فواصل الصمت:

- اليوم، اشتكى عمال المصنع من غيابك، وإهمالك لشغلك.

تململ ماجد، واكتفى بنظرة نحو أخيه، الذي تابع قائلاً:

- ماجد! الإهمال في العمل في هذه الظروف، مصيبة.

نظر ماجد إليّ، وقال:

- فكرت كثيراً في أن كلاً منا يأخذ حقه، ويتصرف فيه بمعرفته.

صاح أخوه:

- حق؟! وأنت تعلم أن التركة مرهونة؟ خذ حقاك وشيل ما عليها من ديون.

ضبطت أعصابي، وقلت محذرة:

- لن أسمح بهذا الكلام... لا قبل المصيبة التي حطت على أدمغتنا، ولا بعدها. ولا

يفكر أحدكم في القفز من المركب، الذي يوشك على الغرق؛ لأنني لن أسمح له ولا

لكم بالغرق، فلن تفلح الكارثة في أن تنال مني.

قطع رنين التليفون حديثنا، وجاء صوتها:

- هاني عمل حادثة، ونقلته للمستشفى!

صرخت في فزع:

- هاني!

** **

لبنى الشرقاوي

رأيتها في المستشفى، كانت تبدي لهفة على هاني فشلت في إخفائها، أيقنت أنها تحبه، قالت لي:

- تحركت بالسيارة، ولمحت المجرمين في المرأة.

غمغم سامح:

- مجرمين؟!

واصلت حديثها:

- قيدوا حركة هاني ودفعوه عنوة في السيارة وانطلقوا به، لاحقتهم حتى

أول شارع صلاح سالم، أبطأوا من السرعة، فوجئت بالباب يفتح

ودفعوا به إلى الرصيف، فحملته إلى المستشفى، واتصلت بحضرتك.

دخل ماجد، وقال:

- الدكتور طمأنني، بعض الكدمات، والخدوش.

تعلقت عيوننا بهاني، باحثة عن تفسير لما حدث، فقال:

- مكرم السرجاني، اتصل بي أحد رجاله وهددني.. وحاولت عصابته

اختطافي.

قلت بلهجة غاضبة:

- قلت لك أوقف حملتك الصحفية على شركاء عزت سليم، لم تسمع

كلامي.

التفتت لبنى نحوي، وقالت:

- حتى لو توقفنا نحن عن الكتابة، سيكلف رئيس التحرير غيرنا ليكمل الحملة.

قلت:

- المهم هاني لا يكتب اسمه عليها.

قال هاني معترضاً:

- يا ماما بعد المجهود الكبير، والتعب، وال...
أكملت لبني في حماس:

- التحقيق رشحته نقابة الصحفيين، كأفضل تحقيق صحفي هذا العام.

نظرت إلى هاني، وقلت:

- اخرج بالسلامة أولاً، ولنا بعدها كلام آخر.

وقفت وأنا أخطو نحو الباب، لحقت بي:

- ليلى هانم.

قلت باقتضاب:

- نعم.

اصطحبني إلى الخارج، وقد استحوذ عليها قلق حقيقي، قالت في لهفة:

- هاني في الفترة الأخيرة أصبح عصبياً. ومشدوداً، وأنا قلقة عليه.

قلقة عليه!؟

هي تحبه! أنا امرأة يا عزيزي، وأعرف حال المرأة عندما تحب، لبني تحب ابني..

يعاني قلبها من الלהفة عليه، تأملت وجهها.. تسكنه عاطفة تعاني منها.. مستسلمة

لها، لم تقدر على إخفاءها عني، وجهها رغم سمرة به حُسن وإغراء خاص، أرى في

عينها بريقًا يُغري شابًا مثل ابننا الذي لم يسبق له تجربة مع النساء، تعاطفتُ معها، أو ربما أردت إخفاء حقيقة ما يدور في عقلي، فكل ما كنت أتشبه به هو إنقاذ أولادي من الضياع.

لحق بنا سامح وماجد، تطلعت إليهما، وهي تقول:

- لخوفي على هاني؛ سأتوقف عن الحملة الصحفية فورًا..

قالت وأسرعت إلى سيارتها، وكأنها تهرب.. كنت أشعر بعاطفتها التي تعاني من مرارتها، وعجزت عن إخفاءها.

قلت وأنا أخطو نحو السيارة:

- لازم نبلغ البوليس، ونتهم مكرم السرجاني؛ ليعرف أن ما حصل لأخيكم لن يمر بدون حساب..

ونحن نستقل السيارة، اتصلت بالمحامي:

- أستاذ نجيب، أحتاجك في موضوع لا يحتاج أي تأجيل، أتمنى تكون على وصول.

- تحت أمرك يا ليلي هانم، سأصل بكرة بعد الظهر.

- سأكون في انتظارك.

أغلقت الهاتف، وقلت:

- بعد فتح الوصية، سأحدد موعدًا مع سرحان عبد الشفيع.

قدت السيارة، وخيم علينا الصمت للحظات، قبل أن يهمس ماجد:

- بابا وقته كان سفرًا وصفقات، وأنت يا ماما مربيانا وأي خروج عن

طوعك نعتبره عقوقًا، لكن...

قاطعته:

- هو فعلاً عقوق.

قال سامح:

- لو الدَّين حقيقي وجرت رشنس أخذت كل حاجة، ولقينا نفسنا في الشارع...

انتفض ماجد، وهو يقول:

- أنا الوحيد الذي سيكون في الشارع، أنت ستجد أي شركة ملاحه تشتغل فيها وتعيش، وهاني صحفي، حتى أنتِ يا ماما ما ورثته من جدي يكفيك لكن ماذا أفعل أنا؟

ضغطت على الفرامل، وقبضت بأصابعي على عجلة القيادة، وقلت لهما:

- لا. لن يأخذ منا أحد قرشاً واحداً، جمعه أبوكم بالجهد والتعب، لن نتركهم ينهشون مجهود سنوات، سندافع عن أنفسنا، وعن سمعة أبيكم.

خيّم صمت ثقيل، قطعه رنين الموبايل، فأغلقه سامح ولم يرد، وصلنا الفيلا ودخل كل منا غرفته.

قبل أن يغشانا النوم، تحدث سامح إلى نشوى، التي جاء صوتها ملهوفاً:

- سامح! أنا أعرفك فيه شيء غير طبيعي عندكم، طمئني أرجوك.

قال بصوت مختنق:

- أخي هاني عمل حادثة، لكن الحمد لله جاءت سليمة، وأنا عدت حالاً من المستشفى.

** **

رزق السلاموني

أدرك رزق السلاموني رغم وعيه المحدود، أنه في حاجة ماسة في هذه المدينة الطاحنة، إلى ظل شجرة مغروسة في سابع أرض، ليحتمي بها من قيظ الحياة، وقسوة الظروف، وسط بشر هو غريب بينهم، بسمرته القاتمة، وملامحه الحادة.. الثاقبة، وعينيه البنيتين اللامعتين، وجد في ابن الباشا بغيته، ليحتمي به من غائلة الفقر، فليست جريمة أن يدفع عن نفسه الحاجة والجوع، فتودد إليه في حرص وتكتم، ودس أنفه في الخلاف الحاد مع شريكه، بنقل الأخبار، مُبدئاً خوفاً على المصلحة ليس إلا، ومخافة خراب شركة تؤويه، وهي مصدر لقمة عيشه بالحلال.

.....

تواصل حديث عزت له عبر الموبايل:

- لازم تعرف، موعد نقل البضاعة وتبلغني قبلها..
- حاضر، هو سينقلها إلى شقته القديمة في الظاهر يا باشا.
- شعر بها وراءه، فاضطرب، وأغلق الهاتف.

قالت له أميرة:

- السرجاني لو هرشك سيسجنك.
- يسجنني أنا؟!
- نعم.

** **

عزت سليم

قال عزت لزوجته متبرماً وهو يخطو نحوها:

- بنتك مُصرّة على الولد ابن جلال الشناوي.

تفحصت وجهه بعينها الصافية، وقالت:

- هي تحبه، وعلى الأقل نعرف عائلته.

- حُب؟! أنا لا أعرف هذا الكلام الفارغ!

مست وجهها ابتسامة لا تخلو من ندم عميق؛ لقبولها الزواج من هذا الرجل،

وهمست ساخرة:

- عندك حق، الحب كلام فارغ.

تبادلا نظرة، هي ذاتها منذ سنوات، أطبقت على أوجاع الماضي، أسدل جفنيه،

حاول الفرار منها، في أعماقها شيء لا يفهمه، يشعر بها وخزة حارقة تقلل من

شأنه، وتطيح به إلى قرار بارد كالثلج، الحب! وما الحب إلا كلمة امتهنت وتشتت

معناها، قالها الفقراء والرعاى بحثاً عن قيمة لذواتهم.

قال:

- أرجوكِ يا نوال.

قالت وهي تقف، وتتأهب للانصراف:

- أنت حر مع بنتك، لكن انتبه قبل أن تجدها ساحبة في يدها، واحداً لا

أصل له ولا فصل.

فتحت ميرفت الباب وخطت نحوهما، استدركت نوال متبرمة:

- شرفت؟

جلست فيفي قبالتها وقالت:

- يا جماعة اهدأوا. وصلوا على النبي.

تركتهما نوال وصعدت السلم.

قالت فيفي لأبيها معاتبه:

- عزت باشا خير؟

- كله من تحت رأسك..

- أنا!

- أنا حذرتك، وقلت لك تقطعي علاقتك بالولد ابن جلال الشناوي.

- وأنا من حقي أعرف السبب.

- قلت لك السبب أبوه... مات مديوناً لطوب الأرض، وقريباً سيعلن عن

مزاد لبيع تركته كلها.

- لكن أنا أحبه، والفقير ليس مشكلة.

- الفقر مشكلة العالم كله، كل الحروب سببها الفقر، والجوع، والمرض،

وال..

قاطعته ابنته:

- عزت باشا... أكون أنا مجلس حقوق الفقراء في جمهورية حزقونيا مثلاً!

امتقع وجهه، ومط شففيه في قرف، وقال:

- أفاظ زبالة!

- لكن توجد مشكلة!

- طبعاً مشكلة؟

- أنا أحب ماجد..

- بعد كل ما قلته؟!!

قالت في استنكار:

- حضرتك قلت حاجة؟

- لو آخر واحد في الدنيا.

قالت في تحدّ:

- وأنا سأنتحر.

صاح:

- أنتِ مجنونة!

- أنا مجنونة وأتكلم جد.

- تنتحري؟! بطلي لعب عيال.

** **

ليلى أبو زيد

جاء نجيب الحريري من محطة القطار إلى الفيلا مجهدًا، رغم شعوره بالقلق من إلحاحي عليه بسرعة الحضور من الإسكندرية، جلس قبالي وتناول المظروف في لهفة، فحص أوراقه على عجل، ثم شرع في قراءته باهتمام، قرب الرجل الأوراق من عينيه، وقد انتهت ملامحه حتى انتهى منها، وظل للحظات ساكنًا على حال من القلق، ثم قال لي:

- للأسف الأوراق سليمة.

قلت مستنكرة:

- جلال مدين بهذا المبلغ، ورهن كل تركته؟!!

- يوجد توقيع بصمة يده، وبصمة العين، فقرة في آخر كل ورقة تؤكد ذلك، والطب الشرعي هنا ممكن يثبت صحته.

تناول فنجان القهوة، وغمغم:

- ليلى هانم...

قاطعته بصوت حاد:

- هي كلمة واحدة تحل اللغز، زوجي أدين بهذه الأموال؟

قال في ثقة:

- مستحيل، فيه لعبة اتلعبت، أفكر الله يرحمه كان دخل قبل الوفاة بخمس سنين، مجال التجارة الإلكترونية مع شركاء مصريين وأجانب، لتسهيل فتح الاعتمادات، والتعاقد على الصفقات، ووو...

قاطعته:

- بصفتك مستشاره القانوني وقبل ذلك أنتم أصحاب، بعد قراءتك لهذه الأوراق، ما تفسيرك؟

- في بعض القضايا جلال الله يرحمه، كان يستعين بمكاتب قانونية غير مكثي.

انقبض قلبي أكثر، كنت أتمسك بأمل واهٍ، بكلمة تكشف أن كل ما حدث هو دعاية سمجة، والآن تبدد الوهم بالنجاة، واستحال الشك يقينًا كبيرًا من أنك تركتنا للضياع.

استدركت وكأنني أحدث نفسي:

- الموضوع حقيقي... زوجي رهن كل حاجة!

- ننتظر حتى نقابل سرحان عبد الشفيق، ممكن نعرف منه معلومة، نصل بها إلى طرف من الحقيقة.

كدت أصرخ:

- أستاذ نجيب، الحقيقة هي عملية نصب محكمة.

- احتمال قائم، أقرب إلى اليقين، ممكن تكون عصابة دولية اشتغلت على جلال، أو على شركاته الأجانب، مثلًا اخترقت ملفات حسابه

الخاص.. إيميالات، وارتكبت الجريمة.

ودّعتُ الرجل وجلست وحيدة، منذ رحيلك يداهمني شعور الوحدة، وكأنني طفلة صغيرة تائهة، ضائعة، يقبض على صدري جبل من الخوف، لا أقدر على إزاحته، أولادنا سقطت عليهم الحقيقة كمطرقة غليظة أفقدتهم توازنهم، أحاول أن أجمع شتات نفسي وشتاتهم، ولكن كيف؟!

.....

مكث هاني يومين في المستشفى، وعاد إلى الفيلا يعاني من آلام خفيفة، أحطته بالرعاية، واللهفة، حقيقة كنت خائفة عليه كما لو كان صغيراً، ليس شاباً يحب ويرغب في الزواج من زميلة تكبره، وفيما بعد، عرفت أن لها ابنة تعيش مع أبيها في أمريكا.

أعدت تحذيري إليه:

- توقف عن الحملة الصحفية، المجلة تكملها، تكلف غيرك، هي حرة.

قال راجياً:

- يا ماما ما حصل وارد في مهنة الصحافة.

ارتفع صوتي وأنا أقول:

- ووارد أن فيه صحفيين يقتلون، ويختطفون، ويختفون، وأنا لست

مستعدة لحاجة تحصل لواحد منكم.

في المساء جمعنا المائدة، قلت لهم:

- نجيب الحريري أكد لي أن توقيع بابا على الأوراق تم ببصمة اليد،

والعين.

تبادلوا النظرات فيما بينهم، ثم قال ماجد:

- جرت رشنس عصابة دولية!

استدركت:

- قال احتمال تكون تمت عملية اختراق لملفاته، أخذت نسخ إلكترونية

من أوراق الملكية بتوقيعه، شيء من هذا القبيل، وارتكبت الجريمة.

قال هاني:

- عصابة محترفة.

قال سامح:

- بابا الله يرحمه وقع ضحية خطة محكمة، من مجرمين عملوا حساب كل حاجة.

ألقى ماجد بالملعقة في الطبق، فأحدثت صوتًا، وقال في عصبية:

- وسيضغطون علينا، ويحاربوننا حتى نضطر لتصفية التركة، وبيعها لهم أو لوكلائهم.

- طلبت من نجيب أن يحدد موعدًا آخر مع سرحان.

واصل ماجد في عصبية، وقال:

- يا ماما هذه عصابة دولية.

مسحت فمي بمنديل، نظرت نحوه، لم أره بهذا السوء من قبل، وعصفت بي لفحة باردة من الشك، هل يُخفي ماجد شيئًا لا نعرفه! هل يعرف حقيقة اللعبة الحقيرة التي دُبرت بليل ضد أبيه، وضدنا؟ لا.. يقينًا لا.
بُعدًا لأفكار السوء.

قلت في هدوء:

- أرجوكم لا أريد أن يتملك منا اليأس.

** **

-5-

ماجد الشناوي

- أنا ماجد جلال الشناوي، أتمنى يسمح وقتك بكرة أشرب معك فنجان قهوة.

هكذا يجب أن يبدأ مع رجل قلت.. إنه يعيش على أطلال زمن مضى، مما فاقم من شعوره بضغوط تثقل كاهله، يطارده إحساس بالقرف، من كونه انتهازي، كاذب، يقيم علاقة حب لا وجود له، وزواج على غير أساس، ولكنه في قرار عقله يسخر من تلك الأفكار، ومن الناس، ومن العالم، ومن الزواج القائم على الحب، والعشق، والهيام، فما بال زواج الصالونات الناجح، وزواج الحب الفاشل، المهم الصراحة ووضوح الهدف، نعم أنا أريد أن أقفز من سفينة الأسرة المهددة بالغرق، بل الغارقة فعلاً، غمغم في نفسه. لا وقت عندي للحب. صباح اليوم التالي، وهو في الطريق إلى مكتبه اتصل بعزت سليم، فرد عليه باقتضاب:

- أهلاً.

- ممكن تسمح لي بزيارة؟

تساءل في غلظة:

- خير!

-

- تشرب معي قهوة؟!

وضحك ساخرًا وهو يستدرك:

- ههه... عارف طبعًا السبب، واختصارًا للوقت أقول لك: أنا لا أوافق أن

تتزوج ابنتي.

- ممكن أعرف الأسباب؟

- من حقك، ومن حقي أحتفظ بها لنفسي.

واستدرك مهددًا:

- وأحذرك من الاقتراب منها.

وأغلق الموبايل.

شعر بصفعة قاسية على وجهه، ولكنه سيروّض نفسه على المزيد من الصفعات، وعلى تغير وجوه البشر، وصل إلى عنابر الإنتاج، تجول بين العمال، تحدث معهم، أبدى ملاحظاته لمهندسي الجودة.. تابع سير العمل لساعتين، عادة اكتسبها من والده الراحل، وهو يصحبه بعد تخرجه إلى أحد مصانعه في شبرا، قال له: إذا أردت أن تفكر في حل مشكلة، تشاغل عنها لبعض الوقت، ابذل مجهودًا عضليًا قاسيًا، ثم استرخ في هدوء وابحث عن الحل، حتمًا ستجده! ولكنه عندما دخل مكتبه، كانت تطارده ذات الأفكار المتلاطمة، وتردد صوت عزت سليم في رأسه: "من حقي أحتفظ بالأسباب لنفسي"، أسباب! لعله يعرف...! ردد لنفسه متشبثًا باطمئنان كاذب.. لا.

في المساء التقيا، فواجهته:

- أنت عملت لي أكبر مشكلة في البيت، قلت لهم لو لم أتزوج ماجد ممكن

انتحر.

تملاها بنظرة هيام، وخفق قلبه خفقة حقيقية بإحساس يتغنون به منذ آدم وحواء، هل هذا هو الحب؟ الساحر الذي يحيي القلوب، ويهبها وهمًا كبيرًا، أو ربما حياة حقيقية، سخر لبرهة من أفكاره، وألقى بنظرته الثانية، فقدفته بسهم حاد، ظنه مرسومًا يخترق قلبًا، قربت وجهها منه، وهمست:

- أنا فكرت نخط هذا العالم الخربان أمام الأمر الواقع..

تراجعت نظرته الثالثة أمام جرأتها، وهي ترى فتاة تراوده عن نفسه، فاحتشدت طيور الغواية المارقة في رأسه.

غمغم:

- لا.

كادت تصفعه على وجهه، وقال:

- أنت فكّرت إ...!

قاطعها:

- نتزوج من غير موافقتهم؟

ضحكت في نعومة، وجذبت أنفه، وقالت:

- أقصد تزور بابا من غير موعد، افرض نفسك عليه، "اروشه".

- فكرة..

حملق فيها، تملّى جمالها..

عندما رأيتهما وجدتها تشبه أمها، البشرة الناصعة، والعيون الزرقاء، حتى الصوت.

سألته وهما يرقصان على موسيقى صاخبة:

- اتفقنا تزور عزت سليم من غير موعد؟

- ممكن أقابله الليلة؟

- ممكن.. هو يسهر في النادي.

دارت مع الأضواء الملونة، وسط أشباح تتقاذف على إيقاعات سريعة لاهثة، ابتعدت عنه واقترب منها آخر، احتضن خصرها وجذبها نحوه، وقال هامسًا: ماما مسافرة مع رجل متيم بها لعقد صفقة، والشقة خالية.. حتى الشغالة طردها ليخلو الجو لنا، لم تُفق من لهاثها للحظات إلا عندما جذبها أكثر، فتصلبت عضلاتها فجأة وقالت.. أنت مُصرّ! ردّ بأنفاس مخمورة: هي فرصة لا تعوّض، واستدرك مثل لبؤة: ساعة الحظ لا تعوّض، لوحت بيدها راسمة قوسًا في الفراغ، ثم انقضت على وجهه بكل قوة، ترنح وسقط أرضًا تحت أرجل الراقصين، وسقطت فوقه.. كالت له اللكمات لدقائق، وكأنها فقدت وعيها، ولم تُفق إلا عندما رُفعت بصعوبة من فوقه، قبل أن يلفظ أنفاسه، صرخ صاحب المحل في البودي جارادات:

- منتظرين حتى تكسر المحل!

اندفع إليها الرجال، فتدخل ماجد واصطحبها إلى الخارج، سارا نحو سيارتها، واحتواها بعينيه، في هذه اللحظة، ربما.. خفق قلبه للمرة الثانية خفقة حقيقية بإحساس ساحر، وشعر بوخز سهم الحب اللذيذ، وقد أيقظ قلبه من سبات طويل، وكأنه طفل يولد من جديد، يبدأ حياة حقيقية، سخر لبرهة من أفكاره، وألقى بنظرة عاشرة نحو عينيها، وقال بصوت ممتلئ بعزف لم يعتده:

- أحبك.

ابتسمت وانطلقت بسيارتها..

قال لي:

- في هذه اللحظة أحببتها.
وسولت له نفسه أمراً، فأسرع إلى سيارته وانطلق إلى بُغيته.

** **

حامد سليم

في ركنهما المفضل في الروف، حيث زهور لامعة، وعصافير سادرة في هدوء بين أوراق خضراء، امتدت مائدة الأرابيسك، وموسيقى طقطوقة قديمة، وضع المترو دوتيل الشاي الأخضر وانصرف، تأمل وجه صديقه في حيرة، وانتظر.

حامد الذي يتمنع عن زيارة الفيلا لأسابيع رغم إلحاح قلبه، خوفاً من أن تكشف نظرة عابرة حقيقة مشاعره الشاخصة في شوق إلى طيفها، فالحب له رائحة نفاذة، ولون لا تخطئه عين، عندما طال الصمت، نظر إليه.. يراه على غير عادته، يضع عينيه في كأسه، وتطفو في قلبه مشاعره المركبة لصدافته الغريبة.. المتناقضة، ضغطت عليه حيرة، وكما هي عادته كلما أراد أن يمتحن مشاعره، التي لا يشعر بوجودها إلا بافتقادها عند الآخرين، وكل الآخرين عنده هم صديقه اللدود، وابن عمه "عزت سليم"، وافق الليلة على لقائه، وتقابلا بعيداً عن نوال، جلس إليه يلاعبه دور طاولة، أو شطرنج، يستدرجه إلى مربعات، يحاصره، فيمتلئ بنشوة مثل جمرة متوهجة، ويمتلئ غريمه بالغيظ، فيطيح بالقطع البيضاء والسوداء، الليلة يراه على غير عادته، منذ فترة يحاصره همٌّ ثقيل، ولكنه -حامد- يجيد التحكم في مشاعره، لا تنم عنه شاردة يلتقطها عقل صديقه، يقبض على زمام أمره، يقينه أنه لا يشعر بما في أعماقه، ولا في أعماق زوجته من حرمان، الحبّ شيء لا يفهمه، لا يشعر به، الحب! ههه... كلمة امتهنت وتشتت معناها، قالها الفقراء والرعاغ بحثاً عن قيمة لذواتهم.

قطع الصمت وسأله:

- ما الحكاية يا عزت؟

- الولد ابن جلال الشناوي، شغل عقل البننت، وتجراً واتصل بي.

لمعت عيناه، فيفي الطفلة! يااه ه.. سرقنا الزمن يا نوال، ابنتك صارت عروسًا ستزوج، ويكون لها أطفال، وتصيرين جدة! جدة جميلة، ترفل في حُسن نادر، وأنوثة ثرية دسمة، نعم لم تمنحيني وعدًا خفيًا، فتوسلتُ بحب صامت، كظمته وانتظرتُ، كيف حدث هذا، وفيما مضى؟ في هذه اللحظة يشعر بالجريمة التي ارتكبها في حق نفسه، ضيِّع عمره في وهم حبّ ربما لا وجود له.

قال:

- تسمح لي أتدخل؟ أنا أعتبر ميرفت بنتي.

- جلال الشناوي فلاح قراري، طول عمره غامض، حاولت أدخل معه في

شراكة فرفض، هزلت!

- ممكن تعمل شراكة مع ابنه.

انحنى على المائدة، وقال:

- لا أكتمك سرًا، كانت فيه محاولات وضغوط تمت على جلال الشناوي

من مسئولين كبار للعمل معه، ولكنه رفض، والآن تسربت لي معلومات

خطيرة، عن تصفية شركته، بطرق ملتوية، وغير قانونية لإجباره على

بيعها.

- قبل وفاته؟

- نعم.

سأله متوجسًا:

- هل توفي، أم قتل عمدًا؟

نفث سحابة من دخان سيجاره الأسود، وقال:

- لا أعرف.

ثم خيم صمت، حتى انقض على المائدة، وجلس على مقعد ثالث لم ينتها لوجوده، إلا وهو يقول:

- ماجد جلال الشناوي.

تبادل الصديقان نظرة مضطربة، واصل ماجد حديثه:

- أحب ابنتك، وأطلب يدها منك.

غمغم بوجه محتقن:

- آه..

هذه المجنون جاء ليعكر ركنه الوحيد الرائق، جاء ليفسد هدوء أعصابه، نظر إليه متقززا، ها هي فرصته لدفن سليل فلاح خرج من التراب، ورفع رأسه في وجهه، انفجر ضاحكا، وقال لحامد:

- ههه... هزلت يا حامد يا ابن عمي، بنتي أنا سليل الباشوات تتزوج من

هذا؟

وقف ماجد وقال باقتضاب:

- سعيدة.

ثم استدار، فأوقفه حامد:

- انتظر يا باشمهندس.

واستدرك ناصحا:

- أنت تجهل الأصول!

قال ماجد:

- عزت بيه رافض.

صرخ عزت في وجهه مقاطعاً:

- لن تتزوج ابنتي، ولو انطبقت السماء على الأرض.

ثم وقف وقال لحامد:

- تعال وصلني الفيلا لأن الأستاذ عصّبي.

في السيارة إلى مصر الجديدة، رنّ الهاتف.

- ألو.. مَنْ؟

جاء صوته الغليظ مسترحماً:

- حبيبك مكرم السرجاني يا سعادة الباشا، أنا فكرت في رأى معاليك.

اقتنص عزت ضحكة يابسة من براثن الضيق، والغیظ:

وواصل صوت السرجاني عبر الموبايل:

- من حقك تراجع الشغل، وتختار مكتب المحاسبة، من حقك تطمئن على

الشركة.

-

- أنا تحت أمرك في أي وقت.

أغلق الهاتف، وأخذ يدور مثل ضبع عقره ذئب في مؤخرته على حين غرة،

التفت، وقال لسوسة:

- بكرة تكلم المحامي يرفع على عزت سليم دعوى، تطلب ندب خبير من

مكتب الخبراء، يثبت أن مصنع آل سليم ملك شركة السرجاني، وركّز

قليلاً مع الولد الصحفي ابن الشناوي. لازم تنهي موضوعه.

- اطمئن بكرة أسمعك أخباراً حلوة.

** **

عاد ماجد إلى الفيلا في ساعة متأخرة، وجدني في انتظاره، قلت له:

- سنذهب لسرحان غدًا.

التزم الصمت، فسألته:

- ما لك؟

- قابلت عزت سليم، وفور دمي.

تبدلت ملامحي، كنت أكتم ثورتي وأمنعها من الانفجار، فالتزمت الصمت. قال

وهو يخطو نحو باب غرفته:

- اتفقت معها على الزواج رغم رفضه.

كظمت غيظي، وقلت باقتضاب:

- مُصِرٌّ؟

عاد إليّ، ووقف قبالي، وقال:

- أنا أحب فيفي، وهي تحبني.

وانصرف إلى غرفته.

** **

سرحان عبد الشفيح

ذهبتُ إليه وكأنني أذهب إلى محكمة حبالها طويلة، لن تبتّ في الأمر بسهولة، سندوخ في أروقتها. بين أرشيف ودفاتر معبّاة بالتراب، والأحبار والأختام، حتى نستقر على لا شيء.

اصطحبت أولادي ونجيب الحريري-محاميك- كان مثلنا يحمل همًّا لم يحسب له حسابًا، هذه هي المرة الثانية التي ألتقي فيها بسرحان، جرى بصري على المكتب الأنيق، اللوحات والستائر، واصطدمت عيني بلوحة Great Persians Co، اللوجو، والعلامة التجارية، وموقعها الإلكتروني، يحملها فرس أسود، رأيته شيطانًا بقرون ينظر نحونا، خطة محكمة، أليست لعبة الدين كذلك؟ قال أولادك.. إنك وقعت ضحية خطة محكمة من مجرمين عملوا حساب كل حاجة، سيضغطون علينا، ويحاربوننا حتى نضطر لتصفية الشركة، وبيعها لهم برخص التراب، ازداد سخطي على الجميع، وتمنيت أن تواتيني القدرة والشجاعة على إضرام النار في كل اللصوص والخونة.

استقبلتنا السكرتيرة، أشارت لنا:

- لحظة أبلغ سرحان بيه.

انصرفت إلى مكتبه، وعادت بعد لحظات:

- انتظروا دقائق.

جلستُ إلى لاب توب، وانهمكت في معالجة أزراره.

استقر هاني إلى جوارِي، وانشغل بتدوين مقالته لإرسالها إلى المجلة، وخيم الصمت على شقيقيه، وأنا أقفز بفكري إلى الأمام، عند آخر نقطة أسفل القرار..

البئر المظلم، الآن إما الدفع وإما الحبس والبهدة.. والتمرغ في وحل الفقر، أه يا عزيزي، تقتلني الحيرة، وتحاصرني الهواجس، والرغبة في حرق الدنيا على أدمغة هؤلاء اللصوص.

مرت دقائق ثقيلة صاخبة، ربع ساعة، ثم نصف، ورن هاتف رفعتة السكرتيرة، وغمغت بكلمات سريعة، ثم التفتت نحونا وقالت:

- سرحان بيه جاءه اجتماع مفاجئ، ويعتذر عن المقابلة.

تبادلنا النظرات، قال نجيب لها راجياً:

- بلغيه لن نؤخره عن شغله، خمس دقائق فقط.

رمقته الفتاة وقالت:

- سرحان بيه عصبي جداً، ممكن..

قاطعها ماجد، ووقف في عصبية، ثم قفز إلى باب المكتب دفعه، وهجم على الرجل، رفعه بكل عنف وقبل أن يلكمه أمسك به أخواه، ولكنه تمكن من التخلص منهما وأطاح بوجه الرجل فألقاه أرضاً، وهو يصرخ فيه:

- حرامي ابن كلب.

لحظات وحاصرنا أمن المكتب، أشار لهم سرحان وهو يعدل من وضعه:

- اطردهم بره.

خرجنا، وأنا أقود السيارة في طريق العودة، وكأنني أوصل القفز إلى الأمام.. نحو السقوط إلى قرار النهاية، لنقف هنا جميعاً ونسأل أنفسنا..

ما العمل؟

قال ماجد في عصبية:

- لص جبان.

رد سامح غاضبًا:

- ومجرم، لكن تصرفك كان ممكن يعرضنا للهدلة كلنا، وماما معنا.

قال هاني:

- منع الأمن من التعرض لنا، لكنه سيرد على إهانتته في مكتبته.

قال سامح لماجد في حدة:

- يجب أن يوضع حدٌ لإهمالك.

قال ماجد مستنكرًا:

- إهمال؟!!

- أهملت الشغل في المصانع.

كظم ماجد غيظه، وقال:

- لست ولي أمري، ولا أنا نفر على مركب، وأنت الكوماندا.

واستدرك، وهو يشيح بوجهه:

- بدأنا نختلف!

خطوتُ إلى فوتيل، وقلت في مرارة:

- تختلفوا! مستحيل تختلفوا بعد هذه المصيبة، ولن أسمح لأي أحد

بالقفز من المركب الآن.

قال ماجد:

- هذا لا يمنع أن كل واحد يعرف حقه.

اندلع الحريق، وصرخ سامح:

- حقه! طول عمرك أناني.

رد ماجد في تحدّي:

- لا تلعب دور الأب، ليس دورك.

أنشب سامح أصابعه في عنق شقيقه، وهو يصرخ:

- أنت تافه وقليل الأدب.

تبادلا الصفعات واللكمات، وهاني يصرخ بينهما دون جدوى..

كمطرقة هوت فوق رأسي، بحثتُ عنك لأستنجد بك، تعلقت بك، وناديت

بصوت عميق، صرخت، ناديت، واصلت النداء.. جلال.. جلال، حتى تلاشى

النداء، وعند آخر نقطة، أسفل قرار البئر المظلم، حيث استقرت صورتك

الأخيرة، انقض يقين ليؤكد مأساة رحيلك الكارثي، تداخلت الأصوات، والصور

على شاشة قلبك المعتمة، بدا كبيرًا كالمحيط، نعم يا حبيبي رحلت، وتركتنا، ها أنا

وحيدة، مثل طفلة صغيرة تائهة، ضائعة، تحاول لمّ شتاتها.

جلال... أولادنا يتعاركون!

قلت لي...

.....

وقفت، وصرخت:

- كفى.. كفى... كفى...

صفعت، وركلت، أطحت بهم في قسوة وعنف:

- منذ اللحظة، لن أسمح لأي منكم بالخروج عن طوعي، الرأي رأيي،

والأمر أمري، سندافع عن اسم وسمعة أبيكم بأي ثمن، وأنتم معي.

دخل سامح غرفته، وبعد دقائق خرج حاملاً حقيبته، وقال:

- أنا سأسافر البلد يومين أريح أعصابي.

واندفع خارجًا.

** **

١

هاني الشناوي

وهو يعبر رواق المجلة، سمع صوتاً يناديه.. أستاذ هاني، التفت إليه، تطلع إلى وجهه قاتم السمرة وعينيه اللامعتين، وسأله:

- نعم؟

نكس رأسه في الأرض، وقال:

- أنا رزق السلاموني، عملت مع أبيك المرحوم جلال الشناوي -الله يرحمه- منذ فترة.

- وماذا تريد؟

- يعني.. كنت أخلص له مصالحي، أصل أنا محسوبك كنت أعمل في شركة سمسرة، لها علاقة بسوق المال والبورصة..

تعجله هاني، وقال:

- أنا مشغول. تكلم؟

- أنا بصراحة كنت سرقت من والدك الله يرحمه مبلغاً.. ومن ساعتها وأنا في كرب، حصلت لي مصائب، فقدت كل حاجة، خسرت حتى ابني طفل

بريء ولد عنده كنسر؛ وكله بسبب الفلوس الحرام.

- أنت تحتاج إلى مساعدة؟ تبرع؟ أو علاج مجاني لابنك؟

- لا يا بيه. محتاج أردّ الفلوس، وتسامحني.

تأمله هاني في شك، وسأله:

- كم الفلوس؟

- خمسون ألف جنيه، بكرة أروح البنك أسحيم، بس أنت وأخوات حضرتك تسامحوني.
- ابنك عامل إيه؟
- انفجر رزق باكيًا:
- أشرف ابني. تعيش أنت، الله يرحمه.
- عاود ابني الشك في القصة، أكد لي أنها مفتعلة، غير مترابطة، هناك شيء في الخفاء، يخفيه هذا... اللص.
- سأله:
- تقول إنك اشتغلت مع أبي؟
- الله يرحمه.
- لماذا لم تذهب للمهندس ماجد لأنه عارف شغل أبي.
- ردد رزق، وعيناه تنضحان بمكر سيئ:
- أنا كان شغلي مع جلال بيه من بره، ولا أجرؤ على الذهاب إلى مكتب خنت صاحبه، الله يرحمك يا جلال بيه.
- قال وهو يتأهب للانصراف:
- يومان وأجهز المبلغ، وأتصل ب حضرتك.
- وهرول نحو البوابة الإلكترونية، تسمّر هاني للحظة واقفًا في مكانه، ثم اتجه إلى الأسانسير، فلحقت به لبني:
- صباح الخير.
- صباح الخير.

سألته:

- من هذا الرجل الذي خرج للتو؟

غمغم هاني في حيرة:

- لا أعرف.

دخلوا المكتب، وقال لها:

- لبنى، فيه حاجات أكبر من خطفي وتهديدي تمس أسرتي ماما وإخوتي،

ستعرفينها في الوقت المناسب.

تفحصته بنظرة، وسألته:

- مَنْ رأيتَه معك في الاستعلامات له علاقة بما تقول؟

- احتمال كبير.

سرحت بخيالها:

- مامتك عندها حق. وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض.

وامتعت ملامحها، واستدركت:

- بنتي لنا وحشتني قوى.

دخلنا المكتب، وقلت لها:

- جئت لأعتذر لرئيس التحرير عن استكمال التحقيق؛ لأنه لو استمرت

الحملة على السرجاني بعد ما حصل سيكون تهورًا..

- أنا سأستمر في الحملة على المجرمين.

- التصدي لمجرمين فيه خطر عليك!

قالت في إصرار:

- لن أتوقف.

تأمل ملامحها، يراها أجمل النساء، رغم عبوسها، وإهمالها لملابسها، ومظهرها، لم تعتن بإظهار جمالها، لم تضع مكياجًا، أو أحمر شفاه، أو ملابس تظهر أنوثتها. اعتذر لرئيس التحرير، عن عدم مواصلة كتابة التحقيق، واصطحبها إلى كافييه في مدينة نصر، مكان بعيد عن المجلة، وهو يجتاز المنطقة الثالثة بسيارته، وهو يمر بشارع أبو داوود الظاهري، قالت له بوجه أكثر عبوسًا؛ فازدادت سمرة:

- مصطفى العناني كان أجمل إنسان قابلته في الجامعة، وقت المحاضرة

لم يرفع عينه عن وجهي، كأنه لا يرى غيري، بعد المحاضرة دخلت

مكتبه، نظرة فابتسامة، فكلام، قلت لبابا: أنا أحب معيّدًا في الجامعة.

عبر نافذة الكافييه، كانت أشجار حديقة قريبة، وموائد متراصة، عليها بعض

الرواد من الجنسين.

سألها هاني:

- كان أفضل تكلمي مامتك.

تلاشى العبوس، فبدت له أكثر إشراقًا وأنوثة، وهي تقول في تأثر:

- الله يرحمها. كانت قد توفيت وأنا في الثانوية العامة في حادثة.

- آسف.

استدركت وهي تشرب القهوة:

- بابا سأل عليه، وعرف أنه من الطبقة المتوسطة، التي انحدرت بعد غزو

الليبرالية الاقتصادية والسياسية لكل دول العالم، تحت مصطلح النيو

ليبرالية..

سرح هاني..

النيو ليبرالية دخلت بيتنا، وعلى وشك اقتلاعنا بإعصارها المدمر.

- بابا رفض، لكنني أصررت على موقفني وتزوجته.

- رغم إرادة والدك؟!

- نعم.. فأصيب بصدمة، وتوفي، وضغط عليَّ إحساس بالذنب، بأني

السبب، العقدة كبرت وعملت أزمة بيني وبين مصطفى، سافرنا ليكمل

دراسة الدكتوراه، وحصل الانقلاب الدرامي، نسي الدكتوراه، واشتغل

سمسارًا لكل ديرتي بيزنس تتخيله.

في طريق العودة إلى وسط البلد، أخرجت لبني من حقيبتها دعوة لحضور

مؤتمر اقتصادي، تقيمه جرت رشنس في أكبر فنادق القاهرة، شملها بنظرة،

والتزمت هي الصمت.

** **

-6-

ليلى أبو زيد

اندفع حشد من البلطجية، أطاحوا بأمن المصنع، عندما حاول بعضهم التصدي لهم، انهالوا عليهم بالعصي، والسنج، فتشتت الشمل، وانتشر الخوف وهم يقتحمون العنابر، يكسرون الأبواب، والنوافذ الزجاجية، اعترضهم الأسطى شاهين، فأطاحوا به أرضاً، وهم يقتحمون المكتب، انهالوا عليه تكسيراً وتحطيمًا، ألقوا بالكمبيوتر، وكل ما في الدولاب من أوراق وملفات، اسطوانات CD وهاردات، ورفع أحدهم صورة جلال الشناوي، وقذفها فتناثر زجاجها.

وقف ماجد بين الحطام، وتحدث إلى نجيب الحريري عبر الهاتف:

- سرحان أرسل بلطجية، كَسَّروا المكتب، وخرَّبوا كل بيانات الكمبيوتر الخاصة بالشركة.

وصل صوت المحامي، مشوبًا بالجزع، والضيق:

- كان شيئًا متوقعًا، بعد التهجم عليه في مكتبه.

- سأبلغ الشرطة، وأعمل محضرًا بالواقعة.

- انتظر، نحتاج حكمة قبل أي تصرف، دع لي هذا الأمر.

فور وصولي المصنع، دخلت المكتب، يلاحقني الكابوس المرعب، لم يكن سخافات كما قال أحد أولادي، ولكنه حقيقة سوداء، مرة، ولكنني سأدافع حتى الرmq الأخير، وقفت شاردة الذهن للحظات، انتهى شاهين وبعض العمال من رفع الأنقاض، ووضع صورتك على أحد المقاعد.

قلت لماجد:

- نجيب كلمني في التليفون، وهذه أقل حاجة ممكن يعملها سرحان، والله

أعلم ماذا ينوي!

- لن يقدر على عمل شيء، لأنه لص جبان.

قلت في حدّة:

- كفى استهتارًا، لا تتهاون به أو بمن يعمل لحسابهم.

- اهدئي يا ماما.

كظمت غيظي، وقلت:

- أنا المسئولة عن كل شيء كما قلت.

خطوت نحو الباب:

- تعال، نلف في المصنع، أقابل المهندسين والعمال.

في العنابر، وبين العمال، وسط الضجيج، كنت أراك، ينساب صوتك

كموسيقى أحببتها كثيرًا..

ليلي.. اسمعي هذه المعزوفة لموزارت، وهذه لباخ، أما بيتهوفن فهو

حكاية أخرى، وعبد الوهاب، وأم كلثوم...

رجعوني عنيك لأيامي اللي راحو

رجعوني أندم على الماضي وجراحو

الآن أسمعها موسيقى حزينة، ويغمرنى شعور بمأساتي الكبيرة، ولكن شيئًا ما

ينتفض في كياني، عليّ أن أصمد، وأواجه الكارثة، وأنتصر عليها.. حبيبي هذا وعد

أقطعه مع نفسي... ومعك.

تحسست يدي، وشعرت بأصابعك تربت عليها برفق.

أفقت على صوت الأسطى شاهين:

- كنا يا ليلي هانم ننافس غزل المحلة، وكفر الدوار، وشبين الكوم. لدرجة أنهم أرسلوا أكثر من رسالة، وطلبوا حصة من شغلنا.
- وماذا حدث؟

قال الرجل أسفًا:

- من يوم ما عمل جلال بيه -الله يرحمه- عملية القلب في الخارج، والمهندس ماجد شديد مع العمال، ومن فترة وهو مشغول عن المصانع.
- ووو...

أشارت لهم جميعًا فعمّ الصمت، وقالت:

- اسمع يا أسطى شاهين، اسمعوا كلكم، أنا من الآن مسئولة عن الشغل، ولازم أعرف مشاكلكم، ومشاكل الإنتاج المعطلة، ولازم في أقرب وقت المصنع يشتغل بكل طاقته.

وأشرت لهم:

- تفضلوا على شغلكم.

وأنا في طريق العودة، اتصل بي نجيب الحريري، وقال:

- ليلي هانم، اتفقت مع سرحان على موعد بعد يومين في مكتبه.

بعد يومين استقبلنا في فتور، وفور جلوسنا، قال:

- من البداية أوضح لحضراتكم، أنا محامي ووكيل شركة جرت رشنس صاحبة الدين.

كان الرجل يتحدث بهدوء، وبهجة حيادية تمامًا، كظمت حدتي، وقلت:

- ومتى أدين زوجي بكل هذه الأموال، ورهن كل أملاكه؟!
- كل حاجة واضحة في ملف الدين، تسلمته حضرتك، وأكد نجيب الحريري قرأه.

سأله نجيب:

- لا توجد صور لإيصالات استلام دفعات لمبلغ السبعة آلاف وخمسمائة مليون.

قال سرحان:

- كل المستندات موجودة في مكتب الشركة في لندن، ولو اضطررت للجوء للقضاء ستقدم كل المستندات، ومنها إيصالات استلام أقساط المبلغ.
- جلال الله يرحمه لم يتسلم دولارًا واحدًا منكم.
- حقا ترفعي دعوى قضائية، لكن في النهاية المبلغ سيُدفع، أو يتم الحجز على التركة.

واصل الرجل حديثه في هدوء، رغم الثقة كنت ألمح في قرار عينيه ريبة من يخشى كشف جريمته، والتي حتمًا سأكتشفها يومًا ما.

أقلت عقال حدتي، وقلت:

- لن يحدث.

وثقبتُ الرجل بنظرة، ثم قلت له:

- أنا فكرت في اقتراح.
- أيّ اقتراح يحل المشكلة وبرضا الطرفين All ready، أنا موافق.
- ممكن نتفاوض على جدولة وتقسيط الدين.

تفكر الرجل للحظة، ثم قال:

- أعرض عليهم الفكرة، والرأي الأخير لهم.

فور خروجنا، قال نجيب:

- اقترح التقييط سيكسبنا وقتًا.

سرنا إلى الباركينج، وواصل حديثه:

- من فترة كان عندي قضية دين، حاولت مع شركة أي سكور

"I.SCORE" للاستعلام الائتماني في إجراءات الصلح قبل ما يعلن إفلاس

موكلي، وقبل نزول الخبر على قاعدة بيانات وزارة العدل، للأسف كان

الحكم قد صدر غيابيًا بالسجن.

- ربنا يسهل ويوافقوا على الجدولة، والتقييط.

- وصية جلال الله يرحمه، موجودة في خزانة في البنك، ليتك تعملين لي

توكيلاً، أنتِ والورثة لكي نتسلمها.

تفكرت قليلاً:

- ممكن يكون فيها أ...

قاطعني، وقال:

- لن نسبق الأحداث.

قلت له:

- نجيب في حال تمت الموافقة على التقييط، ستكون معي في إدارة

المصانع.

- أكيد.

ترکته وانطلقت بسيارتي.

** **

سامح الشناوي

وراء شجرة التوت نظر عبر الأفق، قال لنشوى:

- ماما أعصابها مرهقة جدًا.

ربتت على ظهر كفه في رفق، وقالت:

- وماجد ليس صغيرًا، حتى تمد يدك عليه.

- أعرف.

وسبح بعينه على وجهها الجميل، وقال:

- جئت البلد لأراك، وأستريح.

يومان وقبل عودته إلى القاهرة، انفرد به عمه وقال:

- فيه موضوع قديم، وأرى أن وقته قد حان.

- خير يا عمي؟

- الأرض أفكر أنها لا تهمكم.

أمي..

في هذه اللحظة أطلت نظرة عمي الماكرة، وألقت بثقلها في وجهه، لم يحاول

إخفاءها بضحكاته المفتعلة.

قال سامح:

- مَنْ قال إننا ممكن نفكر في بيع الخمسين فدائنا! وهي ما يربطنا بالبلد

- يا حبيبي مَنْ يربطك بالبلد، هو عمك وخطيبتك، وبيتها هو بيتك.

- طبعًا يا عمي، لكن نحن لا نفكر في بيع الأرض.

- سيأتي يوم وتفكرون، أنتم تربيتهم في مصر، ولا تعرفون شيئاً عن الفلاحة، أنتم حتى لا تعرفون حدود أرضكم.
 - يا عمي الأرض معك، ولو فكرنا نبيع سيكون لك طبعاً.
 - أنت تفتح الست والدتك، نكتب العقد وتستلمون تقديمة، وكل سنة أَدفع جزءاً من ثمنها.
- ودعه سامح، وقد نشب في قلبه القلق.

** **

سرحان عبد الشفيح

روف جاردن فوق أحد الفنادق النيلية، مثل سفينة فضاء عالقة، تطل على
 قاهرة جديدة غير التي يعرفها أهلها المطحونون، وبشر من علية القوم، انشغلت
 لبني الشرقاوي بفتح كاميرا الموبايل، لتسجيل حفل جرت رشنس، تمتد لوحة
 إلكترونية "Great Persians" يحملها فرس أسود، تلفت هاني عبر المكان، شخص
 بعينه حيث تناثرت وجوه، تنازعت ملامحها رغم الابتسامات، كانت تظهر خفية
 الضغائن والأحقاد، وحروب باردة، وساخنة حدّ تكسير العظام وحرقتها، قتل بلا
 رحمة يا أمي، في صراع الأموال والسلطة والنفوذ، وعلاقات ليس لها حدود، هي
 من تقود العالم، وترسم استراتيجيات، وخططاً، ومكرًا تزول منه الجبال.
 جلال! هل هذا ما تعرضت له؟ تعرضت لمكر أسود، مثل سحر الأبالسة؟
 يا الله كن معي.

نعم يا أمي، الحكاية كبيرة، ضخمة، مثل غول خرافي، تربى منذ قرون في حظيرة
 خنازير تحت الأرض، حيكت خططها في محفل سري، أعدت فيه كل
 السيناريوهات للسيطرة على العالم.
 رجال وسيدات أعمال، في قمة تألقهم ضحكات وموسيقى، وكؤوس نبيد
 فاخر، مترعة بالسُّكر البين حتى الثمالة، وسعادة غامرة.
 هتف هاني مبتسمًا في مرارة ساخرة.. وجدت اللصوص يا أمي، سرحان وشركاه،
 عزت ومكرم وعامر وحامد سليم.
 قال سرحان:

- قبل الموافقة على أي شغل معي، حلوا مشاكلكم هنا والآن..

قال مكرم مستنكرًا:

- وَمَنْ قَالَ إِنَّ فِيهِ مَشَاكِلَ يَا سِرْحَانَ بَيْتِهِ؟!

وجه سرحان مشوب بحمرة قانية، حتمًا يحقن بشرته بمخدر؛ ليعيد لها مسحة مصقولة، يتيه في بدلته الفاخرة، التي تحاكي بدل الرؤساء والملوك، وهم يلقون خطبهم، شمل مكرم بنظرة ثاقبة، وكأنه يرفع عنه ثيابه، ليراه الحشد عاريًا، تاجر مني فاتورة، لعبت معه أموال آل سليم، فعتا وتجبّر.

قال:

- من خبرتي أنّ الكلمة المأثورة: "كله تمام" تتردد كثيرًا، لإخفاء جريمة أو جرائم.

لفحت جسد مكرم العاري برودة فارتعد، قال عامر سوسة متفعرًا:

- مكرم بيه يقصد..

أشار سرحان بسبابته لإسكاته، وكأنه ينش ذبابة عفنة، وقال:

- لا تقاطعني، المشاكل واضحة ومكشوفة، والصحافة قالت كل حاجة، سواء عن مكرم بيه...

وأوماً بنظرة خفيّة إلى طرف المائدة، حيث يجلس عزت وحامد، واستدرك

بلهجة خافتة:

- أو... شركاه.

تناولت لبني قطعة كيك، وقالت لهاني:

- تفتكر سرحان عبد الشفيح هو مَنْ أرسل المستندات إلى إيميلك؟

تفحصها هاني بعينه، هل تعرفين، وتحثين الخُطى عدوًا صوب حقل الأغام،
الذي تورط أبي وأسقطنا فيه، والآن نخشى انفجارًا، يطيح بنا؟
- أمي.. الآن أراك بعين الطفل الذي كان، وعليّ أن أسمع كلامك.. نعم -
سرحان- هذا الطاووس، مصقول الوجه المخمور، هو الذي أرسل المستندات
التي تنال من مكرم السرجاني وشركاه... قبل وصوله إلى مصر، أحرق الأرض
تمهيدًا لحروبه القذرة، استعملي دون أن أدري؛ لأضرب ضربة البداية، في
سذاجة، وعبط، وأنا مغمور بسعادة بلهاء.

مال سوسة على مكرم، وقال:

- والكل مشغول هنا، أخلص نقل البضاعة إلى شقة الظاهر.

- انتبه يا سوسة، أنا شبتت تعويرًا.

- اطمئن يا بيه.

قال سرحان للجميع:

- مكنتي في لندن ممكن يفتح لكم بيزنس غير محدود، السوق الأوربي،

سيكون ملعبًا لكم بشرط.. الالتزام بالمعايير الدولية، بعيدًا عن شغل

"الفهلوة" المعتاد.

وهم واقفًا وهو يتناول قطعة مزة فاخرة، وقال:

- دبروا أموركم وفي آخر السهرة.. نكمل كلامنا.. باردون..

استدار منصرفًا نحو الباب، فاردًا ذراعيه عن آخرهما، وهتف بصوت عال

كطريقة على طبل مشدود:

- نانسي هانم القوصي، الحفلة على شرفك وتتاخرين!؟

فرسة بيضاء، مغرية، تخطو مثل غانية، يطوق العينين لون نحاسي أصفر مشوب بوله، وتدله أنثوي مثير، تهيج العواطف والرغبة، عملت مودياً.. فتاة إعلانات.. وعارضة أزياء، تردد اسمها على بعض المواقع الإلكترونية، كأجمل عارضة أزياء، كريمة مصور صحفي، عمل لوكالة أخبار فرنسية لسنوات في الثمانينيات، كان جمالها جواز سفرها الدبلوماسي، لدخول عالم أسماك قروش المال، يقيناً هي ستلعب دور البطولة النسائية مع العصاة المجرمة.

قالت بنعومة، وهي تنسحب من بين ذراعيه:

- سوري يا سرحان بيه.

أشار عزت إليها وقال لحامد:

- نانسي كريم القوصي، كان بينها وبين حسين رأفت شقيق نوال قصة

حبّ كبيرة.

بدت ابتسامة هادئة على وجه حامد لبرهة، وهو يتابع نانسي بصحبة سرحان

حتى البار الأمريكي.

قدم سرحان لها كأساً من الذهب الخالص، وسألها متعجباً:

- حقيقي ما سمعت؟!!

باقتضاب قالت:

- حقيقي.

تناولت رشفة باردة من الكأس، وهامت بنظراتها على صورتها معاً في مرآة وراء

البار مان، وقالت:

- بدأت مشاكلتي وقت ما كان عصمت مشغولاً، في تدير اتفاق مع ثلاث

دول في الاتحاد الأوروبي.

- قلت له إنها صفقة خاسرة.
- أنا طلقت من عصمت أبو النور عملياً منذ سنة، ورسمياً منذ شهر.
- قال سرحان أسفاً:
- عصمت يحبك يا نانسي.
- أولته ظهرها، وقالت ساخرة:
- يحبني؟! بأمانة أنه تزوج، واشترى لعروسه بفلوس الفقراء-التي نهبها من البلد- قصرًا في سويسرا.
- وواجهته، وواصلت حديثها بلهجة اتهام:
- أنت يا سرحان ممكن تتورط.
- وانتحت به جانبًا وهي تقول:
- عصمت صنف نمروود، أنا أخطأت لأنني لم أبلغ عنه قبل هروبه من مصر.
- وأنا حذرته، لكنه رفض النصيحة.
- ومالت نحوه متأهبة للكلام، ثم احتوته بنظرة قالت فيها الكثير؛ فتأهب للرد، ولكنهما أثرا الصمت.
- قالت نانسي:
- كل أملاك عصمت هنا، اشتغل وساعدني لتصبح ملكي.
- انتابته خشية من سقطة خطيرة، تكسر ظهره مع هذه المرأة، فقال متمننًا:
- الموضوع صعب.
- بلهجة من احتوت قياد غريمها بسياج صلب، قالت:

- وأنت تصعب عليك حاجة يا سرحان؟ سنتفق، لك العشرة في المائة وهذا مبلغ ضخّم.

غمغم:

- الموضوع محتاج تفكيرًا.

- لا تتمحك، مصاريف القضية عليّ.

- يبقى توكيل رسمي عام، ونبدأ شغل من بكرة.

- توكيل "خاص" لتمكيني من حقوقي الشرعية.

وصلا الكريدور المفضي إلى التواليت، وقالت:

- على فكرة شركة عاصم أبو النور أعلنت إفلاسها، واشترتها شركة جرت

رشنس، بعد ما تمت تسوية ودية، لقفل التحقيق في عملية غسيل

الأموال.

احتواها سرحان بنظرة عميقة، قلقة.

استدركت نانسي:

- على فكرة، ملف جرت رشنس، سرقت منه حاجة "صغنتوتة" لما كان في

خزينة عصمت، ممكن تهدّ اللعبة كلها، أروفوار.

تابعها سرحان، وهتف في سره.. يخرب بيتك يا "أبو النور".

لمحت لبني هاني وهو يتابع نانسي القوصي تخطر في سيرها، وبدت الغيرة عليها

كشعور مباغت على وجهها، حتى وهي تشير لينتبه إليها في عصبية، حتى سألهما:

- لبني، مالك؟!!

- ولا حاجة، أنت جاهز تغطي معي هذا الموضوع؟

- أنتِ قفلتِ مرة واحدة!

أشاحت بعينها بعيداً، فاستدرك هاني:

- على فكرة الحفلة وجروب رجال الأعمال هنا، هو استكمال لتحقيق المال الساخن، وال Hedge funds، وكل الأدوات المالية الجديدة التي اخترعها قراصنة المال، ستدخلنا كهف الملفات الساخنة، عندما يحين وقتها.

وأشار للجميع، وقال:

- كل هؤلاء برافانات، وراءهم لصوص كبار.

- لذلك أحتاجك معي.

تأمل سمرتها على الضوء الأحمر فبدت متوهجة كعروس، وقال:

- أنا أحتاجك معي طول العمر.

انتابها توتر مفاجئ، وهي تقول:

- أرجوك يا هاني، لازم تفصل بين الشغل والمسائل الشخصية.

ثم ولت هاربة.

.....

فجأة قفز عزت سليم كمن لدغه عقرب سام، وصرخ عبر الموبايل:

- كارثة! ماذا حدث، تكلمي يا نوال!؟

جاء صوتها، فاقداً رزانتة ووقاره:

- بنتك فضحتنا، تزوجت ابن الشناوي عرفياً من ست شهور.

وهو في الطريق إلى فيلته، أحاطه ظلام الغيظ بكسف من السماء الساقطة على رأسه، أصابته بصاعقة، بدت له العقدة الفاسدة بلا حل، استقرت في ركن قلبه العتيد، ميرفت حبيبته التي لم يحبّ أنثى سواها، تقتله بفعلة طائشة، أسقطته في هاوية ليس لها قرار، لن يقدر على انتشال نفسه من بئرها المظلم، قفز نحوها، أطاح بها بصفعة كادت تقضي عليها، صرخت وهي ملقاه على الأرض:

- آه هـ هـ.. لا يا بابا لا..

- سأقتلك!

حالت نوال بينهما، وقالت لابنتها:

- اطلعي "أوضتك".

قال عزت وهو يعاني اختناقاً:

- تفضلي شوفي تربيتك يا هانم.

- ليس هذا وقت إلقاء التهم، المهم نفكر في حلّ المشكلة.

غمغم، وقد اختنق صوته أكثر:

- مشكلة! هذه كارثة، فضيحة.

هذه الطفلة، كبرت وتزوجت من ورائك يا عزت!

جلست نوال قبالته، وقالت:

- الحلّ في أيدينا، الولد ابن الشناوي يتجوزها.. رسمياً.

- تتجوزه! وتعيش معه في الطين، ولا تريني وشها.

- المهم نلم الموضوع، تجيب الولد ده يخطبها، ونجوزها له في أسرع وقت.

ومالت هامسة حتى لا يسمعها مرجان:

- بنتك حامل.

بصق في منديل كان يمسح به وجهه، وقال:

- الكلبة!

استقرت فيفي في غرفتها، تبكي بصوت عالٍ مثل طفلة، طوقها الغيظ فاتصلت

بماجد وصرخت فيه:

- أنت سببت لي أكبر مشكلة في حياتي، عزت سليم جُنّ وضربني لأول مرة.

- ضربك؟!!

- قلت لماما أنا تزوجت عُرْفِيًّا وحامل.

- ضربك بالنار؟!!

- ضربة في قلبك! اسمع يا ابني أنت، بكرة تقابله في المكتب تقطع معه

الحوار، وإلا لا ترني خلقتك مرة ثانية.

** **

عامر سوسة

تابع العمال، وقد بدوا كاللصوص يصدرون هسيسًا كحشرات الليل، زاحفة من خرابة، وسط الظلام بعدما أطفأت الأنوار، وعطلت كاميرات المراقبة، أمام معرض السرجاني، وقف عامر سوسة يتعجلهم:

- هذه آخر عربة، بسرعة.

كانوا يحملون السيارة بالكراتين ولفائف القماش، والخردوات، وبكر الدانتيل، وفجأة علت سارينة عربة البوليس، نزلت كأنها القدر، وفي ثوان معدودة، طوّقت المكان من الأمام، ومن الشوارع الجانبية، وعلى الفور انبطح سوسة، وزحف أسفل السيارة، تابع تكاثر الأرجل حتى لم يعد يرى، فاقداً الرؤية، والإحساس، تبلدت مشاعره إلا من خوف استبد به، حتى اندفع سيال من النور إلى وجهه، وامتدت يد غليظة عاتية، جذبته في عنف، وأطاحت به إلى البوكس، وهو يللمم جملاً وكلماتٍ متناثرة في فمه:

- أنا مدير المحل، وصاحبه طلب مني نقل البضاعة، وأنا عبد المأمور.

- فيه بلاغ من عزت سليم، يتهم مكرم السرجاني بالتبديد وخيانة الأمانة.

صباح اليوم التالي، بعد ليلة سوداء، جلس سوسة أمام وكيل النيابة، قال:

- أنا المدير المالي والإداري للشركة، وأنقل بضاعة من مخزن إلى مخزن،

لأن العتّة والفئران ملأت المخازن، وهذه ليست جريمة.

- ما قولك في الاتهام المقدم من السيد عزت سليم مستشار عام الشركة

وصاحب أكبر الأسهم، بأنك قمت بعملية النقل بغرض السرقة.

- سرقة؟! لم يحدث أ...

قاطعه وكيل النيابة:

- وبلاغ آخر بأن البضاعة المنقولة، تم إعدام الدفاتر المثبتة فيها للتغطية على سرقتها؟

لاذ عامر سوسة بالصمت للحظة، ثم قال:

- لن أتكلم إلا في وجود المحامي.

دقائق ودخل المحامي، منصور سعد، وبعد إغلاق المحضر أمر وكيل النيابة بحبس عامر سوسة أربعة أيام على ذمة التحقيق، وهو في طريقه إلى الحجز، بصحبة المحامي، ولحق بهم مكرم السرجاني، قال وهو بين الخوف والرجاء:

- مكرم بيه، أبوس يدك تصرف.

- اطمئن يا عامر.

- أنا لم أذنب، أنا عبد المأمور أنا...

قال منصور في هدوء:

- أستاذ عامر أنا سأصرف.

قال سوسة وهو على وشك البكاء:

- تصرف يا متر.

ابتعد به العسكري نحو الحجز، وسأل مكرم محاميه:

- كيف سنخرج من هذه الورطة؟

- حل واحد فقط، التصالح مع عزت سليم ليتنازل عن القضية.

وكان عاصفة كالت له لكمة في وجهه، فكَزَّ على أسنانه، وهو يقول:

- ابن الباشا لعيها صح، ومنتظر أبوس يده.

واصل وقد تحشج صوته وهو يخطو نحو سيارته:

- لكن لو انطبقت السماء على الأرض، لن يحدث.. لن يحدث!

قال منصور في هدوء:

- مكرم بيه، اتركني أتفاهم مع عزت سليم.

قال مكرم وهو يدير موتور سيارته:

- لا تنسَ ندب خبير بخصوص قضية المصنع.

- اطمئن.

فور انصراف مكرم، تحدث منصور عبر الموبايل، وطلب موعدًا للقاء عزت

سليم.

** **

عزت سليم

سحقته الحادثة، وكأن شظية خارقة نفذت إلى جمجمته، فأصابته بغيوبة
 وصداع دائم، لم يستطع النوم، ذهب إلى مكتبه في ساعة مبكرة، استلقى على
 مقعده، غارقاً في سنواته الطويلة التي ولت على حين غفلة، واجه عواصف لم
 تنل منه، ولكن ما فعلته ابنته هزت أركانه الراسخة.

أفاق من شروده على رنين الموبايل:

- صباح الخير يا حامد، كنت حالاً على بالي.

- خير؟

خيم الصمت للحظة، لم يشأ التشهير بابنته حتى أمام خله الوفي، فقد انتبه
 أنها صارت امرأة، وحملت سفاحاً، خمش زجاج المكتب بأظفاره.

تردد صوت حامد عبر الموبايل:

- خير يا عزت؟!

تهدد وهو يهرب من صداعه الدائم:

- الشغل يا سيدي، شريكنا الأجنبي منذ فترة، وهو يفرض شروطاً
 تعجيزية.

- عارف.

- توقعت أنها وراء الحملة الصحفية ضد السرجاني.

- أنا شامم رائحة سرحان عبد الشفيق في الموضوع.

- تقصد من يعمل لحسابهم.

- جميعهم.

- والعمل؟

- فرع الشركة الأم هنا يقدم للضرائب ميزانيات خسرانة رغم الأرباح،
ممکن قوي أقدم الميزانيات الحقيقية.

- ممکن تؤجل الحرب.

واستدرك حامد:

- على فكرة، قبض على سوسة، متلبسًا بواقعة تهريب البضاعة من
المعرض.

قال عزت قاطعًا الكلام:

- اتصل بي محامي السرجاني وأخبرني، وهو على وصول.

- والعمل؟

- يرد كل قرش سرقه.

أغلق الهاتف وعاد إلى شروده، البنت كبرت، وأتى من يأخذها عنوة، ابن جلال
الشناوي، فلاح جاء من الطين، وجاء ابنه ليمرغ رأسه فيه، دومًا تصدمه حقائق
الحياة، بسننها، فماذا ينتظر؟

دخل منصور سعد، وهو يشرب القهوة، قال له عزت:

- مكرم يرد الفلوس التي أخذها بدون وجه حق.

قال منصور:

- وهو مستعد يدفع.

- خمسة مليون.

كاد المحامي يختنق مع آخر نقطة قهوة، وقال بصوت محتقن:

- ما على الرسول إلا البلاغ، لكن يا عزت بيه إذا أردت أن تطاع فمُر بما هو مستطاع.
- هذا مبلغ بسيط جدًا.
- هو مستعد يفتح صفحة جديدة معك.
- تغيّرت لهجته وهو يقول مهددًا:
- بلغه أن عندي أوراقًا تورطه، وتدخلة السجن.
- ابتسم الرجل، وقال:
- لنا جلسة نتفق فيها على كل شيء، ونبدأ صفحة جديدة، ولو وقتك يسمح نلتقي الليلة، ونتفق على حل.
- شرفت يا متر.
- خرج منصور سعد، واستقر عزت ساكنًا، أغمض عينيه للحظات، أفاق على صوت طرقات، ودخلت السكرتيرة:
- المهندس ماجد الشناوي ينتظر بالخارج.
- أراد أن يصرخ، يثور، يصفع ابن سليل الفلاحين الذي تجرأ، وهتك عرض ابنته، ومرغ رأسه في الطين، غمغم في فتور:
- وله عين؟!
- دخل ماجد، تبودلت النظرات للحظة، حتى خرج عزت عن صمته، وقال:
- طبعًا العملة السوداء لن تمرّ من غير ما أحاسبك عليها.
- وعلت وتيرة صوته:
- كيف تغرر ببنت ساذجة، بنت قاصر؟

قال ماجد بسخرية مستترة:

- ساذجة وقاصر؟! 23 سنة وقاصر؟!

23 سنة! أن لي أن أستفيق الآن على وقع زمن، مرّ كقطار بضاعة سريع على

عظامي فهشمها.

يا لها من مأساة جعلته يصرخ:

- أنا ممكن أدفئك، ولكن سأنقذ الموقف، تتزوجان، وبعد الفرح وشهر

عسل خسارة في بدنك تطلقها.

قال ماجد في ثقة، وهدوء بالغ:

- انس موضوع الطلاق، لأنه حق أصيل لي أنا، بالقانون، والشرع.

ودّعه بإشارة من يده، وقد أراد أن يصل في تحديه مع الباشا إلى مداه.

.....

في المساء جلس إلى حامد، كظم حزنه في قلبه، لم يشأ أن يقول شيئاً عما حدث، وصديقه يتابع تقلص وجهه، فجأة انتابته خشية على نوال، استعاد نظرتها التي استقرت على وجهه منذ ربع قرن، يقيناً نشب خلاف ما، وجاء ليستنجد به، في ركنهما المفضل، حيث زهور لامعة، وعصافير سادرة في هدوء بين أوراق خضراء امتدت مائدة الأرابيسك، وموسيقى طقطوقة قديمة، وضع المترو دوتيل الشاي الأخضر وانصرف، تأمل وجه صديقه في حيرة، وانتظر، لم يذهب إلى الفيلا رغم إلحاح قلبه، خوفاً من أن يكشف صديقه اللدود حقيقة حبّه المستقر مثل جمرة متوهجة في قلبه، وصارت قمة متعته، ولولا قدرته الفريدة على التحكم في مشاعره، والقبض على زمام أمره، لافتضح أمره. ورغم يقينه من أن عزت لا ينتبه لهذه الجمرة، ولا ما في أعماق نوال من حرمان.

الحب! ههه... كلمة قالها الفقراء والرعاى بحثًا عن اللذة، والمتعة.

غمغم حامد:

- ما لك يا عزت؟

- لا أعرف ماذا أقول.

هاجت مشاعر حامد الكامنة، قذفته الظنون إلى بعيد، حيث لا يريد ولا يتوقع، لعلها نوال، التي لم يرَ من النساء غيرها، حُسنٌ نادر، وأنوثة ثرية دسمة، تجيش مشاعره، ويقفز قلبه فرحًا مع أقل إيماءة منها، ظنّ لوقت طويل أنها لم تمنحه وعودًا للقاء خفي وحبّ، ولكنه وعبر استحضار لحظات خاطفة، أيقن أنها كم منحتة من وعود وفرص للاقتراب منها، ولكنه كان لا يملك الشجاعة، كما خشي من فقد صديقه اللدود، الذي لا يقدر على العيش إلا في ظله.

بعد صمت، قال عزت:

- البنت المجنونة تحب ابن جلال، وليس أمامي إلا الموافقة على الزواج

- خير ما تفعل.

-

-

في المساء، حضر مكرم بصحبة محاميه، أراد عزت أن ينهي الاتفاق في أسرع وقت، فقد تعكر صفوه، إلى حدّ بعيد.

قال لمنصور:

- لا تغيير فيما قلته.

صاح مكرم:

- هما مليونان لا غير، مع شرط نكتب عقداً جديداً، ويكون الحساب كل شهر بشهره.
- آسف.

أخرج المحامي صورة من العقد، وقال:

- العقد القديم عقد أسد؛ لأنه يُحابي شريكاً على حساب بقية الشركاء.
- قال عزت:

- العقد شريعة المتعاقدين.

قال حامد:

- يا جماعة لازم نتفق ونحل المشاكل.

قال مكرم:

- واضح أن عزت بيه لا يريد حلاً.

قال حامد:

- أقول لكم: نقسم البلد نصفين، مكرم يدفع مليونين ونصف مليون.

لم يكن عزت في مزاج يسمح له بالاستمرار في المساومة، وصل إلى حالة حادة من القرف، من وجوده مع السرجاني على مائدة واحدة، وقف وهو يشيح عنهم.

قال لحامد:

- تصرف يا حامد أنت.

وانصرف.

** **

-7-

هاني الشناوي

في شارع الملك الصالح بالقرب من القصر العيني، وعلى واجهة بناء شامخ عتيق، أشارت لوحة إلى عيادة دكتور روفائيل الكيالي أستاذ الجراحة بالمستشفى الجامعي، وعضو جمعية الجراحين الملكيين بلندن، دخل هاني وجلس لدقائق قبل أن يخطو نحوه رزق السلاموني مبتسمًا، جلس إلى جواره، وقدّم له حقيبة سوداء:

- الخمسون ألف جنيه بالتمام والكمال، عدّها لتطمئن.

- لا داعي.

فجأة اقتحم ضابط وعدد من الجنود المكان، محدثين اضطرابًا، بين المرضى،

قال الضابط

- كلُّ يبقى في مكانه.

خطا هاني إلى الضابط وقدم له الحقيبة:

- تفضل يا حضرة الضابط، هذه رشوة؛ لكي أوقف الحملة الصحفية

على مكرم السرجاني.

أشار الضابط إلى رزق وقال للجنود:

- اقبضوا عليه.

سقط من حالق، غرق وجهه الأسود في ابتسامة بائسة، وقال:

- يقبضون على مَنْ؟

صاح الضابط:

- خذه على البوكس.

والجنود يقتادون رزق إلى الخارج، راح يصرخ:

- هذا جزاء من يعمل خيراً في هذا البلد!

تحاشى رزق أن ينزلق إلى مصير قناوي، ويلقى به هذه المرة في الليمان، مكان أقدر من مستشفى المجانين، واصل صراخه ودفاعه المستميت عن نفسه، طوال ساعات الحجز المليء بالشقوق والحشرات، ووجوه طافحة بالشر من الحثالة، الذين يخشى أن يصير واحداً منهم، حتى وقف أمام وكيل النيابة، صاح:

- يا باشا الموضوع لا رشوة ولا يحزنون، هذه الفلوس دين عليّ وأرده

لأصحابه، هل هذا جزاء من يصحو ضميره في هذا الزمن؟

قال الوكيل:

- فيه أمر من النيابة بتسجيل مكالماتك مع هاني جلال الشناوي.

ثم أشار لكاتب المحضر:

- افتح المحضر..

غمغم رزق:

- محضر؟! يا سنة "سوخة"؟!!

واصل وكيل النيابة حديثه:

- أنه في يوم الأحد الموافق 13 / 3 / 2018 ، بمعرفتي أنا يحيى أنور علي رئيس

نيابة الزيتون.

صاح رزق منفجراً:

- لا أنا يا باشا أعترف بكل حاجة.

ألقي به في حجز مثل مرحاض عام، فكر في عزت سليم، فهو الوحيد القادر على إخراجهم من هذه الورطة، ينقذه من سجن محقق، صبَّ جام غضبه على السرجاني وسوسة، أه ه ه... يا ولاد الكلب، كبّله إجهاد عنيف، فأغمض عينيه وانزلق إلى النوم، أفاق على نداء جندي:

- رزق السلاموني.

قاده إلى مكتب عالي الجدران، وقضبان، ونافذة حديدية، دخل عبر باب حديدي، فوجده في انتظاره، فصاح في وجهه:

- أستاذ منصور! لن أشربها، رزق السلاموني لن يكون كبش فداء، ولا كبشًا بقرنين.

- السرجاني لن يبيعه، رغم أنه عارف أنك بلغت عزت بميعاد نقل البضاعة، والعملية خسرتة اثنين مليون ونصفًا..
واصل رزق صراخه:

- لا يا متر ضربهم في بعض، يكون بعيدًا عن دماغي أنا!

وخفض صوته، واستدرك:

- شوف بقى أنا ممكن أخذه معي، وأجيب رجليه، وهو عارف أنا مخبي بلاوي، لو بعبعت بيته هاي..

قال منصور في نفاذ صبر:

- رزق اسمع الكلام!

- أسمع، لكن نتفق.

-

- هو طلع سوسة -ونفسه أولاً- من القضية باثنين مليون وحتة، أنا بقى
يقدرني بمعرفته، وإذا كانت نفسه غالية عليه، أنا كمان نفسي غالية
عليّ!

عندما سمع مكرم هذا الكلام ضرب بقبضته الغليظة زجاج المكتب، وهو يقول
لمحاميه:

- الصرصار الأسود طمعان في خمسة مليون جنيه، ويهددني؟!!
- أنا قرأت تفريغ المكالمات، رزق لم يأتِ على سيرتك.
- ماذا يقصد ابن الجربانة؟!!
- كلامه بثقة قلقي.

تسلل القلق إلى مكرم، فأحى رأسه ولاذ بالصمت.

قال منصور:

- اقتراح معقول، نخرج رزق، ولكي يطمئن ممكن نرمي له الخمسين ألف
المحرزين.

صرخ مكرم بصوت عال:

- لا لا يا منصور، هما ألفان فقط.
- مكرم بيه، فيه الأخطر من رزق.
- قصدك مَنْ؟
- أميرة.
- مستحيل.
- ممكن يكون عزت لعب في دماغها.

احتدت نبرته وهو يقول:

- أنا ضامن أميرة مثل الجنيه الذهب.

رمقه منصور بنظرة ثاقبة، ووميض شك في رأسه أصاب كبد حقيقة ستتكشف قريبًا.

بعد ثلاثة أسابيع أفرج عن رزق، فلم تثبت عليه قضية الرشوة، وبمجرد وصوله لمعرض الأزهر، اقتحم المكتب، ألقى نظرة إلى السرجاني، من سراديب غائرة منذ طفولته البائسة، رآه -شحتوتة- زوجة أبيه تتلذذ بكيه بالنار، في كل أنحاء جسده المرتجف، أراد أن ينتقم، يضرب ضربته، تأمله السرجاني، وارتسمت على وجهه ابتسامة نخاس، يجيد اللعب والمساومة مع الحقراء، والأوغاد.

ها هو الصرصار الأسود يبحث عن بالوعة ينزلق إليها، قال ساخرًا:

- كفارة يا... جربوع.

بصق رزق في جوفه..

أه يا حرامي!

واصل السرجاني سخريته:

- أنا تحت أمرك يا رزق بيه!!

وانفجر يضحك في خلاعة، ثم ختمها بشخير مقزز، وهو يردد:

- أخ خ.. بيه إيه!

شملة ببياض عينيه، وغمغم في سره..

أه يا ابن الغسالة!

انفجر السرجاني:

- اخلص يا روح أمك.

لم يهتز رزق، بل كاد يلوح بقبضته، ليطيح بأنف غريمه، قال بعد برهة:

- الخمسون ألف موجودون في خزينة المحكمة باسمي، هذا ثمن صغير

مقابل الهدلة في الحجز.

ضجت الغرفة بضحكة صاخبة، وشجرة مبتذلة:

- نهار أبيك أسود من خلقتك.

وانهال عليه صفعاً وركلاً:

- أنت نسيت نفسك يا جربوع.

تقوقع رزق على الأرض، وقد استعادت حواسه، تاريخها المهيمن مع القهر والذل،

والجوع، فتلقف يد السرجاني وقبلها، وقال:

- أنا لحم أكتافي من خيرك.

- هما ألفان فقط.

- من يد ما نعدمها، أنا خدام التراب تحت جزمة سعادتك.

قذف الأموال في وجهه، وصاح:

- انصرف من وجهي.

فور خروج رزق، وجد أميرة تتأهب لدخول المكتب، قالت:

- حمد الله على السلامة يا رزق، كفارة.

- الله يسلمك.

وبإشارة خفية، قال:

- البيه منتظرك على نار.

تجاهلته، ودلفت للداخل، وصفقت الباب في وجهه، استقر رزق واقفًا،
تراقص أمامه مانيكان كأنه شيطان، أوعز إليه بالانتقام ردًا لكرامته المهذرة.
وليُعرف الجميع أنّ لكرامة ثمنًا باهظًا.

** **

ليلى أبوزيد

جلال..

عزيزي..

.....

هل ترى معي؟

هل تسمع ما أسمع؟

على شاشات ضخمة، أنوار ملونة راقصة، وموسيقى، ومدعوين، هل ترى يا جلال؟ هل تسمع؟ نعم، يقيني أنت ترى وتسمع، أنا أشعر بك، أراك، تأتي إليّ عندما أريدك، وأكون في حاجة ماسة إلى وجودك معي في هذه اللحظة، لا أقدر على أن أتصور أنك غير موجود، وبعيداً عني، لا يجب أن تكون في مكان بعيد مظلم، يجب أن تشاركني الفرحة، رغم المأساة، كنت أنتظر حضورك لنفرح معاً، ونحن نشاهد أول فرحة في الأسرة، ماجد ابننا يتزوج اليوم، هل تعرف من عروسه؟ هههه... نعم... ابنة عزت سليم، هي العروس، حتى الآن لا أصدق، فالشكوك تلاحقني، أتابع أباها على إحدى الشاشات، ألمح ترفعه وتقززه، يكاد يشير بسبابته، ويغمغم: سأدفنكم في التراب.

سرت إلى جوار العروسين، وسط صف طويل حتى أجلستهما في الكوشة، اصطحبت سامح وهاني إلى مائدة قريبة.

.....

همست فيفي لعريسها:

- أنا حتى الآن لا أصدق هذا الفيلم الهندي.

- ربنا يسترها، ويتم للأخر والبطل يتزوج البطلة.

قالت محذرة:

- أقول لك، لو ضربت لخرة الليلة أفضحك.

قرصها ماجد حتى توجعت، وقال:

- أنتِ ونيتك.

- بعد الزفة نساقر العين السخرة.

ثم هتفت:

- ولعة ولعة.

- اسمعي مفروض نسي كل حاجة.

- قوي، أنا ممكن أنسيك اسمك واسم أبيك، واسم ههم... أنت من الليلة

اسمك أبو جلمبو.

.....

قال عزت لحامد ساخرًا، وهو ينظر إلى ابنته:

- تفتكر فيه شيء اسمه حب؟

- أكيد.

- لا.. الولد ابن جلال لعب في دماغ البننت، لكن حب وكلام فارغ، لا

أصدق!

رمى نظرة نحو نوال، مطمئنًا القلب على أمل بعيد، وقال:

- أحيانًا نُجبر على فعل أشياء لا ترضينا.

واستدرك وهو يرى مكرم السرجاني يشقّ الزحام نحوهما:

- كما ستضطر إلى أن تتعامل مع السرجاني.

مدّ مكرم يده ليصافح عزت، فتلقفها في فتور:

- ألف مبروك يا عزت باشا، أنا عندي ست بنات، وميرفت ابنتي السابعة

قال عزت في فتور:

- أنا وافقت على نصف المبلغ، لأخرج سوسة فقط.

قال مكرم:

- المهم صافي يا لبن؟

قفز عامر سوسة فجأة، وقال:

- حليب يا قشدة.

-

-

تابعت عزت ومكرم، انتهت لسامح وهو يتحدث في الموبايل إلى نشوى:

- طبيعي تسمعي طبل ومزيكا، الليلة زفة ماجد عقبى لنا.

-

-

أغلق سامح الموبايل، وقال:

- وأنا في البلد، عمي تكلم معي في موضوع شراء الأرض.

قال هاني متشككاً:

- يكون عنده فكرة عن الدين والرهن؟

رد سامح في يقين:

- مستحيل، ممكن يكون شك من سبب طلبي بتأجيل الزواج، لكن..

قلت:

- ينتابني هاجس بأن الدين حرك حاجات كثيرة، علاقة ماجد ببنت عزت سليم، والسرعة التي تم بها الزواج، والعمدة يفكر يشتري الأرض، والله أعلم ماذا ينتظرنا!

وقال هاني:

- من المستندات التي وصلتني، جرت رشنس استحوذت على شركة "أبو النور" بعد ما تمت تسوية وديّة، لقفل التحقيق في دول أوروبية، في عمليات غسيل أموال.

قلت متفكرة:

- يهيا لي أن عقدة هذا اللغز في لندن، أثناء إجراء عملية القلب لأبيكم.

واستدركت:

- نجيب أفرج عن وصية أبيكم، وبعد يومين سيفتحها، ونعرف محتواها.

.....

على شاشة ضخمة ظهرت صورة سرحان بصحبة نانسي القوصي، بطلة فيلم العصابات -كما قال هاني- ترتدى سواريه عاري الظهر تمامًا، مفتوحًا من الأمام حتى أسفل، كانت تتصرف كغانية، فستانها العاري، مكياجها المتألق، نظراتها، المثيرة المشوبة بوله مومس، وكأنها أرادت أن تكون أنثى فاحشة.

قالت لسرحان وهي تخرج من حقيبتها التوكيل:

- بكرة ترفع القضية.

قال سرحان:

- لكن لم نكمل اتفاقنا.

مست ملامحه بنظرة، وقالت:

- عشرة في المائة، يعني رافض حسبة ثلاثين، أربعين مليون؟
- لا طبعًا، جميل جدًّا، لو أضفنا الحاجة "الصغنتوتة" التي أخذتها، أقصد سرقتها من عصمت قبل رجوعك مصر.

انفجرت ضاحكة:

- آه.. وأنت تهديها له؟! ولا خائف أنصص معكم يا عصابة وسخة.
- همهمهم...

.....

عندما رأتها نوال، قالت لزوجها فزعة:

- مَنْ عزم هذه المرأة؟!!
- شريكة سرحان عبد الشفيح في الشركة الجديدة.

زفرت نوال غيظها، وقالت:

- امرأة سيئة.

همس عزت محدِّراً:

- عدِّي الليلة يا نوال.

واصلت نوال نفث غيظها:

- خدعتُ أخي حسين، وتزوجت غيره.

غمغم مطمئناً:

- الحمد لله، حظ حسين حلو لأنه لم يتزوجها، وأنتِ قلتِ بلسانك: امرأة سيئة.

.....

كنت أتأهب للانصراف، عندما لحق بي سرحان، وقال:

- مبروك يا هانم.

- ميرسي.

- فيه ماسدج وصلت من ساعة.

- نعم؟!!

- استعدي يا ليلي هانم.

- خير؟

- جرت رشنس جاهزة للتفاوض معك.

- أعتبر هذا موافقة على التقسيط؟

- نعم تبقى التفاصيل: قيمة القسط، المدة، الفائدة.

ودعنا العروسين قرب الفجر، وفي طريق العودة، سرنا معاً نحو المبارك، وأنا

تنازعي الذكريات، يقذفني سؤال مثل صخرة.. ماذا حدث؟!!

عزيزي.. ينتابني الندم على عدم مرافقتك في رحلة علاجك الأخيرة في لندن،

كذبت وقلت إنها مجرد تحاليل دورية، ورحلة استجمام سريعة، كذبت عليّ، لم

تقل لي إنك ستجري عملية قلب مفتوح، قل لي يا حبيبي، أرجوك قل لي: ماذا

حدث لك، ماذا فعلوا بك، وماذا سيفعلون بنا؟

نهشتني أفكار مظلمة، تجول في سراديب العقل، الأسوأ لم يأت بعد.

** **

ماجد الشناوي

أسكره الحبُّ، أراد أن يعرج بحبيبته إلى النجوم، إلى كوكب بعيد ولا يتذكر شيئًا، لا عمل، ولا دين، ولا تركة مهددة بالضياح، أشبعها بقبالات الحب، فلم تصدق هذه اللذة، ولم يصدق أنه تزوج بنتًا شقية، مغرية، ماهرة، كل ما فيها مثير، رن الهاتف عشرات المرات، قبل أن يغلقه، وقال لها وهو يعتصرها بين ذراعيه.. لننس كل شيء، وأي أحد، ولا نتذكر إلا الحبّ، قفزت على صدره، لكزته فأطاع وانطلقا معًا.

لم يصدقا ما هما فيه، وكأن السماء منحتهما السعادة دفعة واحدة، فغرقا فيها حتى الثمالة.

بعد أسبوعين فتح الهاتف، كظمت غيظي، وقلت له:

- يا ابني افتح التليفون، أطمئن عليك.

- اعذريني يا ماما، إنه شهر عسل!

والتقطت فيفي منه الموبايل، وقالت:

- لم يسمع كلامي، قلت له أسلم على ماما ليلى، يقول لي بكرة تشبعين

منها، قلت له مستحيل ماما ليلى قطعة سكر.

واصلت الحديث، جلال.. بصراحة البنت جميلة، دمها عسل، حبّوبة، استطاعت أن تغزو قلبي، وكأنني أعرفها منذ سنوات بعيدة، أنهيت المكالمة، ورأيت سامح يهبط الدرج، وهو يتحدث في عصبية إلى عمه:

- يا عمي، موضوع الزواج تم في سرعة.

واصل الرجل تحامله:

- هي خلاص، الأصول ضاعت من زمان.

- يا عمي أقابلك وأشرح لك كل حاجة.

واصل الرجل ثورته:

- تشرح! يعني لو لم تكن خطيب ابنتي، ما كنت تعتب البلد.

- اهدأ يا عمي.

تناولتُ الموبايل من سامح:

- أهلاً وسهلاً يا أم سامح.

- أهلاً بك يا حاج عبد الحلیم.

- فيه كلام لا يقال في التليفون، أنا أعرف الواجب والأصول، أنا في

الطريق نصف ساعة وأكون عندكم.

- مع السلامة.

وصل نجيب الساعة الثانية بعد الظهر، اصطحبته إلى التراس، جلسنا وعلى

الفور فتح حقيبته، وأخرج مظروفًا مغلقًا، وقال:

- المرحوم أعطاني فكرة عن هذه الوصية، قبل سفره لإجراء عملية القلب

الأخيرة.

فتح المظروف، وشرع في القراءة:

- بسم الله الرحمن الرحيم، إنه في يوم الثلاثاء الموافق 19 ذو الحجة 1440

الموافق 20 أغسطس 2019 أوصي أنا جلال شاكر علي إبراهيم الشناوي

بأهلية كاملة، وبضمير مستريح، وأنا في كامل قواي العقلية، بتوزيع

تركتي على أولادي، سامح وماجد وهاني وزوجتي ليلي محمد أبو زيد، بما
يحدده الشرع والقانون.

.....

- لا يجوز التصرف في الفيلا بالبيع أو الرهن أو الهدم، وتُحوّل إلى
مشروع خيرى.

علت وتيرة الشك برأسي، وأنا أغمغم:

- مشروع خيرى؟!

لا شيء عن دين، أو رهن!

قلت وقد استبد بي شك كاليقين:

- وقت إجراء عملية القلب، وجلال تحت تأثير البنج، غائبًا عن الوعي،
تمت عملية النصب.

رنّ الجرس، فتحت صابحة، وجاء صوت عبد الحلیم الشناوي، فخرج سامح
إلى الهول لاستقباله.

واصل المحامي قراءة الوصية، كنت أسمع صوتك، وتمنيت أن تستعيد وعيك
وتقول لي ماذا حدث، ماذا فعلوا معك، وبك؟ انتابتني ثورة عارمة وغيظ شديد،
قلت:

- يا نجيب هذه عملية نصب كبيرة، نصبوا على جلال.

حاول الرجل تهدئة خاطري، فقال:

- المادة 1052 تحرم تملك الدائن أي شيء مرهون من المدين.

هدأت خواطري بعض الشيء، وقلت:

- نقدر نتمسك بجدولة الدين، غير كدا تبقى...

- أهدأي يا ليلي هانم.

عاودتني الثورة تارة أخرى:

- متى، وكيف أخذ المرحوم زوجي كل هذه الملايين، ورهن كل ما يملك؟

التفتُ فوجدتُ عبد الحلیم علی باب التراس، ألقى نظرة موحية، نعم سمع الرجل ما أردت أن أخفيه عن الجميع، وعنه بالذات، عرف سرَّ الدين، وتركته شقيقه المهددة بالضیاع، لمحت في قرار نظرتة غیرة طافحة مقززة، وكأنه قد واتته فرصة إظهار قبحها، وقصفها في وجهي، ليتخفف من ثقلها في قلبه، حانت بعد سنوات، ولا حاجة الآن لمداراتها، وليس في حاجة إلى كلمات وضحكات مفتعلة، تأكد لحظتها شعور المأساة الكبيرة التي ستحل بي، ها هي تباغتني الكارثة، تماكنت زمام أمري.

انصرف نجيب، ولم أطق الجلوس، كنت في حاجة ماسة إلى الراحة، صعدت إلى غرفتي، وكأنني أهرب من ملاحقة شقيق زوجي، من نظرتة الطافحة بالشماتة، وسيل أسئلته السمجة التي تكاد تفجر رأسي.

.....

حوقل وبسمل، ثم قال لسامح:

- جلال أخي قبل أن يتوفى استدان، ورهن كل حاجة؟!!

- للأسف.

- أنا دون قصد سمعت الست والدتك.

- عمي... الـ...

قاطعه الرجل وقال:

- سامح.. يا ابني أنتم مشكلتكم هي مشكلتي، ولامزم أكون معكم أشيل
الشيلة، هذه الأصول، لكن فهمني العبارة.

-

-

** **

عزت سليم

- صباح الخير.
- صباح الخير، نعم؟
- أنا مُحضر من محكمة العباسية.
- مُحضر!
- قدم الرجل إعلانًا، وقال:
- امضي هنا.
- انصرف الرجل، وشرع عزت في القراءة:
- تقرير مكتب الخبراء شمال القاهرة...
- خرجت نوال، وسألته:
- خيرا عزت؟
- أكمل القراءة، وقد تقلصت ملامحه غضبًا:
- ... والمصنع هو ملك شركة السرجاني التي قامت بالإنفاق والتكلفة على إنشاء المصنع، رئيس قسم خبراء حسابيين.
- أطاح بالورقة، وقال:
- كلام فارغ، اللص رافع قضية، يطالب بندب خبير لضم المصنع للشركة، لكن مستحيل.
- لم تتغير ملامح نوال، فالأمر لا يعنيتها، تابعت عصبية زوجها بعيونها الخضراء، محتفظة بهدوءها.
- تناول عزت الموبايل، وتحدث مع السرجاني، الذي هتف في صفاقة:

- كنت على بالي منذ دقيقة!

- خائن ابن خائن.

صدحت ضحكة مغموسة في الوضاعة، وهو يقول:

- شفت بقى الحق ظهر، ومكتب الخبراء بنفسه قال إن المصنع ملك الشركة!

لم يشأ أن يكون له نداءً من الرعاع الجرابيع، يا الله! ابن الباشوات، وسليل عائلة آل سليم العريقة، يضع يده في يد لص، اليوم أطاح اللص بخطته التي حبكها لتنظيف ما علق بآل سليم من إهانة.
قال:

- يكون في علمك سأطلب ندب خير ثان.

- أنا أقول لك على الزيتونة، فيه اجتماع قريباً للمساهمين، سيلغي كل الإجراءات، وسيرجع الوضع القديم كما كان، وحضرتك سيتم شطب اسمك من الإدارة المالية للشركة.

- لا تنس أن رخصة المصنع باسمي.

- بعد إذنك أقفل السكة قبل ما تقفلها أنت.

في المساء، زاره حامد، وجلست نوال بالقرب منهما، أطلت بنظرتها الخضراء، تلك النظرة التي أسرته منذ ربع قرن، بحُسنها النادر، وأنوئتها الثرية الدسمة، في هذه الليلة جاشت مشاعره، وتمنى لقاءً حقيقياً؛ ليضمها إلى صدره، وتجسد السحر للحظة خاطفة، تابعها بعينيه، وإيحاء كشدني الورد بأنها ترغبه مثلما يرغبها.

قال عزت، وهو يشعل سيجاراً:

- لما حدثت الأزمة، قلت أشارك جلال الشناوي، رجل أعمال نظيف وفاهم أصول الشغل.

قالت نوال:

- الشراكة سهلة مع ماجد بعد ما بقى زوج فيفي.

قال حامد، وهي يرشق نوال بنظرة عميقة:

- رائع يا نوال، حلّ في وقته.

هام عزت في سحابة دخان سيجاره، وقال:

- لكن فيه كلام أن جلال قبل وفاته، دخل عدة صفقات وخسر جزءًا كبيرًا من رأس ماله، مما أصابه بأزمات صحية، عجلت بوفاته، أنا لا أعرف أية تفاصيل.

قالت نوال:

- مهما كان، هو أنظف كثيرًا من السرجاني.

-

-

تواصل الحديث، والتزم حامد الصمت، فقد باغتته شجاعة لحصارها بنظراته، ومن طرف خفي كانت تبادلها بعينها نظرة دافئة، ومن أن لآخر، تسأله: "إيه رأيك يا حامد"؟، وكأنها تشجعه أكثر على مواصلة حصارها بعينيه، لتستعيد أنوثتها بها..

.....

جلال..

حبيبي..

يبدو أنّ -حامد سليم- راهب معبد الحب، الذي عزف عن الزواج لسنوات،
سيعتزل الرهينة، ويخرج من معبده الحصين، كيف؟ ومتى؟
فجأة انفجر عزت بضحكة عالية، أربكتهما، تبادلا نظرة شك مباغثة.
سألته نوال:

- خير يا عزت؟

- أضحك على غباء الرجل الجاهل.

انتشلت حامد الكلمة من بئر اللذيذ، استعاد شجاعته، وغمغم:

- السرجاني؟

- نعم.

وعاود قراءة تقرير مكتب الخبراء، متفحصاً كلماته، كانت فرصة لحامد
لاختلاس النظرات إلى نوال، بادلته النظرات، بل وندت على شفيتها ابتسامة مثل
شذى وردة، زاد عقب الرغبة بفحيح مثير.

فجأة انفجر عزت بالضحك:

سألته زوجته:

- أضحكنا معك.

- ههههه... وأنا فاهم القانون، تقرير مكتب الخبراء، مفروض يتوجه
للمحكمة.

وعاود الضحك، وهو يقول:

- تمثيلية تافهة أرسل لي عاملاً من المحل، انتحل صفة محضر.

قال حامد:

- أكيد صورة من التقرير وصلت المحكمة.

عاود عزت بعض القلق، وقال:

- أنا من بكرة سأطلب خيرًا آخر، وأرفع قضية.

قال حامد:

- لازم نصفر كل المشاكل مع السرجاني، ونكون جاهزين للشغل في

مؤسسة سرحان عبد الشفيح الجديدة.

وقفت نوال، وقالت:

- أعمل حاجة تشربوها؟

مرقت من أمام حامد، وهي تنادي بصوت مخملي:

- مرجان.

في هذه الليلة اقترب حامد خطوات من نوال، وظلت مكانها تنتظره.

** **

عبد الحلیم الشناوي

استقبل الحقيقة الصادمة، أطاحت بيقين راسخ في عقله، شقيقه الذي كان مصدر فخره وتعالیه، أطاحت به مغامرة ثقيلة على القلب، والفهم! يا ااه!!! لعلها البورصة، نعم هي البورصة، مائدة القمار التي تطيح بجبال من المال في لمح البصر، يسمع حكايات عن رهنوا بيوتهم، وملابسهم، حتى زوجاتهم، وبناتهم، اللعبة الخبيثة، كبيرة قوي يا عمدة، خسارة يا جلال، راهنت وخسرت كل حاجة، وصل البلد ماراً على حدود أرضه -وأرضنا- التي يتيه بها، نظر عبر الأفق الذي يطوّق أطرافها، وتحولت غيرته الدفينة القديمة، إلى شفقة على أخيه، فجأة انسكبت من عينيه الدموع، لم يبك عبد الحلیم يوم وفاتك، اليوم تيقن من حقيقة وفاتك، وبأنه بعدك صار وحيداً مثل شجرة عجوز، وسط حقل بور، فواصل البكاء.

احتوت زينب زوجها وابنتها بعينين متأهبتين، وفور دخول زوجها إلى الغرفة، جذبت ابنتها إليها، وقالت:

- ما لكم، هو فرح المحروس ابن عمك قلب بمأتم؟
- أعوذ بالله يا ماما.
- أبوك دخل بوزه شبران، وأنتِ شرحه، قولي لي الحكاية؟

زاغت عينا نشوى، وقالت:

- عمي توفي، وعليه دين كبير.

هتفت المرأة:

- يا ألف نهار أبيض!

غمغمت نشوى في ضيق:

- أعوذ بالله.

واصلت المرأة شماتها:

- الود ودك أزگرد، يعني أبوك نأبه طلع على شونة، أرض عمك مديونة،
ووقف حالها، لا بيع ولا شراء، أرض وقف.

ومالت على ابنتها، وقالت ناصحة:

- مفروض بقى تفكري، أولاد عمك بعد ما حصل، لن يقام لهم ظهر.
يا ماما.

واصلت زينب:

- الدين كسر ظهر يا بنتي، وصدقيني أنا معارضة زواجك من المحروس
سامح، لكن كنت أصبر نفسي، وأقول القلب وما يريد، واهو غني. لكن.
واصلت بلهجة مختلفة:

- اسمعي يا نشوى، عبد العاطي ابن خالك، كتب عقدًا مع فريق كرة كبير
في أوروبا، ومنى عينه يتجوزك.

قاطعتها نشوى مؤكدة:

- أنا أحب سامح ولا توجد قوة تمنعني من أني أحبه.

خرج العمدة، فالتفتت زوجته إليه، وسألته:

- وأنت رأيك يا عمدة، من رأي المحروسة بنتك؟

صاح منفجرًا:

- أنا الساعة دماغي مخربط، مفتوح على هواء هوووا.

- عارفة يا خويا، يا كبدي دماغك مخربط، خائف على الطين،
الخمسمائة فدان، أكثر من خوفك على بنتك، ولا على بالك.
زفر صهيداً ساخناً، وهو يجلس على الكنية، فواصلت زينب مهددة:
- اسمع يا عبد الحلیم، بنتي لن تتزوج ابن أخيك، لو السماء انطبقت
على الأرض، والطين سيُباع.
- عارفك وفاهمك يا بنت أبو غنيمه، أنتِ وأخوكِ مُنى عينكم تشتروا
الخمسمائة فدان، لكن مستحيل، مستحيل!

قالت في شماته:

- بكرة تُباع في مزاد.
اختنق صوت الرجل، وقال مهدداً:
- والله العظيم يا بنت أبو غنيمه، اسكتي أحسن لك لأقوم أسقط
نافوخك بالجزمة!
واصلت المرأة سخريتها المرة:
- وجعتك جداً؟! تصرف بقى أنت يا.. عمدة لما همهم...

قاطعها صارخاً:

- "غوري من وشي".
 - أغور، وليه لأ؟.
- وهي تخطو إلى غرفتها، دمدت متأففة بأغنية سمجة، لتزيد أوار قطعة الجمر
في قلبه.

دنت منه ابنته، تأملت وجهه المحتقن، وهالها كم الحزن الثقيل، الذي يثقل
كاهله، ربتت على كتفه، وقالت:

- بابا اهدأ.

غمغم بصوت مشروخ:

- أهدأ؟!!

- يا بابا، أكيد سامح لم يعرف كيف سيتصرف في هذه المصيبة.

انطلق صوت العمدة مثل طلقة طائشة:

- يتصرف ولا هو حر! حتى لو فرضاً المصيبة لم تحط على رؤوسهم، كانت

الأرض ستباع.

كظمت نشوى حزنها، في حين أطلت أمها بوجهها وهي تواصل دمدمتها..

عواد باع أرضه يا ولاد

شوفوا طوله وعرضه يا ولاد

يا ولا...

قطع صوتها الغليظ، قصفة حذاء ضخم أصابت رأسها، فصرخت مولولة:

- يا لهووي!!

** **

ليلى أبو زيد

عزيزي جلال.

كيف حالك، أدعو الله دومًا أن تكون بخير.

نعم..

دومًا أراك معي، أتبعك في كل مكان، وتتبعني، اليوم كان اجتماعي مع مسئول جرت رشنس، لعقد اتفاق جديد، عندما انتهى نجيب من قراءة العقود، شرح بنودها، وقدم لي قلمًا للتوقيع. استقرت يدي عالقة للحظات، كدت أسألك بصوت عال، ليسمعه الجميع.. هل أوقع، أم أمزق الأوراق، أقذفها في وجوههم؟! هل هي خدعة جديدة؟! وهل...؟! شملني خوف، تردد، اهتزت أصابعي، وشملتني رعدة، ومخاوف، وهواجس، نظر لي نجيب، وأومأ برأسه، كان يشعر بكل ما يموج في كياني، التقطت القلم، وفور توقيعي، قدم لي سرحان مظروفًا، وقال:

- حسب الاتفاق يكون القسط الأول بعد سنة من تاريخه وقيمه مائة وسبعون مليون جنيه.

.....

انطلقت بسيارتي..

حبيبي.. تطاردني رغبة كبيرة، وطاقة لدفع الضباع القذرة عنك، حتى لا ينهشوا مجهود سنوات من العمل والنجاح، لم يكن أمامي إلا الانتصار، وعدم الاستسلام. وصلت إلى المصانع، تجوّلت في العنابر، صافحت العمال، استمعت إلى مشاكلهم، وعند خروجنا، رأيت بناءً خربًا: شقوفاً بطول الجدران العالية، أبوابًا ونوافذ أكلها الصدأ، وسقفًا سقطت أجزاء منه، فأشرت إليه.

قال شاهين:

- هذا العنبر يحتاج إلى صيانة منذ سنين، حتى مصنع مسطرد متوقف عن الشغل، كان يعمل أربعًا وعشرين ساعة، ثلاث ورديات، ويحتاج إلى تجديد شامل، للأسف المهندس ماجد رقت العمال، والمكينات أصبحت كهنة.

قلت في إصرار:

- كل شيء سيرجع كما كان، لازم دراسة لكي تعمل المصانع بكامل طاقتها.
- للأسف مهندسو الجودة، والكهرباء، والميكانيكا، بعد وفاة جلال بيه، المهندس ماجد استغنى عنهم.

قلت متعجبة:

- استغنى عنهم؟!!

واصل شاهين أسفًا:

- شاف أنه ممكن يقوم بكل الشغل وحده.

قلت:

- اتصل بكل المهندسين.
- سهل أن أتصل بهم، لكن لديهم أشغالهم.
- كلمهم يشرفوني بزيارتهم يوم إجازتهم، لازم المصانع تشتغل.

في الطريق إلى المكتب، لحق بي أحد العمال:

- لو سمحت يا هانم، نحتاج من حضرتك خدمة.

أشاح شاهين في وجهه:

- يا عبد الرحيم، رُح على شغلك.

استوقفت عبد الرحيم، وسألته:

- ما الحكاية؟

- أيام المرحوم، كان فيه نسبة من أرباح المصنع تصرف للعمال.

واستدرك أسفًا:

- المهندس ماجد سافر شهر العسل قبل ما يعتمدها.

قلت:

- حاضر، سناقش هذا الموضوع مع مسئول المالية.

واستدركت في يقين:

- أنا هنا مكان المهندس جلال، والشغل سيستمر كأنه موجود.

دخلتُ المكتب، ورأيتك تجلس إليه، وددت لو كانت حقيقة، لكن... أقيتُ على

صورتك نظرة، رفضتُ الجلوس مكانك، جلستُ على مقعد جانبي، وأطلتُ النظر

إليك، لم أشأ أن يتسرب شعور الوحدة إلى نفسي، وأنت معي.. ابتسمتُ مرغمة،

وغمغمت.. وأولادي أيضًا معي: سامح الذي يخشى من تأجيل زواجه، وماجد

الذي قفز من مركبنا إلى مركب عزت سليم، وطاردتني شكوك سوداء، بأنه -

ابني- ربما يعرف اللعبة الحقيرة التي دُبرت بليل! ولكن مستحيل، بُعدًا للأفكار

السوداء، هاني الذي لم يُفق بعد من الصدمة، وأخشى أن يجتاحه حبُّ كاذب

للبنى، ها أنا وحيدة، ولكنك معي، ولن تتركني، نعم أنت معي!

نعم يا حبيبي لم تعد حياتي -حياتنا- كما كانت، اتخذت مسارًا آخر.

دقائق، ودخل شاهين:

- لا تؤاخذيني يا ست هانم.
- نعم يا شاهين؟
- كانت مصانع سمير أبو غالي، عميلنا الأساس تحتاج طلبية.
- والطلبية جاهزة؟
- جاهزة يا ليلى هانم.
- خلاص يأخذها فورًا، شُف شغلك.

** **

لبنى الشرقاوي

لنا.. ابنتي..

وحشتني قوي.

اليوم مرت عشر سنوات لم أرها، تعرف يا هاني.. أنا أشعر بعقدة ذنب، لأنني تركتها لأب سيئ، قدر، سيفتح لها أبواب الانحراف على مصراعها، بعد عودتي نهشتني آلام مثل عقربة سامة، أيقنت بأنني تركت نفسي هناك، في أمريكا، ومَن ركبت الطائرة وعادتُ إلى مصر، واحدة غيري، أغلقت بابي على روجي لأيام، ولكنني خشيت أن أجنّ، أعيش في قوقعة. ترددت على عيادات الأطباء، للبحث عن نفسي التي كانت، وعن علاج لأعصابي الممزقة، غشيت عيادات بدون حصر، حتى وجدت طبيباً، يشبه أبي، قابلني بعينين تُشعّان محبة صادقة، نظرته نقرت على قلبي فأيقظ الذكريات، عندما عرف أنني أنهيت كورس صحافة في إحدى جامعات أمريكا، قال لي:

- علاجك العمل، اکتبي كل ما يخطر على بالك.

وكأنّ الرجل قد قرأ أفكارِي، عرف ما أريد، غاص في ردهات عقلي، ومسّ قلبي المتخّم بالكلام، والحكايات، والرغبات، والحب الأخضر المسفوك، فأضاء روجي، وقال:

- اکتبي كل ما يؤرّقك.

قلت له:

- أبي... هل تسامحني؟

ربما سمعها..

- عذراً؟

لم يُخفِ ابتسامته، وبعث من عينيه أشعة ملونة مثل قوس قزح، وتساءل
بنبرات حانية:

- ولم لا أسامحك؟!!

كتبت شعراً أعتذر لأبي، ورجوته أن يسامحني، كتبتُ خواطر وقصصاً، عن
بنت أحببت أباه، نشرت بعضها على صفحتي، والقليل منها احتل مساحة من
صفحة الأدب في المجلة.

- أنت قرأتها؟

- نعم قرأتها.

تعال معي.

أين؟!!

معنا تصريح صحفي بحضور حفل ضخم، لتدشين كيان اقتصادي ضخم.
اصطحبت هاني إلى البرج الشاهق، الروف جاردن، والأشجار الملونة، وشاشات
بلا حصر، وبوفيه يتباهى بألوان الطعام، من لحوم نعام، وطواويس، وأفخاذ
غزلان متبلة، ونبيد معتق، جيء بها على طائرة خاصة من باريس، كانت وجوه
عصابة الشر نفسها تنتظر، في قمة تألقها، ضحكات، وموسيقى، وكؤوس فاخرة،
ثملة بالسُكر البين، وسعادة غامرة.

حفل جرت رشنس، للمرة الثانية -في أقل من شهر- أرى الضغائن والأحقاد،
وحروباً باردة، وأنياباً متأهبة لمعركة تكسير العظام، قبل حرقها.

نعم يا أمي، حلقة جديدة من الحكاية الضخمة، ها هو الغول الخرافي، الذي تربى في حظيرة خنازير تحت الأرض، محفل سري، أُعدَّ فيه كل شيء للسيطرة على بلهاء العالم.

في لقطة ضخمة وقف سرحان، ممسكًا بعصا معدنية، أطل بوجهه المشوب بحمرة قانية، ومسحته المصقولة، الناعمة، وبدأ يشرح على شاشة كمبيوتر ضخمة:

- مؤسستنا الاقتصادية ستطبق بروتوكولات الشركات العالمية المحترفة، ستدير شركات منتشرة على خريطة العالم، القروض المسوقة Syndicated Loans، إدارة مالية محترفة، تمارس عملها وفق شروط وأخلاقيات البيزنس، لا تنسوا خصوصية المعلومات، وعقوبة إفشاء الأسرار..

خطت ناسي القوصي، فصفق الجميع، أظهرت من مفاتها الكثير، توهج الضوء أكثر، وكأن كوكبًا سقط من السماء تَوًّا على مسرح الأحداث، عندما تناولت المايك، رمقتها لبني في غيرة، وكادت تنفجر عندما لمحت هاني يتابع بعينه المرأة اللعوب، وقالت له:

- نحن هنا في شغل.

أردت أن أغيظها يا أمي، فقلت:

- أحلى شغل.

شملت وجهي بنظرة متقززة، وغمغمت:

- أه، أنا عارفة.

ورددت:

- رجال أعينها زائغة.

قالت نانسي بلهجة مرحة:

- هناك مفاجأة لا يعرفها غيري.

تعالت الصيحات، قالت نانسي:

- الإدارة المالية من سيتولاها... من يعرف؟

أطل عليها سرحان بوجهه المخمور، وتوجّس شراً.

أشارت بأصبعها إلى البعض، ورددت:

- أنت.

- أنت..

- أنتِ...

ثم صدحت نانسي بضحكتها الصاخبة، وقالت:

- مفاجأة من العيار الثقيل!

سوّلت نفس سرحان له أمراً، وانتظر لطمة عنيفة.

قالت نانسي:

- هو رجل وحشنا كلنا، ووحشني أنا بالذات.

ترددت نداءات، وأشارت نانسي إلى بعض العازفين، فانطلقت موسيقى عالية،

صاخبة، رقصت عليها، فصفق الجميع طرباً، ثم رفعت يدها، فتوقفت الموسيقى،

وقالت:

- شركة الإدارة المالية، هي...

-

- هي..

ثم ارتفع صوتها الناعم، وهي تقول:

- شركة حسين عبد الغني رأفت.

هزّت اللطمة أركان سرحان، أسقطته أرضًا، ازداد وجهه احمرارًا، وردد غاضبًا:

- شركة حسين رأفت - العدو اللدود لعصمت أبو النور- هي التي ستدير

مالية البيزنس الجديد؟!

وغرقت عيناه في وجه نانسي، وغمغم في غيظ:

- آه ه!! يا بنت القو... صي!

** **

نوال عبد الغني رأفت

دمعت عيناها الزرقاوان ببريق أخاذ، واختلج صوتها، عندما عرفت بخبر عودة شقيقها حسين، وهي تعيد السؤال مرات عدة على زوجها، يا ااه يا حسين، خمسة وعشرين سنة لم أرك، تتذكره دومًا، هي لم تحب أحدًا من الرجال مثلما أحببت شقيقها، تمنيت أن يكون زوجها في حنانه، ورقته، ولكن عزت جافًا إلى حدٍ مقرف، أصابها جفافه وجفوته بالبرودة، وقاومت إغراءات حامد طويلًا، ولكنها منذ أسابيع ضعفت مقاومتها لمطارداته، أيقظ شغفه بها في كيانها ذئبًا شرسًا، راودها عن نفسها مرات، فاستبدت بها الرغبة، ولكنها أحكمت اندفاعها المجنون، اليوم جاءها خبر عودة شقيقها الحبيب، ليساعدها، ويقوي من عزمها، وهي تستعيد شريط ذكرياتها، قفزت نانسي أمامها، انتزعتها منها، وغمغمت:

- لا.. لا.

قال عزت:

- حقلك لا تصدقي، بعد خمسة وعشرين سنة يرجع حسين.

عاوده الضحك، وهو يواصل حديثه:

- شركة حسين ستتولى إدارة المؤسسة المالية الضخمة، التي جاء سرحان

عبد الشفيق، ليمهد لها في السوق، لكن الخبر نزل على رأسه، قنبلة.

- المهم حسين سيكون هنا معي.

قال عزت وكأنه يصحح لها:

- الأهم أن شركتي ستكون ضمن المؤسسة، وسأكون أنا المدير التنفيذي.

رددت نوال، وهي تمسح دموعها:

- يا حبيبي يا حسين يا ااه!! ربع قرن وأنت بعيد عني!

ثم سألت عزت في لهفة:

- متى ستصل طائرته؟

وصلت الطائرة فجراً، وأنهى حسين إجراءات الخروج، وهو يعبر نحو السيارة

أمام صالة الوصول، هتفت نوال، وهي تعانقه باكية:

- حسين.. حبيبي.

وكأنّ عودته، عادت بالزمن فجأة إلى الوراء، فتلاشى ربع قرن كسحابة صيف،

ضمت وجهه بين كفيها الصغيرتين، لا يزال الوجه على روائه القديم، حتى

خصلات الشعر البيضاء، زادت من وسامته.

يا ااه يا حسين.. يا حبيبي!

ثم قالت معاتبة بصوت ناعم كالحرير:

- هُنت عليك؟!

قال وهو يقبلها في مفرق شعرها:

- لم تتغيري يا نوال.

- وأنت يا حبيبي.

عانقته في حرارة.

نعم أنا كما أنا، أردت أن تراني، كما تركتني.

وهما في الطريق إلى فيلتها، سألته عن كل شيء، وقالت له كل شيء.. فيفي

تزوجت، تعرف من؟ لن تصدق، تزوجت ابن جلال الشناوي. عزت واقع في

مشاكل مع شريكه مكرم السرجاني، وفاكر أنت زمان مشاكله، وخسارته الكبيرة،

لولا حامد ابن عمه، وقف معه أعطاه كل أمواله، عارف يا حسين حامد غير عزت تمامًا، هو... انتبه للحظة، وأخرج الموبايل، وانشغل في الحديث:

- نعم يا سرحان فرع Great Persians هنا شغله تحرير التجارة، ودمج الاقتصاد بشبكة معاملات مالية دولية، طموحها أكبر من أي مجموعة استثمارية في العالم.

أغلق الموبايل، وقال:

- وحشتني يا نوال.

- أنت أكثر.

-

فجأة تذكرت نانسي، أرادت أن تسأله عنها، ولكن الكلام توقف على طرف لسانها، والتزمت الصمت.

** **

رزق السلاموني

تسلل في ظلام دامس، نحو باب المكتب، فتحه ودخل قاصدًا الخزينة، أسقط ضوء تليفونه المحمول عليها، وأدار بكرة الأرقام السرية، في حرص، يمينًا ويسارًا حتى فتحها، وفي نصف دقيقة، حمل كل ما فيها من أموال، وأوراق، وعاد إلى غرفته فوق السطوح، استلقى على سريره، وأغمض عينيه.

صباح اليوم التالي، وقف أمام مكرم وعامر سوسة، وتساءل مستنكرًا في هدوء:

- فلوس؟ وأوراق؟!

لوح مكرم بيده الغليظة، نحو وجهه، وقال:

- ومن غيرك يا حرامي أخذها! الفلوس والأوراق ترجع، أو أدفئك هنا.

تدخل سوسة:

- لا يا مكرم بيه، رزق عاقل سيردّ الفلوس.

واصل رزق استنكاره:

- أردّ الفلوس، والورق! أنا لم آخذ حاجة لأردّها.

قبض مكرم على عنقه، بأصابعه في عنف:

- قلت ترجع الفلوس، والورق؟ وإلا سأدفئك هنا.

تخلص رزق منه في عنف، وقال في قحة:

- أه... أنا أخذت الفلوس، والورق.

قال عامر سوسة:

- يبقى ما أخذته ترجعه.

بصق عليهما في سره، بصقة أعدها منذ سنوات، أراد أن يطارد لعنة الاحتقار التي لاحقته من أخطأ أنواع البشر، شحتوتة، زوجة أبيه، التي تشبه غوريلا كريهة، ومكرم الذي يشبه أبا الهول في ضخامته.

صاح في تحدٍ:

- أنا أخذت حقي، هذه الفلوس حقي.

احتقن وجه مكرم في ثورة عنيفة، وقال:

- ححك؟! أنت تساوي ربع مليون جنيه يا صرصار؟! أنت لا تساوي نكلة.

أخرج ورقة من جيبه، ولوّح بها وهو يجلس مسترخياً على مقعد قريب:

- بلغ البوليس، وافتح كل الملفات، هذا إقرار ضريبي ملعوب فيه، ضرائب

مليون جنيه، غير ملفات جرائم التبيد وخبانة الأمانة.

اختلف مكرم، وهو يشير نحو رزق:

- اط.. اط.. ر اطردوا.. أم

وسقط أرضاً، هرولت أميرة إليه، وصرخت:

- مكرم!

لفظ مكرم أنفاسه، قبل وصوله إلى المستشفى، قال حامد لعزت بعد العزاء:

- الشماتة في الموت، أخط أنواع الشماتة.

قال عزت:

- لم أر في الكون أخط من مكرم.

غمغم حامد:

- الله يرحمه.

فتح عزت باب السيارة، وقال:

- أراح واستراح.

وأدار الموتور..

-9-

ليلى أبو زيد

حبيبي جلال..

القلق يباغتني دومًا، لا ينفك عن مطاردي، كدقات قلبي المتعب على أولادنا،
ولكنك تطمئنني، اتصل ماجد وقال: انتهى شهر العسل يا ماما، سنصل غدًا،
تناولت العشاء مع سامح، الذي بدا عليه القلق أيضًا.

قال:

- أنا ألغيت الرحلة، طلبت إجازة من قبطان الباخرة، لأكون معك في
الشغل.

قلت في بداية الأزمة، علينا أن نجابهه المأساة، وأنتم في ظهري، ولكن الآن يجب
أن تسير الحياة كما خُطِّطَ لها، ربُّتُ على يده، وقلت:
- يا حبيبي لا تقلق عليّ، حياتنا ستسير كما هي.
- سأكون معك حتى نفي بأقساط الدين.

بابتسامة واهنة، قلت:

- أو نكشف اللعبة.

غمغم:

- يا رب.

تابعته للحظات، ثم قلت:

- سامح، سافر لعمك، وحدد معه موعد الفرح.

علقت بوجهه ابتسامة، وقال:

- اتصلت نشوى بي منذ ساعة، قالت إنها نجحت.

كنت على يقين من الضغوط التي تتعرض لها نشوى، بعد معرفة السر الحقيقي لتأجيل الزواج، لم تكن وفاة عمها، بل كارثة، تطوّق أعناقنا، يقيناً زاد قلقها، كما ازدادت ضغوط زينب أبو غنيمة -أمها- عليها، وربما العمدة؟!!

قلت لأطمئنه:

- أنت وعدتها بأن الزواج سيتم فور ظهور النتيجة، ضروري تتزوجان في أقرب وقت.

عندما لمحت تردده، قلت في إصرار:

- سامح، اسمع الكلام غداً تسافر لعمك.

.....

في اليوم التالي، وبعد جولة طويلة، استغرقت ثلاث ساعات في كل العنابر، حتى المعطلة منها، وصل المهندس عماد عبد الرحمن، اصطحبته إلى المكتب.

- تفضل يا باشمهندس.

قال معتذراً:

- آسف لأنني جئت بدون موعد.

- لا، أبداً، المصنع مصنعك.

- أشكرك. على فكرة أنا اشتغلت مع المهندس جلال عشر سنين، وأخذت كل خبرتي منه.

- إذن المهمة ستكون سهلة.

قال في حماس:

- أول ما كلمني الأسطى شاهين جئت.
- نتكلم في الشغل.
- المصنع يحتاج تجديدًا شاملاً، الماكينات الحديثة اليوم تعمل بتكنولوجيا مختلفة.
- لو مضطرين نشتغل بالموجود.
- الماكينات الموجودة تعمل، لكنها تحتاج إلى صيانة شاملة.
- كم تتكلف؟
- لم أنته من دراسة الجدوى، لكن التكلفة ستتراوح من عشرين إلى خمسة وعشرين مليون جنية.

انصرف عماد.

حبيبي جلال..

قلت لي.. ليلي.. يا حبيبتي التحديات ضخمة، نعم أعرف -كما تعرف أنت- هي عملية نصب محكمة، وعليّ مواجهة الحقيقة الصعبة، سأقر بأنك مدين بهذه الأموال، وسأعمل ليل نهار، حتى يأتي اليقين، أطرقت برأسي، سحبت ملفًا، تصفحته، دققت في تفاصيله، رسائل، وطلبات من مصانع، شهادات جودة، وأنا أقاوم شعورًا بالإرهاق، خطوت إلى مكتبك، آسفة يا حبيبي، عليّ أن أحل مكانك، وعلى التو خطرت على عقلي أخلاط شكوك، فمنذ البداية، صارت شكوكي تتضخم ككرة الثلج، كلما تحركت الأحداث، وتحيط بي شكوكي في الجميع، حتى شككت في ماجد ابننا للحظة.

** **

زينب أبو غنيمه

قابلت سامح بوجه طافح بشماتة حقيرة، جمعت كل مخزونها من الحقد الأسود، أرادت أن تطلقه، وتقطع كل الطرق أمام الحبيين، إنها فرصتها ولن تهدرها.

قالت وهي تجلس أمامهما:

- يا حرام، والله قلبي معكم، أنا عرفت أن باباكم. هههه... باباكم قال! رهن كل حاجة قبل ما يموت، لم يتبق غير هههه... هدومكم.

صاحت نشوى:

- ماما!

مالت المرأة على سامح، وقالت وهي تمط شفيتها:

- حقيقي؟!

تجاهلتها نشوى، وقالت لسامح:

- كنت اتصل وقل إنك قادم.

اتكأت المرأة، وقالت:

- سامح بيه أحبّ يعملها لك مفاجأة.

واستدركت مع شهقة وقحة:

- ههههخخ.. بيه! ما ضاعت كل حاجة وأصبحوا على الحديدية.

انفجر غيظ نشوى وأفلت من عقاله، وقالت:

- يا ماما لا داعي لهذا الكلام.

قال سامح:

- زينب هانم.

قاطعته المرأة وهي تمط ضحكتهما:

- هم زينب هانم، الله يعزك.. قال هانم قال!

وتغيرت ملامحها حتى قطرت سخامًا أسود، وقالت:

- همهمخ هانم، لسانكم أعوج، كأنكم الهلف ويف، الفافي يعني.

وتغيرت سحنتها، ثم صرخت:

- فوقوا بقى..

أعرف يا أمي بأن قلبها أسود، ممتلئ بالحقد ضدنا.

قلت.. وضد أبيك، ترك العزبة لعمك ثلاثين سنة، لم يسأله أجرًا.

عندما قلت لها ذلك، انفجرت:

- عزبة؟! ناقص تقول كان أبوك يصرف علينا.

وهمت واقفة، وواصلت ثورتها:

- اسمع. أبوك ليس له خير علينا، وعليّ أنا بالذات، أنا زينب بنت أبو

غنيمة سيد البلد، وسيد أبيك، وتفضل اخرج.

كانت صدمتي فوق قدرتي على الاحتمال، فأفلت عقال لساني:

- أنتِ امرأة سيئة.

لوّحت بيدها لتصفعني، قبضت عليها، فاكتسحتها ثورة، كشفت الغطاء عن

لغة وضيعة، نعم يا ماما أنا تعودت على عاصفة، نوّة، اصطدام السفينة بجبل

مرجاني، ونطقت بالشهادة ألف مرة. لكنني عجزت أمام هذه المرة، وعيل صبري،

فانطلق لساني بأقذع الشتائم، لم أدري ماذا قلت، هبطت بي دون أن أدري إلى قاع

وضيع، كانت لحظة جنون محقق، لم أفق منها إلا ونشوى تدفني نحو الباب،
وهي تصرخ:

- كفى.. اخرج.

وأنا أفتح الباب، دخل عمي، معفر الوجه بغيظ وصدمة هائلة، وقال كمن
قبض على لص:

- هي حصلت تمد يدك على سيدة في مقام أمك! امش من هنا، امش ولا
ترني وجهك مرة أخرى.

اندفعت خارجًا.

صفقت المرأة الباب خلفي، وفور خروجي انهارت نشوى، وهي تصرخ:

- حرام عليكم حرام، حرام.

ربتت زينب على كتف ابنتها، وقالت:

- لو تسمعي كلامي تشوفي الهنا كله، عبد العاطي ابن خالك يبحث عن

عروس قبل أن يسافر، ما هو أصبح لاعب كرة كبيرًا في الخارج، أحسن

من محمد صلاح.

واصلت نشوى الصراخ:

- حرام.. حرام.

وسقطت أرضًا.

** **

ليلى أبو زيد

عاد سامح متأخرًا، كنا جميعًا في انتظاره، بعد وصول ماجد وزوجته، رغم إلحاح أمها نوال.. (خالو) حسين في انتظارك، ولكن ميرفت أصرت على زيارتنا، قبل الذهاب إلى أبيها، جلست إلى جوارها، غمرتها بنظرة حب. نعم أحببتها فهي تحب ابني، أرى ذلك في نظرتها إليه، وهو أحبها، حتى توقف عقله عن السخرية من أفكاره القديمة عن الحب، والعشق والهيام، وأحبها، حتى يقفز من سفينة الأسرة الغارقة.

جلس سامح قبالي صامتًا، يغالب حزنًا عميقًا تشي به ملامحه، شعرت بهول ما حدث له، لعلها زينب زوجة عمه، أو.. لعله عمه، وربما نشوى.. لا مستحيل نشوى، التي أعتبرها ابنتي، بل هي فعلاً ابنتي، اضطرب قلبي، خيم الصمت علينا، تبادلنا النظرات، بدا وكأن كارثة جديدة قد حدثت، كابوس مرعب جديد، اصطحبته إلى التراس، وفور جلوسه خفض عينيه أرضًا، ولم ينبس بحرف. سامح الذي يشبهك، قلت لك وأنا حامل فيه: أريده مثلك، وحقق الله أمنيته، وجهه، قوامه، نظرة عينيه، حتى صوته، كله أنت، اليوم أخشى عليه، نعم يا جلال.. أول فرحتنا، تتوالى عليه الصدمات، كأنها قدره، ولكنه حتمًا سيعبرها. همست له:

- سامح؟

ظل غارقًا بنظرة كسولة في لا شيء.

فسألته:

- ماذا حصل؟

تنهد أسفًا، وقال:

- حصل ما كان لا بد أن يحصل منذ زمن.

ثم عقد أصابعه، وهو يلتقط أنفاسه، وكأنه ينتشل رأسه من بئر ماء عميق،

وقال:

- لا أريد أن أفكر فيما حصل، كل تفكيري منذ اللحظة، في الشغل ولا

شيء آخر، والمهم الآن كيف ندبر المال لهيكله المصنع...

ربت على كتفه، وسألته:

- حددت موعدًا للزواج؟

ذبلت ابتسامة مرة، وقال:

- زينب دبت معي خناقة، وخرجت مطرودًا.

سألت في لهفة:

- ونشوى؟

- الله يكون في عونها.

انتهت السهرة سريعًا، وتأهب ماجد وزوجته للخروج، قال وهو يصافح سامح،

ويشد على يديه:

- لو نشوى تحبك بجد، ستتمسك بك.

قال هاني مؤيدًا:

- كل تجربة حب لا تخلو من المشاكل.

- تصبحون على خير.

- وأنت من أهله يا ماما.

قبلتهما وانصرفا، دخلتُ غرفتي، تمنيت أن أجدك في انتظاري، تؤنس وحدتي، أنت تعرف أن كل ما أخشاه يا حبيبي، أن أعتاد على غيابك، على فقد جزء صميم من حياتي، لو حدث ذلك فلن أعيش، استلقيت على سريري، أغمضت عيني لأراك.. أستعيدك في ذكرى لنا، مع شجرة غرسناها معًا، أصص زرع، نباتات زينة في الروف، هنا في غرفة نومنا التي شهدت أمتع لحظاتنا، همست لك:

- تصبح على خير.

أطفأت النور، ورحتُ في سبات عميق.

في الصباح، ونحن جلوس نتناول الإفطار، قلت:

- ممكن ندبرّ المبلغ المطلوب للهيكله، نبيع الخمسمائة فدان للعمدة.

قال سامح بلهجة قاطعة:

- لا..

تبادلت مع هاني نظرة استفهام، فاستدرك سامح:

- بيع لا، لكن ممكن نسحب قرضًا من البنك بضمانيها.

قال هاني:

- فكرة.

سبقني سامح لإخراج السيارة من الجراج، حملت حقيبتي، ودّعت هاني، قبل

خروجي لحقت بي صاحبة:

- أنا قصدك في خدمة يا ست هانم.

- خير يا صاحبة؟

- سعيد زوجي تعب من شغل الجبل، وأنا مشغولة هنا، وهو في شغله، لو

تلاقي له شغل في المصنع، لن أنسى جميلك.

- طيب أرتب الشغل، وربنا يسهل.
- هو سواق درجة أولى.
- حاضر.
- حضر لك الخير.

** **

عزت سليم

اجتمعوا حول المائدة، شعر ابني في البداية بغربة وسط أسرة عزت، الرجل الذي يَعتدُّ بالثراء، ونفائيات الألقاب البائدة، وينظر إلى الناس من برج عالٍ، رغم ارتفاع الحوائط حول برجه المزعوم، كنت على يقين أن ماجد قادر على تجاوزها في أسرع وقت، وبالفعل بعد أيام قليلة أصبح واحدًا منهم، يعيش معهم تحت سقف واحد.

قال لي بعد أسبوع عبر الهاتف.. كل رجال الأعمال عرفوا بما حدث، طبعًا بعد اتفاقك الجديد شاع الخبر، اليوم جلست إلى حسين رأفت على مائدة الإفطار، كان يأكل في هدوء، وتحدث بلكنة غريبة، وكأنه فقد لغته.. هل هذا الخواجة من أصول صعيدية؟! سبحان مَنْ يغيّر ولا يتغير، قال:

- قررت العودة إلى مصر، بعد قراءتي لبروتكول المجموعة، بداية من الحملة الإعلانية في كل وسائل الميديا.

واصل الرجل حديثه في هدوء، كأنه روبوت، تم برمجته، قالت فيفي:

- يا خالو، دماغى صدّعت من البيزنس.

اكتفى بابتسامة، وواصل حديثه عن جرت رشنس، كان عزت يستمع إليه في اهتمام، ويناقشه في حماس، بعد الإفطار خرج حسين بصحبة شقيقته، وصعدت فيفي إلى الغرفة، انفرد بي عزت، وسألني:

- كل فكرتي أنّ جلال الشناوي، كان له شركاء أجانب.

- كانت لهم أسهم محدودة، لا تتعدى عشرة في المائة، شريك تجاري له

مشاريع في ليبيا أيام حكم معمر القذافي، وآخر إنجليزي.

- أعرف أنه كانت هناك محاولات وضغوط، تمت على أبيك من مسئولين كبار للشراكة، ولكنه رفض، أيامها تسربت معلومات خطيرة، عن محاولات تصفية شركته، بطرق ملتوية، وغير قانونية لإجباره على بيعها.
- للأسف هذا ما حدث، لكننا لن نبيع.
- عرفت مؤخرًا بأن ليلي هانم جدولت الدين مع جرت رشنس.

قلت متفكرًا:

- لو بابا أدين بهذا المبلغ كان ظهر عليه، مثلًا توسّع في شغله، كبر المصانع، أخذ أرضًا في منطقة صناعية، أو جدّد مصنع مسطرد المعطل.
- جحظت عيناه، وقال في مرارة حاول مداراتها:
- أنت بزواجك من ابنتي أصبحت واحدًا من العائلة، وأعرض عليك إدارة مصنعي.

كنت أتوقع عرضًا كهذا، ولكنني لم أبدو رأيًا، تابعته صامتًا، وهو يواصل

حديثه:

- أنا سأبدأ مرحلة جديدة من البيزنس، سيكون وقتي مشحونًا جدًا.

دخلت فيفي، وقالت:

- وأنا وقتي سيكون فول أوبشن.

تبادلت مع أبيها نظرة، وكررت:

- فول أوبشن.

جلست على مائدة صغيرة أمامنا، وقالت في حماس:

- كارير الشغل، الموضة، الديزاين، نعمل شو فاشون، دفيليمات.

- فيه قسم التصميم.

واصلت الحديث في حماس، حتى قال عزت:

- معقولة؟! الزواج غيرك لهذه الدرجة؟

داعبت خصلات شعر زوجها، وقالت:

- ماجد حبيبي هو السبب.

قفزت على شفتيه ابتسامة رغماً عنه.

** **

انشغل سامح مع العمال، ودخلت مكنتي، لأبحث عن الهارد، أو بقايا منه دون جدوى، طاردتني ذات الشكوك الغريبة، تدحرجت كرة الشك أكثر وأكثر حتى استقرت في عقلي، استرجعت يوم هجوم بلطجية سرحان على المصنع، تلاطمت صور الأنقاض، مع شك بدا كيقين، فلم يكن الهجوم على المكتب عبثاً، كان لهدف سرقة الهارد، الذي يضم أسرارك، حتى ولو وضعت بعضها على إيميلك، يقيناً توجد ملفات سرية، احتفظت بها في حساب آمن على حاسوبك، بعيداً عن الشبكة، التي يمكن اختراقها، وسرقة ما بها.

طالبت شاهين وعبد الرحيم والفراشين بالبحث عن أي أثر، ولكنهم لم يعثروا على شيء، فتحت رسالة ماجد، وفتحت الإيميل، تصفحت الرسائل الكثيرة والبيانات، حتى وقت متأخر.

وأنا في طريق العودة اتصلت بـ ماجد، وأفضيت له بكل شكوكي، فقال:

- ممكن، ولم لا؟

- انتبه يا ابني.

قال:

- عزت سليم عرض عليّ إدارة مصنعه.

- وما رأيك؟

-

هم أولادي وأنا أعرفهم، سيوافق على العمل مع حميّه، رغم الشكوك التي ستؤكددها الأحداث، عن علاقته بسرحان ونانسي القوصي وعصمت أبو النور. والمفاجأة الكبيرة أن شقيق نوال هانم -حسين رأفت- سيدير المحفظة المالية لفرع جرت رشنس هنا في مصر.

قال ماجد:

- ممكن أنضم لهم.

قلت في مرارة:

- وتمارس نفس الأعمال القذرة، من سرقة ونصب وتحايل؟!!

صاح ماجد مستنكرًا:

- لا يا ماما، أنا ماجد جلال الشناوي رباني أبي، وأمي ليلي أبو زيد. أنا

سألعب لعبة كعب أخيل. سأتسلل بينهم لأكشف ألعينهم.

- أنا خائفة عليك يا حبيبي، هم مافيا.

.....

وصلت البيت، فوجدت نشوى في انتظاري، كانت مفاجأة سارة بالتأكيد، لم تخيب ظني، هي تحب ابني وهو يحبها. فور دخولي هرعت نحوي، احتضنتها فانهارت في نوبة بكاء حار، وكأنها تستنجد بي، ربتُ عليها، قلت لها:

- اهدئي يا حبيبتي.

جلسنا. تأملتُ عينيها الغارقتين في الدموع، كم تمنيتها ابنة لي، حقًا هي ابنتي الحبيبة، وحتماً ستتزوج ابني الحبيب. عندما هدأت، وكفت عن البكاء، قالت:

- يا خالتي، أنا مهما عملوا معي لن أضحى بحبي وسعادتي.

وأطرقتُ خجلًا، وهي تقول:

- أنا أحب سامح.

- وسامح يحبك.

بسطت كفيها، وقال:

- يا رب.. أنا خائفة، قلبي مقبوض، أبي كان معي، بعد ما عرف أصبح

ضدي.

قلت لأطمئنها:

- أعرف، لكن سأطلب منك طلبًا.

- تحت أمرك؟

- مهما ضغطوا عليك لا تستسلمي، أنا وسامح معك.

رنّ الهاتف، وطالعتُ اسمه، فقلت باسمه:

- سامح جاء على السيرة.

قلت له عبر الهاتف:

- فيه مفاجأة حلوة، أنا في انتظارك.

- سأتأخر.

- يا سامح تعال الآن.

- أنا وصلت البلد.

غمغمت، وأنا أرمق نشوى بنظري:

- وصلت البلد؟!
- لازم أقعد مع عمي، مع السلامة.
- وأغلق الهاتف، خيم الصمت للحظة، قطعها نشوى وتساءلت في قلق:
- سامح سافر لبابا!

** **

عبد الحلیم الشناوي

فتح الباب، وأطل على عمه بنظرة طويلة، قبل أن يدخل، عندما رآته زينب،
يخطو نحوهما، صرخت:

- ولك عين؟!!

لم يلتفت إليها، وخطا نحو عمه الذي جلس وأواه ظهره، ثم غمغم باقتضاب:
- نعم؟

- آسف يا عمي، أنا فقدت أعصابي، و...

صرخت زينب، وقفزت نحوه متأهبة لصفعه:

- ولك عين تجيء برجلك هنا، بعد ما أسأت الأدب معي؟

- أنا جئت لعمي أقول كلمة وأرجع.

واصلت المرأة:

- لا كلمة ولا عشرة، وبنتي خلاص، أسبوع وتتجوز ابن خالها.

في لحظة صفعته الكلمة، أطاحت به نحو جنون محديق، لم يعد أمامه ما
يستحق، أو ما يخشاه، ليطيح بهذه الحيزيون المسمومة، ليدقّ عنقها، وهذا العم
الدعيّ، ليقتلها، ويخطف حبيبته في سفينة، يهرب بها من هذا العالم، ولا يرى
هذه الوجوه التي تربص بسعادته.

صاح:

- نشوى لن تزوج غيري.

مطّت المرأة شفيتها، وشهقت في ابتدال:

- والله لو عملت عجين الفلاحة يا ابن جلال، لن تمس شعرة من ابنتي.

خرج العمدة عن صمته، وأشار لزوجته:

- ادخلي.

سكنت للحظة، ثم استدارت وانصرفت، جلس سامح قبالة عمه، وقال:

- يا عمي، ماما مضت على اتفاق، والدين تم تقسيطه.

أشاح الرجل بعينه بعيداً، وقال:

- تقسطوا الدين؟! ههه... تقسطوا ملياااار؟ يعني رزم فلوس تملأ الدار

والزريبة، ومربط الهائم؟!

- عمي، الدين مشكلتنا وسنحلها.

- ما هو فرضاً لو تزوجت نشوى، أنا سأكون معكم في الهباب الدين، وأنا

لا أستغنى عن نفسي، ولا عن بنتي.

قال سامح:

- ممكن نؤجل الكلام في الزواج، أنا محتاج نسحب قرضاً من البنك

بضمان الخمسمائة فدان.

اتسعت عينا الرجل، وصاح:

- تسحب قرضاً! يعني ترهن فداني المرحوم.

- يا عمي، المصانع تحتاج صيانة.

- تصرفوا بعيداً عن الأرض.

كتم سامح غيظه، وفجأة خرجت زينب وهي تتحدث في الموبايل:

- قلت لي أنتِ...

ثم صرخت، وهي تسرع نحو زوجها:

- بنتك في مصر، عند بنت أبو زيد.

تناول الرجل الموبايل، وغمغم.

- ماذا؟!!

هتف غاضبًا:

- بنت! أنت..

قاطعته نشوى باكية:

- لا يا بابا. لن أحطم حياتي، أنا أحب سامح وسنتزوج.

عاودت الحيزيون صراخها في وجه سامح:

- لعبت في دماغ البنت، وخطفتها، لكن بالله العظيم بنتي لو ما رجعت

الليلة، أكون مصورة قتيلاً.

صمت سامح للحظة، ثم اندفع خارجًا، فلحقت به المرأة وقذفت وراءه قلة،

فتناثر حطامها.

سادت لحظة صمت، شعر عبد الحليم بأنه مقبل على فضيحة، لو تزوجت

ابنته، دون فرح ومعايير من الكبراء والعمد، ووليمة، ونقطة دفعها بالألوف،

يتحاكى بها الناس لسنوات، وصورة زفاف بالألوان في الجرائد والمجلات.

قال بصوت غلبه البكاء:

- نشوى، وصلت أنك تهربي من بيتك؟!!

تناولت الموبايل من نشوى، وقلت للعمدة:

- أنا سأحضر نشوى وأتي البلد.

أغلق الرجل الموبايل، وقال لزوجته:

- زينب، الحكاية تحتاج إلى حكمة، دعك من الزعيق والصراخ.
- ما هو بنتك لازم تتزوج عبد العاطي والّا..

قاطعها:

- بالهدوء..
- أشوف.
- ليلى وبنتك في الطريق، لو لم تقدري تمسكي لسانك، ادخلي الأوضة،
واقفلي الباب عليك

** **

-10-

رزق السلاموني

والظلام يحيط بالأشياء، وصلت طرقات عنيفة متواصلة، فتح عينيه وغمغم في سرّه غاضبًا، وهو يضغط على مفتاح النور.. يخرب بيتك يا شحتوتة يا بنت القروود أنتِ، كانت دومًا تنهال عليه بعصاها السنط المدببة، واعتاد على سبها، والدعاء عليها مع كل أذان، وما إن فتح الباب حتى اندفع ثلاثة رجال مثل الطوفان، قبض عليه كبيرهم، علقه من قفاه مثل أرنب بري، وسبه بوقاحة ممجوجة، وعندما لعن شرف أمه، صرخ:

- إلا أمي يا ابن الكلب.

وتمطى في رشاقة مثل حيّة سامة، حتى قبض بأسنانه على إبهام الرجل بحرقه فكاد يقطعه، صرخ الرجل، وأطاح به أرضًا، وانهال الثلاثة عليه ضربًا وركلًا، حتى سقط مغشيًا عليه.

أفاق على أوجاع تقبض على عظامه، فتح عينيه على بقايا أثائه المحطم، الكرسي، والسرير، والدولاب الصغير، وملابسه الممزقة، تحسس آثار جروح، ودماء جافة في كل أنحاء جسده النحيف، عاين الرجال وهم ينتشرون حوله، بصق عليهم، وقد استبدت به -فجأة- قوة أسطورية، وكأن عليه أن يطارد جميع خصومه، يحتقرهم لأنهم أحطّ أنواع البشر، شحتوتة، الغوريلا الكريهة، ومكرم، وها هم نصف أزواج بناته، جميعهم اجتمعوا عليه.

سأل ساخرًا:

- أنتم بوليس، ولا حرامية؟!

- قب بالفلوس.

ولكزه أحدهم:

- اخلص.

دمدم رزق، وردد في استهانة:

- أنتم حرامية وعارفين أن معي فلوسًا.

قبض أضخمهم شعره الأكرت في عنف، وقال مهددًا:

- تتكلم، ولا نخلص عليك؟

ثم ربت على كتفه، وقال:

- الربع مليون جنيه.

ابتسم رزق، وقال:

- الآن نتكلم ونتفاهم.

انقض واحد منهم بصوت أجش:

- قل وخلص.

شملة بعينيه، ورد في استهانة:

- ومن معه ربع مليون جنيه، يتركهم في هذه الخرابة؟ الظاهر أنكم حرامية

ولاد حلال.

قبضت أصابع فولاذية على جرح غائر في كتفه، وصرخ مهددًا:

- لن يقرّ إلا بهذا.

صرخ رزق من شدة الألم، فغرس الرجل أصبعه بقوة في الجرح:

- ستقول أين الفلوس؟

لم يقبل أن يتذلل، مهما بلغ به الألم، تحوّل صراخه فجأة إلى ضحكة عالية،
ماجنة، وهو يقول:

- الفلوس في البنك، سوري يا جماعة، هارد لك، تفضلوا لأنني عاوز أنام..

صرخ كبيرهم:

- ارموه في السيارة..

حملة الرجال وهبطوا السلم، وقذفوا به إلى سيارة ميكروباص، وانطلقت على
الفور، وتناهى صوته صارخاً، مستغيثاً:

- أنا سأسجنكم، أنا مواطن مصري شريف، أنا...

** **

عبد الحلیم الشناوي

عندما دخلتُ بصحبة نشوى، واجهني بنظرة ضعيفة، واهنة رغم حدّتها، وكأن الغيرة القديمة قد تلاشت، توارى بعينه خجلاً، وكأنني أبوه الذي وصمه بالغباء، والذي لم يكن يجرؤ على الكلام في حضرته، أو رفع عينيه من الأرض إلى وجهه، عندما كنت أرى ذلك كنت أشعر بالشفقة نحوه، دون أن أظهرها، فالشفقة مذلة أحياناً، لم أكن أناديه إلا بعمي عبده لأرفع من شأنه، أمام أولاده وأولادي، حتى وفاة أبيه، فصار من بعده عمدة.

فور جلوسي، قلت له:

- أنت عارف يا عمدة، أن نشوى ابنتي، وأخوك الله يرحمه، كان يحبها مثل ابنته.

قال باقتضاب:

- الله يرحمه.

قالت نشوى:

- يا بابا أنا لم أهرب، أنا رُحت لخالتي لأنني أحتاج حد بجاني، بعد ما حضرتك وماما اتفقتما على حرمانني من خطيبي.

أشاح عنها، وقال:

- اطلعي أوضتك.

قاومت نشوى دموعها، وقالت:

- حاضر. لكن لازم تعرف يا بابا أنا أحب خطيبي، ولو زوّجتني غيره تكون حكمت عليّ بالإعدام.

كظمت دموعها، وأسرعت إلى الدرج وصعدت.

تابعتها بنظري، ثم قلت في هدوء:

- يا عمدة الدنيا لم تهدم، والحياة لم تنته، أخوك جلال كأى رجل أعمال
عرضة للخسارة، وأي ديون سأفي بها، وأولادي حياتهم ستسير كما هي،
ماجد تزوج من حبيبته، وسامح سيدير مصانع الشناوي معي،
وسيتزوج نشوى، إن شاء الله.

وارى الرجل عينيه، وقال:

- ليتنا نؤجل الكلام في الزواج.

تنهدتُ في حيرة، ولم أشأ أن أطيل الحديث، ودعته وانصرفت.

** **

رزق السلاموني

قذفوا به فسقط أرضًا، أحاطوه وسط دائرة محكمة، رفع رأسه ونظر إليهم متحديًا، استبدت به رغبة للتنكيل بهم، تحوّلت ابتسامته البائسة إلى نظرة استعطاف، قال:

- أخرجوني من هنا.

فك الدائرة المحكمة حوله، رجلٌ مثل العفريت، وقال:

- هو دخول الحمام مثل خروجه يا خفيف؟

- وأنا هنا مكبّل بالأصفاد، كيف أجيب لكم الفلوس؟ فكوني ونتفاهم.

قال العفريت:

- لا أقدر، أنا عبد المأمور.

- ويطلع مَنْ جناب المأمور؟

فك محيط الدائرة ليدخل المأمور، فهتف رزق، عندما رآه:

- مَنْ! الياوران عامر سوسة؟!

سأله سوسة، وهو ينش ذبابة وهمية:

- حتى الآن لم تتكلم يا رزق، أين الفلوس؟

انفجر رزق ضاحكًا:

- لو مت هنا، لن أقول حرفًا.

- ستري، ستتمنى الموت ولكنك لن تموت.

- من الآخر، أنا لو خرجت من مولد سيدنا السرجاني من غير الفلوس،

العالم سيأكل وشي، وهذا لا يرضيك شخصيًا.

- أنت عارف أن عملتك كانت سببًا في موت السرجاني.

عاود الضحك ساخرًا، وقال:

- هو أنا ابن عم عزرائيل، وسمع كلامي؟!!

قال سوسة بلهجة لينة لا تخلو من تهديد:

- لو سلمتك لرجالة بنات السرجاني ستقتل.

- أنا موافق سلمني، وبوصفك مدير الخزينة، ضببط ورقك، والربع أرنب

سجلهم باسمي، مكافأة نهاية الخدمة.

- أنت الجاني على روحك.

وأشار لهم:

- هاتوه.

.....

كاد قلب أرملة السرجاني يتوقف، وقد أحاطت بها بناتها الست وأزواجهن، وهي

تردد غير مصدقة:

- متزوج؟! الحاج مكرم متزوج! مَنْ؟!!

قال منصور سعد بوجه أسف:

- الموضوع مفاجأة بالنسبة لي مثلكم، أنا فوجئت أن مكرم بيه كان

متزوجًا، وله ولد.

تحاملت الحاجة على يد بناتها، وهي تردد كمن ستلفظ آخر أنفاسها:

- كذب، كله كلام كذب.

سأل أحد الأزواج المحامي محتدًا:

- مَنْ تكون صاحبة العصمة التي ضحكت على الرجل؟

أغلق منصور حقيبة أوراقه، فقبض عليه الرجل، وقال مهدداً:

- تكلم ولا متفق تقسم معها؟

- عيب يا حضرة!

وصلت ضوضاء وضجيج من الخارج، أسرع أميرة إلى الشارع مضطربة، فمئذ وفاة مكرم انتابها خوف طحن أعصابها، رأت سيارة تتوقف، ورزق يخرج محمولاً منها، وسوسة ورجاله يسرعون به إلى المعرض، تمكّن من القفز منهم مثل قرد، لحقوا به وهو يصرخ مستنجداً بالمارة:

- الحقوني يا خلق من المجرمين، سيقتلونني.

هجموا عليه، فركلهم وانهال عليهم صفعاً، وجرى نحو الحائط، خبط رأسه بكل قوة، فانبجس تيار من الدم سال على وجهه، وهو يصرخ:

- ابعدوا عني، يا مجرمين.

صرخ سوسة فيهم:

- أدخلوه المحل.

وهم يحملونه عنوة، واصل ثورته في استماتة:

- أنا مواطن شريف مستقيم، معي كافة المستندات، كارنيه حزب مواطن

شريف، أنا مواطن شريف، الحقني يا شعب.

وأميرة مرتبكة، ينتابها الخوف، ترتعد مفاصلها، انطلقت مسرعة إلى الشارع. حملوا رزق مكبلاً إلى الداخل، وألقوا به أرضاً وسط ضوضاء، وضجيج، وحشد رجال ونساء، كانت الحاجة شوقيه -زوجة السرجاني- قد فقدت الوعي، وبناتها الست حولها، ينتحبن.

وعلى الفور تنهت حواسه، هي الجولة الأخيرة، عليه أن يفوز بالقاضية.

اصطحب الرجل المحامي وانتحى به جانبًا، وسأله:

- مَنْ المرأة التي تزوجها مكرم؟

- بنت شغالة هنا، اسمها أميرة عبد ربه.

- مَنْ عبد ربه؟ بنت مَنْ؟ أقصد ساكنة في أي مصيبة؟

نظر إليه منصور متقززًا، وأعطاه ورقة:

- تفضّل عنوانها.

خرج منصور مسرعًا، وانتبه الرجال إلى رزق وقد غطت الدماء وجهه، كمصاب

حرب، تبادلوا النظرات، فقال لهم:

- أنا عامل في المعرض، وبلطجية اعتدوا عليّ.

واستدرك منبهًا:

- على فكرة أميرة عبد ربه هنا، شفتمها وأنا داخل، كانت مذعورة، وممكن

تهرب.

فور خروج أميرة من المعرض، استقلت سيارة تاكسي، واستغاثت بعزت سليم

عبر الهاتف:

- الحقني يا عزت بيه، أنا ليس لي أحد أستنجد به غيرك، أنا في مصيبة،

وأطلب حمايتك، حياتي معرضة للخطر، الموضوع كبير، أنا في الطريق

لحضرتك أشرح لك كل حاجة، مع السلامة..

أغلقت الهاتف، واستبد بها الخوف، لماذا لجأت لعزت سليم، وهي تكرهه من

صميم قلبها، رجل ليس له أمان، خائن، مغرور، طماع، حذرتمها أختها أمانى..

انتبهي يا أميرة عزت سيطمع في أموال ابنك، لكنه الوحيد الذي سيحميك من

المجرمين المتأهبين للتخلص منك، أو من تامر ابنك، كل ما طلعت به من الدنيا،
تمهدت وهي تردد لتطمئن نفسها.. ربنا يسترها.

** **

ليلى أبوزيد

بعد أسبوعين، وقفتُ أمام مكتب مدير البنك الزراعي، قال لي:

- الخمسمائة فدان في حيازة عبد الحلیم علي الشناوي، منذ ثلاثة أشهر.

لم أصدق، وتساءلت:

- كيف حدث ذلك؟!

رد الرجل في هدوء:

- نقل الحيازة يتم بعقد بيع.

غمغمت، وقد بدت حقيقة سرقة بينة أمام عقلي:

- لم يحدث، لم يبع زوجي الأرض لأخيه!

.....

حبيبي جلال..

وأنا في الطريق إلى العمدة، سألتك.. هل حقًا بعت له العزبة؟ أثق بأنك لم تبع له

شيئًا، ولو حدث لقلت لي.. أنا بعت الخمسمائة فدان لأخي، أو سأهب عبد

الحلیم أخي كل تركتي، ولكنك لم تقل، لأنك يقينًا لم تفعل، إذن ما العمل؟

أخوك زور عقد بيع حقًا!

وصلت بيته، وجلست إليه، احتدت زوجته، نفثت قطرانًا من فمها، فلم أسمع،

ولم ألتفت إليها، وسألته:

- أريدك على انفراد في كلمتين يا عمدة.

خطت المرأة نحو الكنبه، وجلست قبالتنا، وقالت:

- انفراد! أليس عيبًا يا امرأة تنفردين برجل؟ معذورة رجلك مات وتركك يا

كبدي وحيدة.

لم ألتفت إليها، وخاطبت العمدة في رجاء:

- لو سمحت.

أشار الرجل بيده لزوجته، فقامت متبرمة إلى المطبخ، وقال:

- أنا قلت نقفل موضوع الزواج.

قلت وأنا أنظر في عينيه المراوغتين:

- عندك حق، أنا كنت في البنك الزراعي، والجمعية الزراعية، قالوا لي،

إنك اشتريت أرض أخيك جلال.

ردد وهو يشيح بعينه بعيدًا:

- أه.. حصل.

استدركت:

- شفت عقد البيع في ملف الحيازة، وطبعًا توقيع البائع مزور.

اتسعت عيناه، ورمقني بنظرة مخاتلة، وغمغم:

- مزور؟! تهميني بالتزوير يا امرأة أخي؟!!

رشقته بنظرة صارمة كانت كفيلة بتعريته أمام نفسه، وقلت:

- الكلام الكثير ليس له داعي، سأتغاضى عن التزوير بشرط أن تسحب من البنك قرضاً بخمسة وعشرين مليوناً باسمك لي، وأنا على استعداد أسلمك إيصالاً بأن هذا المبلغ جزء من ثمن الأرض.
- صاح الرجل:
- خمسة وعشرون مليون! يا نهار أسود، ولو قلت لا؟
- ظلت نظرتي مصوّبة نحوه، لأواصل تعريته، ثم قلت:
- فيه حل ثاني، اعمل مجلس عرب، ونحلّ عرفياً، ادع العمدة وكبار رجالات البلد، والكفور المجاورة، ويحكّمون.
- رأيته عارياً تماماً، فأشفقت عليه، وتأهبت للخروج، ثم استدركت:
- فكر يا عمدة، على فكرة، أنا أخذت صورة رسمية من عقد البيع، لعرضها على خبير خطوط في الطب الشرعي.
- أسرعت نحو الباب، فلمحت زينب وهي تخرج من المطبخ حاملة قُلة، كسرتها ورائي، وقالت في غيظ:
- غوري في حرّارة.
- فتحت الباب والتفت إلى العمدة، وقلت له:
- سأنتظر منك تليفوناً.
- خرجت، وأغلقتُ الباب خلفي في هدوء.
- في الطريق، تواصلت مع نجيب الحريري:
- هذا كل ما حدث.
- مدام ليلى سأذهب أنا للعمدة، وأحلّ هذه المشكلة.

- كل ما يشغلي المال المطلوب لنبدأ الصيانة.
- حاضر.

** **

حامد سليم

مع وصول حسين رأفت، توارت نوال، استبد به الشوق، وأقرّ قلبه بأنه يحبها حبًا خالصًا، لولا أنها زوجة صديقه الوحيد، الذي يعيش في ظله، نعم.. يكفيه من حبه صدق الرؤيا، وهي تشمله مع أنوثتها الثرية بإغراء كاسح، يلمح مع سحرها وعدًا صريحًا.. لا تزال نظراتنا التي استمرت أكثر من عشرين عامًا عالقة، نوال.. أن للحب الذي نبت في الخفاء أن يستبين، نعم يا حبيبتي.. كان على وشك البوح منذ أسابيع قليلة، قبل مجيء حسين من هجرته الطويلة.

ردد حامد متمنيًا.. نوال حتمًا ستحين لحظة الحقيقة، والاعتراف، والبوح، فلن أكظم حبي بعد اليوم.

في هذا الصباح، اتصل به عزت، فأسرع إليه في ساعة مبكرة، دخل الفيلا، جال بعينيه بحثًا عنها، حتى رآها في التراس تشرب قهوتها في هدوء، خفق قلبه، وهو يخطو نحوها..

- صباح الخير يا نوال.

شملت وجهها ابتسامة، وفرحة سجيّة، فازداد سحرها، جلس قبالتها، فقالت معاتبة:

- كنت مختلفيًا منذ فترة؟

زانت وسامته ابتسامة عذبة، وقال:

- أنتِ شغلك رجوع حسين عن كل حاجة.

ثم ردد في ود:

- وحشتني.

اتسعت ابتسامتها حتى ملأت وجهها المستدير، وغمغمت:

- ميرسي يا حامد.

تلقت بعينيه، وسألها:

- أخوك حسين موجود؟

قالت آسفة:

- قعد معنا أسبوعًا، وانتقل للإقامة في الأوتيل.

حانت فرصته ليقول لها.. أحبك، خيل إليه أنه قالها، وسمعتها، فندت ابتسامه

حركت رغبته بفحيح مثير، قال لها:

- نوال.

ثم صمت، فسألته:

- نعم؟

قاوم عجزه، وقطع صمته مرددًا:

- أنت عارفة أنك..

وساد الصمت مرة أخرى، فاتسعت عيناها وشعت بريقًا حادًا، ثم سألته

متعجبة:

- حامد! مالك؟!!

ألم تعرفي ما بي؟! أحبك، وأنت تحبيني، لا تنكري، حتى لو أنكرت بلسانك،

ستعترفين، كل شيء فيك ينطق بها.. أحبك، عيناك، نظراتك.. لفتاتك.. ضحكتك،

صوتك، صمتك.. أحبك.

فجأة انقض عزت منتشياً، وقال مرحبًا:

- جئت في وقتك يا حامد!

بايماءة سريعة نحوها، قال:

- لأول مرة أجيء في وقتي.

ربت عزت على كتفه، واصطحبه للخروج:

- ماجد ينتظرك في المصنع، ستسلمه كل الإدارة وكل الملفات، لتكون

مساعدتي في المنصب الجديد.

التفت حامد نحو نوال، وقال:

- مع السلامة يا نوال.

رفعت أصابعها، وبصوت مضمخ بخمر الأنوثة، همست:

- سلام.

تناولت فنجان قهوتها ورفعته إلى شفيتها.

بينما يخطو عزت به نحو الباب، قال:

- عندي لك مفاجأة بمليون جنيه.

تساءل حامد:

- خيرًا؟

استقل السيارة إلى جواره، وقال:

- تعرف نابليون بونابرت؟

- أسمع عنه؟

- وأكد تسمع عن أميرة عبد ربه.

- وما علاقة عبد ربه، بنابليون؟

- الجنرال حظ، أميرة، طلعت متزوجة من مكرم، ولها منه ولد، البنت خافت، واتصلت بي لأحميها، من أزواج بناته، همهم... نصف دستة أشرار.
- ومكرم كاتب للولد كل أملاكه، بضاعة، وأراضي، ومنقولات، ورصيد في البنك، مبلغ كبير.

انطلق عزت بالسيارة، ضاحكًا:

- هم... قلت لك الجنرال حظ رئيس أركان نابليون بوناپرت معي. شاركه حامد الضحك، ونظر إليه، فجأة تنازعت في أعماقه عواطف الصداقة الغريبة، المتناقضة: بين كره وحب، وغيره، وحسد أسود.
- قال له:

- فعلاً أنت محظوظ، قبل فضّ الشركة مع السرجاني يُتوفى! وواصل وسط قهقهات عزت العالية:
- وتأتي زوجته لك بكارت بلانش، تقول لك: تفضل تصرف في الشركة، وفي كل الثروة بما ترى.
- خيل إليه أن كرهه وغيرته، وحسده الأسود، طفحت من عينيه، وهو يواصل حديثه:

- وأيضاً مدير تنفيذي لجرت رشنس.

غمز عزت بعينه، وقال:

- أمسك الخشب، ما يحسد المال إلا أصحابه.

واستدرك:

- سأمر على أميرة في شقة أختها، أخذها على المحامي تعمل لي توكيلاً، وأوصلها استراحة الفيوم.

انتشت ملامح حامد فجأة، باغتته فرصة سانحة، تمثلت نوال أمامه، ونقرت بأصبعها على قلبه كعصفور أخضر، وهمس صوتها المثلث بخمر الأنوثة، يردد في نعومة:

سلام.

أفاق على عزت يطلب منه راجياً:

- أنت عليك بنوال، مرّ عليها آخر النهار، قل لها أي حاجة، عزت سافر إسكندرية.. دمياط يفرج عن بضاعة في المينا، وسيغيب يومين، قل لها أي حاجة؟

تهند في حرارة، وقال:

- أمرك.

ثم استدرك:

- اليوم الشركة الألمانية أرسلت إنذاراً، لو توليت منصب المدير التنفيذي في Great Persians سيسحبون الترخيص.

كان عزت في قمة الرضا، وهو يقول في ثقة:

- تهديدهم مرفوض، وغير قانوني، ممكن أشتكهم في بلدهم، لأن

القوانين هناك تلزمهم بدفع ضريبة عن أنشطتهم في الخارج.

أضاءت الإشارة الحمراء، فضغط على الفرامل، وواصل حديثه:

- .. وهنا طبعًا لا يدفعون لمصلحة الضرائب أي قرش، وسعر الضريبة منخفض، ويتمتعون بإعفاءات، وأمور فنية، نظام التسعير، وسعر صرف الجنيه، هذا غير التلاعب في الميزانية.

قال حامد ناصحًا:

- أنا سأصرف، فكّر أنت في مشكلتك.

** **

ماجد الشناوي

تذكر نصائح أبيه الكثيرة: ابذل مجهودًا عضليًا قاسيًا، ثم استرخ في هدوء،
 حتمًا ستجد حلولًا لكل المشاكل، اليوم تجوّل مع المهندس حامد سليم في المصنع،
 الرجل بدا بشوشًا، مرحًا، مُقبلاً على الحياة، تحدّث في ثقة، نمّت عن علم بكل
 كبيرة وصغيرة تخصّ شغله..

- هنا أحدث ماكينات، تكنولوجيا حديثة خط إنتاج، ينتج كل ساعة
 نصف مليون قطعة.

نعم يا أمي، تطورت تكنولوجيا الغزل والنسيج، ووصلت لمراحل متقدمة جدًّا.
 واصل حامد حديثه:

- أنا عملت دراسة، ليصبح المستهدف إنتاج مليون قطعة.

تعرفني يا ماما.. حامد سليم يملك عقل مهندس، ورجل أعمال فذّ، وأنا أتابعه،
 تذكرت أبي، داخلني شعور بأن كل ما ينقصه الثقة بالنفس، أو ربما ارتباطه
 بعزت سليم أخّره، وقلّص طموحه، أو لا أعرف، حتمًا يوجد سبب حال دون
 بروزه كرجل أعمال كبير.

أو ليكون قريبًا من...

كان على ماجد أن يتعلم منه كل شيء، بعد يومين زارني في المصنع، وجد
 المهندس عماد عبد الرحمن، يشرح لي الدراسة التي أعدّها.
 وتحدث مهورًا عما رآه في مصنع آل سليم:

- مهم جدًا العلامة التجارية، ونظام الفرانشايز "Franchise"²

.....

حق الامتياز لجذب العملاء، ولا بدّ من وضع خطة مدروسة للتصدير،
والدعاية والترويج.

قال عماد:

- ضروري يكون موجودًا مدير تسويق، شُعلة نشاط.

وأخرج ماجد الموبايل، وقال:

- معي دراسة عن صناعة الجلود الصناعية، وال " window

"blackouts" معتمات الشبابيك، ومواد تجليد الكتب، والتربولين

tarpaulin "المشمع"، و...

-

-

** **

² حق الامتياز: (Franchising) هو عقد حق الامتياز بين طرفين مستقلين قانونيًا واقتصاديًا يقوم بمقتضاه أحد طرفيه والذي

يطلق عليه مانح الامتياز (Franchisor) بمنح الطرف الآخر والذي يطلق عليه ممنوح الامتياز (Franchise)

-11-

ليلى أبو زيد

عند وصولنا، وجدت نشوى في انتظارنا، لم تكن هذه المرة مفاجأة سارة، اضطرب قلبي، وأنا أرى دموعها، فور دخولي أسرعْتُ نحوي، ضمتني وهي تنتفض من الخوف، ربتُ عليها لأهدئها، وقلت:

- اهدئي يا حبيبتي.

قالت وهي منهارة وسط دموعها:

- بعد خروجك من بيتنا، سمعت أمي ترتب مع أبي، كتب كتابي على ابن

خالي، دون موافقتي، والكارثة أنه موافق.

تدخل سامح غاضبًا، وقال:

- هذه جريمة.

قالت:

- سامح هذه فرصتنا الوحيدة، أنا أعرف أبي وأمي، لو استسلمنا لهما

فلن نتزوج.

واستدركت راجية:

- صدقني.

فضلتُ أن اتركهما بعض الوقت، خطوت إلى المطبخ، وناديت:

- صابحة.

قال سامح:

- لو تزوجنا بهذه الطريقة، ممكن أبوك يجرى له حاجة.
قاطعته نشوى:

- لن نرتكب جريمة، بل ما سيفعلونه معي هو الجريمة.
ورددت وهي توصل ترجيه:

- سامح، سنتزوج على سنة الله ورسوله.
واصلت:

- حبيبي، أنا لن أضحى بنفسى وبحبي لك، إلا إذا...
شملمها بنظرة حزينة، وأجلسها:

- نشوى، ضروري نفكر في إقناع أبيك بزواجنا.
صاحت غاضبة:

- قلت لك لن يقتنع!

خرجتُ حاملة الأطباق وورائي صابحة، وقلتُ:

- أنا مقدرة حبك لسامح، وهو يحبك ولن يفرط فيك مهما حصل، نشوى
يجب ألا نسيء لك أو لسامح، أو لأبيك، أو لحبكما الجميل.

- يا خالتي لن يفهموا كل هذا، لو عدتُ إلى البيت، سيكتب كتابي دون
موافقتي.

ضممتها إلى صدري وقلت:

- نشوى سأسافر معك، لأمنع هذه الجريمة.

هطلت دموعها، وقالت بصوت مختنق:

- صدقوني أرجوكم، لو ذهبت دون زواج، سينتهي كل شيء، افهموني أرجوكم.

تبادلت مع ابني نظرة، كنتُ عاجزة عن اتخاذ القرار، ويا له من قرار! وانقشعت الحيرة كرائحة نفاذة، فجأة تناولت نشوى الموبايل، وتحدثت إلى أبيها غاضبة، ثائرة كمن تطلق رصاصة:

- بابا.. أنا عند عمي، وسأتزوج سامح الليلة.

نظرت نحونا، والصمت الذي كان قطعة موت وخواء، ضجّ كصرخة عالية، وانقض القرار الذي لا مفرّ منه..

سأتزوج سامح الليلة.

وجدنا هاني واقفاً أمامنا، قطع لحظة الصمت، وقال:

- لا حلّ سوى الزواج، فوراً والآن، ولا تتركا حبكما نهياً لمساومات رخيصة، أو... تتخليا عنه.

حضر المأذون..

- قل: زوجيني نفسك على سنة الله ورسوله.

-

- وعلى مذهب الأمام أبي حنيفة النعمان.

-

- وعلى الصداق المسمّى بيننا.

-

- قولي: قبلت زواجك.

- قبلت زواجك..

- بالرفاء والبنين.

.....

انصرف المأذون، ونامت نشوى معي.

صباح اليوم التالي، رنّ هاتف نشوى، ووصلها صراخ أبيها:

- أنتِ جننتِ يا بنت؟!!

- أرجوك يا بابا.

قاطعها في عنف:

- أنتِ وضعتِ رأس أبيك في التراب، ولوّثتِ سمعتنا، الوضع يرجع كما

كان.. يطلقك أو أجيء لمصر، آخذك من شعرك زحفًا للبلد.

صرخت نشوى:

- أنا زوجة سامح على سنة الله ورسوله.

** **

هاني الشناوي

وهو يحتضنها بنظرة عميقة، قال:

- أصبحت فألفيت نفسي شاعرًا.

ابتسمت لبني؛ فبدت أسنانها البيضاء ناصعة، وقالت:

- فجأة!

اقترب منها:

- وألفيت نفسي أحبك!

تفجرت أنوثة لبني، وهي تقاوم خجلها في نعومة:

- هاني!

بعد ليلة حفل جرت رشنس القريبة، اهتمت بنفسها، بأنوثتها، انتقت ملابس

حريرية ناعمة، وأقراطاً وسلاسل ذهبية، فبدت أنثى رائعة..

زيتية العينين..

فوق المسافات..

أحبك فوق التصور..

فوق الحكايا^٣

اليوم وضعت مكياجًا، فأضحت سمراء مُغرية، جلس هاني قبالتها، وقال:

- أحبك منذ زمن.

لمعت عيناها ببريق أخاذ، وقالت:

- وأنا أحبك، منذ ذلك الزمن الذي أحببتني فيه.

^٣ شعر نزار قباني، من ديوان "قالت لي السمراء".

امتدت نظرة حانية لثوانٍ، قبل أن ترشقها ضحكات رفيعة متتابعة مثل سكين حادة، دخل زكي البيومي بصحبة عدد من الفتيات، قال لهن محدّراً:

- هدوء.. ولا صوت، سأغيب دقيقة عند رئيس التحرير، وأعود.

خرج زكي، قالت لبني، وهي تشير بإيماءة نحوهن:

- أكيد أبطال الحملة الإعلانية للفرس الأعظم.

اتسعت عيناه، وتساءل:

- تقصدين جرت رشنس!؟

- نعم.

.....

خرجوا إلى الشارع، تركا السيارتين في جراج المجلة، وذهبا إلى كافييه قريب، فقد شعرا بالرغبة في البوح، كل منهما أراد أن يشتكي همومه للآخر، قال هاني:

- كان لا بدّ أن ينقذا حيمما.

- لكن لن يمر هذا الزواج بدون مشاكل صعبة، أخشى أن يتحطم على صخرتها.

- الحب سينتصر في النهاية.

عرجا على كافييه، قبالة دار القضاء العالي، جلسا إلى المائدة، احتواها هاني بنظرة، وقال:

- لبني.. لازم نحدد موقفنا.

لم تشأ أن تبدد الوقت، أرادت أن تختصر الزمان والمكان، فسألته:

- وما آخر حبنا؟

- النهاية الطبيعية. الزواج.

تراجعت على مقعدها، وقالت:

- زواج؟! -

تساءل هاني:

- فيه حاجة تمنعنا من الزواج؟

- لا.. مجرد هاجس، يحذرني من تجربة زواج أخرى.

وضع الجرسون العصير وانصرف.

قال هاني:

- لبنى، أيّ تجربة فاشلة، لا يجب أن توقف الحياة.

- أنا معك.. الحياة أكبر من أيّ فشل مهما كان حجمه، لكن..

ضمّ هاني كفها الصغيرة، وقال في حماس:

- معاً ممكن نعبر أي صعب.

** **

حامد سليم

جلس ينتظرها، على المقعد الذي تركه خاليًا منذ الصباح، وقد تملكه تصميم على اغتنام الفرصة، ليُخرج لها، وتُخرج له، كل ما في قلوبهما معًا من حب، فقد أن للمشاعر الحبيسة أن تولد من سكونها، انتبه على صوت خطوات تقترب من التراس، التفت.. فرأى ميرفت:

- مساء الخير يا أنكل.

- مساء الخير.

جلست قبالتة، وقالت في حماس:

- كارير الشغل جنان، أنا أحلم.. ببيع شوز. فاشون. دفيليات.

شملمها الرجل بنظرة باسمة، وقال:

- واضح أن الزواج غير فيك حاجات كثيرة.

- كل حاجة يا عمو، كل حاجة، أنا نفسي أنافس بيوت الأزياء العالمية.

ضحك من حماسها، وغمغم ناصحًا:

- واحدة واحدة يا فيفي!

ثم سألمها:

- هي مامتك في الخارج؟

- أكيد عند خالو حسين.

ثم وقفت، وقالت:

- وماجد موّت نفسه في الشغل، كل ليلة يصل الفيلا متأخرًا.

- واضح أنك عرفت تختاري، ماجد مهندس مجتهد.

- وأنا يا عمي؟

- أنتِ الكل في الكل.

- ميرسي يا عمو، أنا ألحق آخذ شور قبل ما يصل ماجد.. باي.

انصرفت، وبعد انتظار طويل، سمع نوال تنادي:

- مرجان.

أسرع حامد نحوها، وقال متلهفًا:

- يااه!! تأخرت.

- مساء الخير يا حامد.

- أنا لي ساعة منتظرك.

جلست قبالته، وسألته:

- فيه حاجة؟

قال في لهفة:

- فيه حاجات.

غمرتها ابتسامة صافية، وسألته:

- خير يا حامد؟

شمل وجهها بنظرة عميقة، صدحت الكلمة في قلبه، قالها وهو يحتوي الوجه الذي عشقه، وهام به طوال ربع قرن، تأملته بعين مراوغة، كانت قد سمعتها منذ زمن..

أحبك يا نوال.

قالت:

- تكلم يا حامد.

همس لها:

- أحبك.

انقشعت الابتسامة عن وجهه حاداً، لم يره من قبل، واستقر السكون لحظات، ولكنه كان قد عقد العزم، على اغتنام الفرصة، وإخراج مشاعره الحبيسة من سكونها، ردد متودداً:

- نعم أحبك.

توارت بوجهها، ولكنه لاحقها، فلن يدعها تهرب منه هذه المرة، وقفت، وقالت وقد قبض عليها الارتباك:

- حامد هذا الكلام لا يصح!

- ولكنها الحقيقة، وأنت تعرفين.

وقف قبالتها، وقال:

- سأنصرف الآن؛ لأنّ ماجد على وصول.

واستدرك:

- عزت سافر إسكندرية، فيه مشاكل جمركية لشحنة، وسيغيب يومين،

تصباحي على خير.

تأمل وجهها للحظة، ثم تركها وخطا نحو الباب، كان مرجان يسبقه، وما إن فتحه، حتى اندفع الرجال الست، يسبقهم رزق مغطى الوجه بالقطن والشاش، والدماء الجافة، قال:

- مساء الخير يا حامد باشا.

تأمل الوجه وراء الضمادات، حتى أزاحه رجل منهم، وقال:

- رجال مكرم بيه.

خرجت نوال، وتساءلت:

- خير؟

قال الرجل:

- بهدوء ومن غير فضيحة، يسلمنا أميرة عبد ربه.

نشبت شكُّ مثل دبيب نمل في قلبها، وتعلق وجهها بحامد، وسألته:

- ما الحكاية يا حامد؟!

التزم حامد الصمت، فخطا رزق نحوها، وقال:

- الحكاية يا هانم..

قاطعته حامد غاضبًا:

- لا حكاية ولا غيره! تفضل اخرج، تفضلوا كلكم.

واصلت نوال ثورتها:

- لازم أفهم الحكاية، ومن أميرة هذه؟!

قال رزق:

- الحكاية في كلمتين، الباشا أخذ أميرة وأخفاها.

كادت نوال تُصعق:

- يا نهار أسود!

دخل ماجد، جال بعينيه متأهبًا، في حين استدرك رزق:

- تحريات عامر سوسة أثبتت أن عزت باشا أخذها.

وقال للرجال:

- وطالما هي غير موجودة هنا، يبقى أخذها للفيوم.

سقطت نوال على فوتيل قريب، وهي تردد:

- أخذها الفيوم!

والتفتت إلى حامد، واستدركت في مرارة، بلهجة اتهام:

- كنت عارفاً، وتقول لي إنه سافر إسكندرية.

ورمقته بنظرة حادة، صاعقة..

جئت تراودني عن نفسي!

- سأشرح لك الموضوع.

رددت في مرارة:

- أخذها عزبتي! وأكد هو معها الآن، لا!!

قال ماجد:

- أنتم عارفين هي فين، تفضلوا.

خرجوا تبعاً.

قال ماجد:

- اهدئي يا نوال هانم.

- أهدأ؟ حماك المحترم تزوج عليّ.

قال حامد:

- لا زواج ولا غيره، الموضوع غير كذا خالص!

تناولت نوال كبسولة "سبازمونال"، وقالت:

- لازم أسافر الفيوم الليلة.

خطت فيني مسرعة، وسألت:

- بابا تزوج! يا نهار أسود، هو...

ورددت في ضعف، وقد شعرت بدوار...

- هوووو... آه ماما.. ماجد أنا.

وسقطت أرضاً.

عندما انتهى الدكتور من الكشف على ميرفت، قال:

- مبارك المدام حامل.

.....

استقل حامد سيارته، وتحدث إلى عزت وهو في الطريق عبر الهاتف:

- نوال عرفت بالموضوع، أزواج بنات السرجاني أتوا الفيلا، تصرّف

بسرعة هم في الطريق إلى الفيوم.

قال عزت، في عصبية:

- تصرّف أنت يا حامد، اتصل بأحد معارفك في الداخلية، ليوصي الناس

هنا في الفيوم، أن يعينوا حراسة.

- حراسة؟!!

- هؤلاء الناس مجرمون، لن يترددوا في قتل أميرة.

- حاضر.. حاضر.

** **

ليلى أبو زيد

..جلال..

..حبيبي..

لم أكن في حاجة إلى مشاكل جديدة، في صباح اليوم التالي، غمرني القلق،
والحيرة، ولاحقني السؤال.. هل قرار زواج سامح ونشوى كان صائبًا؟! حتى ولو
كان صائبًا، فلم يكن الوقت مناسبًا.

قال سامح، ونحن نستعد للخروج:

- سأسافر إلى عمي.

قلت:

- هو سيأتي اليوم.

ارتجفت نشوى للحظة، ثم قالت:

- وأكد هو في الطريق، لكن...

قلت:

- مفروض أكون في انتظاره.

رفعت الهاتف، وتحدثت إلى المهندس عماد:

- مضطرة أتأخر يا باشمهندس.

-

- سأكون في المصنع بعد الظهر، مع السلامة.

قالت نشوى:

- خالتي، تأخركم عن الشغل ليس له داعٍ، أنا كفيلة بمواجهة أبي سأعود للبلد حالاً.

قال سامح معترضاً:

- أبوك في حالة غير طبيعية الآن، ولا نعرف ماذا سيكون رد فعله. قالت في استهانة:

- يضربني! يهدلني، كله يهون ما دام ما فعلته صح.

تبادلت نظرة مع سامح وهو يقول:

- أنا أسافر معك.

- لا أنت ولا خالتي، شغلكما أهم.

احتويتها بنظرة حب، هذه البنيت تشبيني، قطعة مني، ألا ترى قوتها، ثقها، يا ااه يا جلال! بعد ما سمعت أرجوك لا تلمني على ما تمّ ليلة أمس، نعم كان قرار الزواج صائباً، نشوى -ابنتي التي تمنيتها، ابنتي بحق وحقيق- أراها حالة خاصة، ههه... مثلما أرى نفسي، أحببتها منذ طفولتها، ولأجلها كنت أتحمل لعنات أمها لكل الناس، والتي تقصدنا في صميمها، ورغم بلادة أبيها، وغيرته الدفينة منك، وضحكاته المفتعلة، توددت إليه، لتظل في قلبه قطعة حية، ولا يسقط في هاوية زوجته الكريمة، كنت ألمح امتنانه جلياً، وكثيراً ما يشكو لي قلة حيلته أمام أفعال زوجته الشريرة، فأهونّ عليه.. يا عمي تحمّلها، هي نصيبك.

قبلت نشوى، وقلت:

- اتصلي وطمئني.

- حاضر.

صافحت سامح، واحتوته بنظرة عميقة، ثم قالت وهي تسحب كفها:

- لا إله إلا الله.

- سيدنا محمد رسول الله.

ودّعنا نشوى، وذهبنا إلى المصنع، وقفتُ وسط العمال أستمع لشرح المهندس
عماد:

- نبدأ بهذا العنبر، يوجد مائتا نول، يشغلها أربعمئة عامل، على ورديتين،
والمهم إدارة تسويق..

-

تركتُ سامح، وصعدت إلى مكنتي، عاودت الاتصال بنشوى، فلم ترد، قاومت
توتري، وخوفي عليها، اتصلت بالمحامي..

- طمئني يا نجيب.

- أنا مع العمدة، واطمئني.. خير.

أغلقت الهاتف، وبعد لحظة اتصل ماجد، وسألني:

- طمئيني يا ماما؟

- سامح كتب على نشوى.

-

-

** **

عبد الحلیم الشناوي

جلس مطرق الرأس، ما أفضعها من لحظة، بذل جهدًا خارقًا لكي تمر،
 كرصاصة تخترق جسده، ولكنها جثمت على صدره، ثم جذبتة مثل ثقب أسود،
 فغرق فيها، استقر رمادها مثل شوكة دامية في حلقه، وردد في مرارة.. نشوى
 تزوجت دون فرح، ولا معازيم، ولا وليمة، ولا حفلة نقوط بالآلاف، بدون طبل أو
 رقص، يا اه يا عبد الحلیم!! أنت نذرت ترقص يوم فرحها، تلعب بالعصا في مهارة؛
 فتهربها، وتشاركها الرقص، بطل نذرك يا عمدة، أهذه عملة يا حبة عيني؟! أيامي
 بعد عملتك السوداء، مظلمة.

جلس نجيب الحريري قبالة العمدة، وقال:

- صلة الرحم والمودة لذوي القربى و...

غمغم مقاطعًا:

- كنز، لكن الهانم، تلعب في دماغ البنت، وتزوجها ابنها، ولا كأن لها أهلاً،

هذه أفضع سرقة يا متر، تسرق بنتي!

صُدم نجيب..

لم أكن أعرف، ليلي هانم، كان المفروض تخبريني.

لاذ بالصمت، في حين واصل العمدة:

- موضوع بنتي أنا أتصرف فيه بمعرفتي، ورغم ذلك أنا أحافظ على شعرة

معاوية، لكن لن يرهنوا الأرض! ألا تكفي عملة أبيهم?!

- عارف أنك لن تترك أولاد أخيك في هذه الورطة.

ظل على صمته، فواصل نجيب حديثه:

- الخمسمائة فدان ستظل باسمك، وبدل المحاكم، تسحب القرض، وخذ إيصالاً بأنّ الفلوس جزء من ثمن الأرض، وممكن نحرر عقد بيع ابتدائي، احتفظ به أيضاً كأمانة.
- غاص في لحظته، أراد أن يعبرها لينسى، ولكنها استقرت سادرة، عصيّة، عجز عن دفن آلامه، قال وهو يهرب بهمة الثقيل:
- يومان أقلب الموضوع في رأسي.
- وقف نجيب، وقال:
- سأتصل بك.
- اصطحبه نحو الباب الذي فُتح، ودخلت نشوى:
- السلام عليكم.
- تجمّد أبوها، استقرت نظرتة عليها، اكتسحته اللحظة، واختنق صوته، فعجز عن الكلام، انطلقت دموعه الحبيسة، ودمدم الغيظ في رأسه، فرفع يده -ظن أنها عصاه- ليصفعها، ولكنه قبض عليها، تركها عالقة في الهواء، وظل عاجزاً، ثم أشاح بوجهه ودموعه عنها، وقال:
- كسرتِ ظهري!
- قالت نشوى، وهي تتعلق بيد أبيها لتقبلها:
- لا عشت ولا كنت.
- تطلعت إلى وجهه المحتقن، ربّنت على كفه، وقالت:
- أنا بنتك، ربّنتي و...
- نزع يده منها، وقال لنجيب، وهو يوارى دموعه:

- ابها يطلق البنت بكرة، وأسحب لهم الفلوس، مع السلامة.
- خرج نجيب، وواجهت أباه، مدت أصابعها لتمسح دموعه:
- دموعك غالية عليّ يا بابا.
- قبض على أصابعها ليسحقها، ولكنه لم يجرؤ، شعر بقلبيها في يديه، ورأها طفلة، تتعلق به، تعانقه.
- بابا كتبنا الكتاب، واتفقنا نشهر الزواج أمام البلد كلها، ويقول لك زوّجني ابنتك على سنة الله ورسوله، بابا أنا مستحيل أمس سمعتي أو سمعتك بكلمة.
- أولاها ظهره، استقرت للحظة ثم صعدت إلى غرفتها.
- عاود الجلوس، فخطت إليه زوجته، جلست أمامه، وقالت:
- لازم يطلقها غصب عن عينيه، هي بنات الناس لعبة!
- زينب حلي عني.
- خفضت من لهجتها، وقالت:
- بالهدوء، ابن أخيك لا في دماغه سمعة عمه، ولا عائلة الشناوي ولا فرع علي أبو إبراهيم بالذات.
- صاح غاضباً:
- يطلق ورجله فوق رقبتة.
- الحكاية تتحل بالعقل، أنا معك الولد لازم يطلق.
- تأمل وجهها الكريه، فبدت مثل شيطان، سألهما:
- هاتي من الآخر يا زينب.

- حقنا ضاع وكنا مجانين، نلمه بالعقل.
-
- نسحب ناعماً، نطلب منه يطلق، ويزوجهما مأذون البلد، وأول ما يطلق
نقول له رُح في ستين داهية.
- ولو رفض يطلق؟
- نؤجر عليه بلطجية، يعملوا له عاهة مستديمة، ويشفوا غليلي فيه.
بسط كفه معترضاً:
- لا، يطلقها، ويغور.
تهدت المرأة في راحة، وقالت:
- يبقى خير البرِّ عاجله، قل لبنتك تتصل به، يشرفنا، نكتب الكتاب
ونعلي الجواب.

** **

-12-

نوال عبد الغني رأفت

في الحقيقة لم تمس فعلة زوجها كرامتها، بل عبرتها، واستقر هدوء في قرار قلبها، فليتخذ امرأة أخرى، أو امرأتين، لا يهم، هو لم يشغلها طوال حياتهما، فعلاقتهم عابرة، لم يثرها أو يشبع أنوثتها، إلا لمرات قليلة، ومع الوقت استحكم النفور بينهما، حتى تحوّل مع الأيام إلى كُره صامت، متبادل، رسّخه وجود حامد، الذي لا تزال تراه شابًا وسيماً، يغيرها بابتسامته العذبة، منذ البداية تمنته زوجًا، حتى إنها أسرت للدادة أم الخير بسرهما.. دادة، تمنيت أن يكون حامد هو العريس؟ أنبتها المرأة الطيبة: عيب يا نوال، بنات العائلات لا يقلن هذا الكلام! جذبها قوامه الممشوق، عيناه التي تثير أنوثتها، تخرجها من موات سريري امتد لسنوات، حتى ليلة أمس، وهو يشمل وجهها بذات النظرة العميقة، كانت تتأمله بعينها، تسمعه، لأول مرة:

أحبك يا نوال.

انقشعت ابتسامتها، وهو يردد متوددًا:

- نعم أحبك.

أسرها الارتباك:

- حامد، هذا الكلام لا يصح.

- ولكنها الحقيقة، وأنت تعرفين.

نعم أعرف يا حامد.

أطمأنت على ابنتها، ودعتها وهي في الطريق إلى الفيوم، فكّرت في حسين، ذهبت إلى الأوتيل، ليؤيد قرارها.. نعم يا حسين، بدون (شوشرة)، ووجع قلب، أنا أطلب الطلاق من عزت.

قادها عامل الأوتيل إلى سويت رقم 10 وتركها، ضغطت على الجرس وانتظرت لحظة قبل أن يفتح الباب، عندما فُتح ورأتها، اتسعت عيناها الزرقاوان، وبدت الغضون ترسم فجأة على جبينها.. وغمغمت:

- أنتِ؟!!

كانت نانسي القوصي، ملفوفة في روب أبيض، خارجة للتو من الحمام، اتسعت عيناها، وهتفت:

- مَنْ؟! نوال.. حبيبتي.

وفردت ذراعها لتعانقها، فأزاحتها-نوال- جانبًا ودخلت تنادي:

- حسين، حسين.

كان جالسًا على فوتيل من الجلد الأحمر الفاخر، التفت إليها:

- نوال، مفاجأة حلوة قوي!

جلست قبالتة، وقالت:

- هي فعلاً مفاجأة.

وهامت بنظرة سريعة نحو الفرسة البيضاء، تشعر بها تحاصرها بعينين ساجيتين، ولون نحاسي أصفر مشوب بمكر سيّئ، رمقتها-نوال- بنظرة غاضبة، وقالت:

- واضح أنني جئت في وقت غير مناسب.

- لا، أبدًا.

جلست نانسي على حافة الفوتيل الأحمر الفاخر، أشار إليها حسين:

- نانسي، عارفاها طبعًا.

قالت نوال:

- sure، لكن واضح أنك لا تعرفها.

ضحك حسين، فازداد غضبها، وقالت:

- بعد إذنكما، أكملًا...

وأسرعت بالخروج.

** **

نشوى الشناوي

من زمان وأنا صغيرة كان فيه صبي
 ييجي من الأحراش ألعب أنا وياه
 كان اسمه شادي، أنا وشادي غنينا سوا

ظل الصوت في أذنيها لم يتوار، أو يغيب مع الزمن، صوت سامح الذي لم تسمع
 غيره.. أحبك، ولن أحب غيرك، ولو سافرت، ولم أعد من البحر، تزوجي من يحبك
 مثلي، هنا كانت تصرخ، تبكي، وتضربه بكفها الصغيرة على صدره، وتقول: (إخص)
 عليك يا سامح، وتعانقه، تضمه في قوة، وقدرت تقول هذا الكلام؟ ينتابها خوف
 عليه، على حبهما، رغم قرارها بالصمود حتى آخر رمق، تواصل غناء فيروز..

.....

كتبنا على الأحجار قصص صغار
 ولوحننا الهوا

.....

أفاقت على صوت نعيمة تنادي:

- ست نشوى.
- نعيمة!
- سي سامح بيه، وست ليلى تحت.

.....

هرعت نشوى نحونا، كنت على استعداد لتحمل لعنات زينب الصريحة، لتخرج كل ضغائنها، حقدھا الأسود، لا يهم، قلت لسامح ونحن في الطريق.. زيارتنا ضرورية لإرضاء عمك، عندما دخلنا، تغضّنت تجاعيد وجهه، وتوارى بعينه، لم ينظر إلى وجوهنا، وقال محتدًا:

- قبل أي كلام، يتم الطلاق.

اعترض سامح:

- طلاق؟!

دخلت زينب، وكأنها حضرت من العدم:

- وفي نفس الليلة تزوجان بحق وحقيقي.

داخلي شعور بتدبير ما، خيانة أعدتها زينب بنت أبو غنيمة، وازدادت شكوكي، عندما واصلت حديثها:

- وسنعتبر أنك لم تدخل عليها، يعني لا توجد شهور عدة.

قلت مستنكرة:

- وما الداعي؟

قالت المرأة، وهي ترمقني بنظرها الكريمة:

- السمعة يا ليلي هانم، وشرف الراجل.. سلفك، يقولون عليك متعلمة!

غمغمت نشوى:

- ماما.

صرخت أمها:

- اسكتي أنت.

قال سامح، في إصرار:

- لن أطلق نشوى، وبعد أسبوع نعمل الفرح هنا، ويتم إشهار الزواج أمام الناس.

خرج الرجل عن طور هدوئه وقال:

- وصلت أنك تهددني! اسمعوا ثلاثة بالله العظيم أ...

قاطعته المرأة في لين:

- عمك موافق، وأنا موافقة، لكن يبقى بعد شهر، نستعد، نعزم ناس،

نجهّز روحنا، ولكم عليّ أعمل لكم فرحاً يُتحاكى به في المركز كله.

قلت:

- إن شاء الله.

ونحن نتأهب للخروج، قلت للعمدة:

- عمي العمدة، أرجوك لا تنس القرض.

قال وهو يشيخ بوجهه:

- أسبوع، تكون الفلوس حضرت.

** **

أميرة عبد ربه

انتابتها مخاوف، وهي تضم ابنها، انتابتها شكوك كبيرة فلم يغمض لها جفن، في نفس ليلة وصولها الفيوم، قال لها عزت مُخفياً قلقه:

- حامد اتصل، والأولاد على وصول.

قالت وهي تُطرق بعينيها السوداوين:

- آسفة يا عزت بيه، عملت لك قلقاً.

هوّن الرجل عليها، وقال:

- حياتي كتلة قلق، واعتدت عليها.

تأملته وهو يشرب السيجار، هفت في عقلها وساوس كرائحة نفاذة..

اخترت عزت يا أميرة! رجل فيه طمع الدنيا، لكن ممكن الاتفاق معه، والدنيا علمتك إن كل شيء بئمن.

قالت له وهي تضم كتفها بشال بمبي أضواء وجهها:

- عزت بيه.

تطلع إليها، واستقرت نظرتة على عينيها السوداوين، ثم شملت وجهها الخمري كمن ينتقي بضاعة..

نسخة أصلية من النساء يا عزت!

سألها:

- نعم يا أميرة؟

سوّت خصلات شعرها، وقالت:

- لن أقدر على ردّ الجميل لك، لكن لا تؤاخذني ممكن نتفق من الأول.

- نتفق؟! -

- مكرم -الله يرحمه- ترك لي مع الفلوس، وجع القلب.

غمغم:

- ومن سمعك.

- وللأمانة هو عمل حساب كل حاجة، كان كاتب كل قرش دفعه لبناته،

شوارها، ومرتبات كل شهر، كل واحدة وصلها منه مبلغ يتعدى النصف

مليون، كتب وصية أن المبالغ هي ورثهم، والباقي كتبه لتامر ابني.

لمعت عيناه ببريق، وندت عنه ابتسامة، وغمغم:

- حقيقي! تاجر مني فاتورة.

شمل وجهها الخمري، تردد صوت حامد في أذنيه.. كل أملاك مكرم، بضاعة،

وأراضٍ، ومنقولات، ورصيد في البنك، مبلغ كبير.

لفحها بريق نظرتة، وعددت أسباب حماسته لنجدة امرأة بالنسبة له على

الهامش، وها هو وجدها معه وحيدة، مسكينة، ولكنها امرأة هشة، تطلب حمايته.

قالت له وهي تزيد من توددها:

- كان ممكن يجبروني على توقيع شيكات على بياض، أو يخطفوا ابني

مني.

احتضنها بعينيه الواسعتين، قالت له زوجته في زمان غابر، عينك يا عزت

أجمل حاجة فيك، وها هو يجد امرأة، أتت في وقت ظن فيه أن النساء فصيلة

انقرضت منذ سنوات، لم تمنعه وخزة ضمير من امتلاكها، رجل وامرأة، وطفل

غارق في نومه، وهو يقبض على كفها الصغيرة، قال:

- أميرة، طالما أنا معك، لا تخافي من أي حاجة.

مع ابتسامة مترددة.. خائفة، قالت:

- عزت بيه.

-

-

انقضت على الرغبة المستعرة، أصوات فتح الأبواب والنوافذ على مصراعها، وفي دقيقة أمتلاً المكان بحشد من الرجال، وعلى الفور قفزت أميرة نحو غرفة ابنها، فلحق بها واحد منهم، وقبض عليها، فعاجله عزت بصفعة قوية، همّ الرجل بردها، ولكن دخل المحامي منصور سعد، وتبعه ضابط وعدد من الجنود.

قال الضابط:

- كله يقف مكانه.

قال منصور، وهو يخرج من حقيبته ورقة:

- الشركة منذ الآن تحت الحراسة، لحين فضّ النزاع القضائي بينكم.

أشار عزت متعجباً إلى الرجال:

- وهجموا علينا مثل اللصوص؟!

ثم سأله:

- ومَنْ الحارس القضائي المعين يا متر؟

- عامر سوسة.

سيطر الوجوم على الوجوه، قال أحدهم:

- أخذنا صابونة يا رجال، نزاع قضائي؟!

قال آخر، وهو يشير للأميرة وعزت:

- أنتم لهطتم صحن المهلبية وحدكم، لكن بُعدكم.

صوّب الضابط المسدس نحوهم، وقال لجنوده:

- اقبضوا على الأولاد دول.

انقضّ الجنود عليهم، فصاح بعضهم معترضاً:

- يا باشا، إحنا تجار محترمين.

- النيابة تقرر إذا كنتم محترمين، ولا حاجة ثانية.

أشار لجنوده:

- على البوكس.

خرج الجميع، وقال منصور، وهو يغلق حقيبته:

- قبل وصولي، حامد بيه أوصى ضابط دفعته من قسم الفيوم، وأنا

قدمت بلاغاً أتهمهم بمحاولة اختطاف أميرة، أقصد مدام أميرة، بعد

إذنكم، ألحق ديزل الساعة 12 للقاهرة، السلام عليكم.

وخرج مسرعاً، تابعه عزت وقد امتلأ صدره بشكوك.

المحل تحت حراسة عامر لحين فضّ النزاع القضائي، يعني ممنوع التصرف في

أي شيء..

نظر إليها فأطلت عليه بعينها، لمح فيهما الامتنان، تتخللها نظرة صقر حادة،

تسلل إلى قلبه سحرٌ خاص، أيقظ رغبة ظنّها اندثرت، وطواها النسيان، اقترب

منها، ضمّ خديها بين كفيه، وهمس:

- أميرة..

ارتعدت مفاصلها، خفق قلبها، وتلاحقت أنفاسها، أبعدت اليدين عن وجهها،

نعم الدنيا علمتني أن كل شيء بثمن، لكن أنا لا أباع..

قالت راجية:

- لا يا عزت بيه.. لا..

تراجعت نحو غرفتها، وخرج تامر يفرك عينيه، وهو ينادي.. ماما؟

ضمت ابنها، وهي تدخل إلى غرفتها، قال لها:

- بكرة نرجع القاهرة، تصبني على خير.

- وأنت من أهله.

صباح اليوم التالي، وهو يتأهب للعودة إلى القاهرة، اتصل به منصور سعد،

وقال:

- صباح الخير يا عزت باشا، فيه لجنة جرد للمعارض، وضروري تحضر.

- أنا في الطريق، مع السلامة.

.....

** **

رزق السلاموني

تسحب مثل قط بري نحو باب المعرض، وقف يراقب منصور سعد، وعامر
سوسة.

قال منصور محذرًا:

- اسمع يا عامر، لجنة الجرد على وصول، وضروري المبيعات كل يوم تورد
للبنك، والتعامل بشيكات بنكية، هذه مسئولية حتى لا تدخل في سين
وجيم.

قال عامر متبرمًا:

- وأنا فاضي لوجع الدماغ..
- أنت الوحيد الذي يعرف كل كبيرة وصغيرة في الشركة.

انقض رزق عليهما:

- السلام عليكم.

رمقه على في قرف:

- أنت؟!!

- جاي أنفَعك، أشتري منك بضاعة بفلوسي.

- فلوسك يا حرامي؟!!

وقبض على عنقه، وقال:

- تعرف لو رجلك جابتك هنا؟ أنا سأكسرهما لك.

تخلص منه رزق، وقال ساخرًا:

- عظيم قوي، أنت قلتها، قريب قوي أردھا لك يا.. سوسة لو رجلك

جابتك هنا، أنا سأرجعك لأصلك.. دودة!

صاح سوسة مغتاظاً:

- غور يا أسود الكلب.

** **

نوال عبد الغني رأفت

أرادت أن تبكي، أن تغسل روحها بماء ساخن، تبكي على أيامها الجافة، على حياة ضاعت بلا هدف ولا قيمة، حياة لا روح فيها، قادت سيارتها، عبرت شوارع لا تعرفها، وصلت حي مصر الجديدة، عبرت من ميدان كنيسة البازيليك، إلى شارع إبراهيم اللقاني، حتى وجدت نفسها أمام عمارته في أرض الجولف، صعدت إليه، تحمل كرامتها، وروحًا متخمة بالأحزان.

فتح باب شقته، فوجدها أمامه.

- نوال..

انفجرت باكية، وانتظرت أن يحتضنها، ولكنه تركها آيلة للسقوط، اتكأت على ذراعيه ودخلت، أغلق الباب وأمسك يدها، وسألها في لهفة:

- نوال! ما لك؟!!

غمرته بنظرة، وقالت معاتبة:

- غريبة أنك تسأل هذا السؤال، وأنت عارف كل حاجة.

جالت بعينها عبر الريسبشن، كأنها تبحث عن شيء افتقدته هنا، تذكر أنها زارته مرة أو مرتين منذ سنوات بعيدة.

قال لها:

- صدقيني.. عزت ليس له علاقة بأميرة.

كادت تصفعه.. يا حامد لم أتِ لذلك، ليذهب عزت وهذه المرأة إلى الجحيم، جئت لك، غمغمت:

- حسين.

- أخوك؟

انتابتها غصبة، فأرادت أن تلعنه هو الآخر، وغمغمت ساخرة:

- حسين! الذي انتظرته سنينَ طويلة، عاد شخصاً آخر.

- طبيعي يتغيّر، 25 سنة عمر ثاني.

- اليوم سقط أمام عيني إلى الحضيض.

تطلعت إلى وجهه، ها هي مع ما تمنته زوجاً، تجلس معه، يحتضنها بنظرته

العميقة، قالت:

- ذهبت إليه في الأوتيل، وجدت معه...

اختنق صوتها بدموع ساخنة، وقالت:

- وجدت معه امرأة سيئة السمعة.

ياااه يا نوال! أحبك، حتى وأنتِ حزينة، لحزنك إغراء خاص، ضم كفها،

وأجلسها أمامه، رآها ضعيفة، واهنة، تلاشى صدودها القديم، وأن لحبهما

الصامت أن ينطق، وأمله الذي ظن أنه لن يأتي، أتى!

واصلت وسط دموعها:

- أردت أن أخبره بقراري، ليكون إلى جوارِي.

سكنت لبرهة، لم يطرف جفنها، وثقبت وجهه، لترى وقع قرارها عليه،

استدركت:

- أنا قررت أطلب الطلاق.

صدحت الكلمة مثل طائر حبيس، خفق بجناحيه في قلبيهما، وشمل الوجه

الذي عشقه، وهام به طويلاً، بنظرة حاملة.

تأملته برموشها المبللة، وقالت:

- تحملت عزت كثيرًا، أما أن يخونني فلا..

قال حامد:

- هذا قرار صعب، لا يؤخذ وأنت في هذه الحالة.

مسحت دموعها في هدوء، وتسلفت عبر ملامحها ابتسامة عذبة.. حامد في أذني صوتك.. نوال أحبك، قلتها ليلة أمس، وتحاشيت النظر إلى عينيك، التي تثير أنوثتي، وتخرجها من موات سريري امتد لسنوات.

نعم أحبك، ولم أحب امرأة غيرك.

قالت:

- أنت صاحبه الوحيد، قل له من غير (شوشرة)، ووجع قلب، طلق نوال.

هتف:

- أنا؟! مستحيل.

استقرت ذات النظرة الأولى، وساد السكون لحظة، ثم قال:

- نوال أتمنى يتم الطلاق، لأتزوجك.

- حامد.

ثم أشاحت عنه، وتوارت بوجهها، وقالت وهي تعالج ارتباكها:

- أفضل نغلق هذا الكلام.

ضم وجهها بين كفيه، وقال:

- نغلقه الآن، ولكن بعد الطلاق...

قاطعته:

- أي كلام قبل الطلاق، لا يصح..

تعلقت عيناها بوجهه للحظة، ثم وقالت:

- سأني أنا هذا الموضوع.

تركته وخرجت..

** **

هاني الشناوي

عبثاً ما أكتب سيدتي
إحساسي أكبر من لغتي
وشعوري نحوك يتخطى
صوتي، يتخطى حنجرتي^٤

انتظرها في المكتب، حتى دخلت، خطا نحوها، وسألها في لهفة:

- لبي، تأخرت!

ابتسمت، فأضاءت أسنانها الناصعة وجهها، جمالها يطوق قلبه بإحساس

جميل، قالت:

- كنت سهرة.

دنت منه.. وهمست:

- أنا لا تتعبنى قدر البدايات، في أي قصيدة، قصة، خاطرة، يعجز القلم

عن الكلام، سهرت أفكر في بداياتي معك.

عانق كفيها، وقال:

- كل البدايات جميلة.. كلماتي أوسع من شفتي. أكرهها كل كتاباتي.

سحبت كفيها في رفق، وقالت:

- أنا عامله لك مفاجأة.

- عارفها.

^٤ شعر نزار قباني

مست ذقنه بسبابتها، وسألته:

- قلبها؟

أمسك كفها، وقال:

- بكرة نستعد للزواج.

انفجرت ضاحكة، وقالت:

- مش ممكن!

واصل هاني في حماس:

- نأخذ إجازة، نتزوج وننسى الدنيا كلها..

احتوته بنظرة حب، وقالت:

- تصدق فرصة نفسي ألقاها من زمان، أروح مكان مع حبيبي ونبعد عن

العالم بمشاكله وأزماته..

- "أستوب" لا تحولها سياسة.

رنّ الهاتف، تناولته، وهتفت:

- حبيبتي يا لنا.

أطلت على الشاشة، فبدت صورة ابنتها مثل برعم أخضر، بيضاء مثل أبيها،

ولكن عيونها مثلي غاية في الرقة، حقيقي يا هاني، أنا جميلة مثل لنا؟ همس وهو

يتابع الرسالة:

- أنتِ أجمل.

قالت لنا:

- ماما.. good moring، أقول لك على مفاجأة، أكيد ستسعدك..

برقت دمعة، ورددت لبني:

- حبيبتي يا لنا.

- المفاجأة، بابا.

تحركت الصورة، فظهر على شاشة الموبايل، مصطفى العناني، بدا مثل نجم أمريكي، وهو يخطو إلى الشيزلونج، رفع نظارته السوداء، وقال:

- لبني.. وحشتني، كل مصر وحشتني: الناس والنيل والسميط والدقة

وساندوتشات الفول والطعمية، وجنيئة الأورمان والمدرج، ودقات ساعة

الجامعة..

نبض قلب هاني، ونبش شك كبقعة داكنة كانت كامنة في آخر نفق حكايته.

واصل مصطفى حديثه:

- أنا مسافر رحلة محفوفة بالمخاطر، ويمكن تبقى آخر رحلة، ولا أعود

منها، فكرت في أن لنا تسافر مصر، ولو انتهيت من حياتكم يبقى قدامك

أنت ولنا اختياران: تكملا حياتكما في مصر، أو تهاجرا إلى أمريكا، أنا

تركت وديعة، مبلغ معقول كل أوراقه مع لنا، ومعها توكيل مني لك بحق

التصرف، بعد أسبوع ستكون عندك في مصر.

ثم لَوَّح بكفه.. باي باي..

جلست لبني، خيم عليها صمت المفاجأة المباغثة، رأى هاني في تضاعيفه بقعة

الشك الكامنة تتمطى، قال وهو يجلس قبالتها:

- ما رأيك؟

- مفاجأة لم أتوقعها.

- والعمل؟

- صعب أقرر أي حاجة، أحتاج وقتًا.

رنت إليه بنظرة غريبة، وكأنه لم يرها من قبل، زحفت بقعة الشك مثل حيوان رخو، قذر فاشمأز منه، وقال:

- عندك حق، خذي وقتك.

وتفحصها بنظرة متشككة، وغمغم في سره:
مشكلتي أنك مشكلتي.

عبثًا ما أكتب ما دامت
كلماتي أوسع من شفتي
أكرهها كل كتاباتي
مشكلتي أنك مشكلتي°

** **

ليلى أبو زيد

حبيبي جلال.. صباح الخير.

تسلمت أول دفعة من القرض، وعلى الفور بدأت عملية الإصلاح، كنت أشعر بالوقت يلاحقني، عملت ليل نهار مع العمال، همهم... لبست الأفرول والخوذة، كنت أتناقش مع سامح والمهندسين، حتى تمت الصيانة والهيكلية، وأنجزنا كل شيء، وتم شحن أول طلبية، وأنا أتابع سيارات النقل تخرج تباعاً، اقترب مني شاهين:

- ليلى هانم.

- أيوه يا شاهين..

صمت الرجل للحظة، ثم غالب تردده، وقال:

- فيه حاجة لازم تعرفينها عن مصانع أبو غالي.

خطوت نحو مكثي، وقلت له:

- هذه طلبيتهم.

غمغم الرجل وهو يغالب تردده:

- المهندس أبو غالي غير ابنه سمير.

تفحصته بنظرة، وانتابني هاجس مثل لمحة شاردة، ممزوجة برائحة عابرة، قال

شاهين:

- أقصد طريقته في الشغل من الممكن ألا تعجبك.

سمير أبو غالي رأيتاه قبل شهرين، ذو وجه أسمر، مفعم بالشباب والصحة،

تساءلت:

- طريقته! خير؟
- يطلب رقمًا على الفواتير أكبر من الرقم الحقيقي.
- فرق سعر!
- تفكرتُ قليلاً، ثم قلت:
- سأرى هذا الموضوع.
- واستدركت وأنا أخطو نحو مكتي:
- أنا أحتاج سكرتيرة، خبرة ومؤهل إدارة أعمال. محاسبة. حاسبات ومعلومات.
- أمرك يا ست هانم.
- وضروري عدد من المهندسين، في كل التخصصات.
- قال الرجل أسفًا:
- كان عندنا طاقم محاسبين، ومهندسي جودة، وصيانة.
- رفعت الخوذة عن رأسي، وقلت:
- يرجعوا مكانهم.
- لحق بي عماد، وقال فرحًا:
- أنا تفرغت للمصنع هنا.
- شملته بنظرة امتنان:
- شكرًا يا عماد على وقفك معنا.
- قال وهو يغالب تأثره:

- أنا أرد جزءًا من دين في رقبتي للمهندس جلال الله يرحمه، أنا اشتغلت هنا وأنا طالب في كلية الهندسة، تدرّبت هنا وفهمت الشغل، وأيام الامتحان كنت أخذ إجازة، والمرتب زي ما هو، ولما نجحت وحصلت على البكالوريوس، جئت المكتب أبلغه -الله يرحمه-، قبل أبي وأمي، فرح وصرف لي مكافأة كبيرة قوي.
- رفعت النظارة البيضاء، وغمغمت:
- إنسان قلبه كبير.
- قلبه الذي كان آخر عهدي به، صورة على شاشة معتمة، تتحرك الدماء فيه ينبض ويتنفس، ولكنه كان ضعيفًا متهالكًا.
- قلت له:
- لأنك فاهم كل شيء هنا، ستكون مستشاري الخاص، وحتى أستلم بقية الفلوس، جهّز لي دراسة عن مصنع مسطرد.
- قال بحماسة المعتاد:
- الدراسة اعتبرها جاهزة.
- ابتسمت ممتنة، وقلت له:
- تفضل تابع شغلك.
- خرج عماد، واتصلت بماجد، وقلت:
- في أقل من شهر سيعمل المصنع بكل كفاءة.
- رد في حماس:
- ربنا معك، وأنا من خلال منصبي الجديد سأكون معكم.
- خير؟

جاء صوته همسًا:

- أنا مرشح لمنصب هام جدًا في جرت رشنس.

لفحتني المفاجأة بعاصفة، واجتاحني غصة ساخطة، ابتعدت عن أصوات العمال، وضجيج الماكينات، وسألته:

- ماذا يعني منصب كبير مع نصايين؟!

- اهديني يا ماما، أعرف أنك تخافين عليّ، ولكن أحب أطمئنك، أنا حذر جدًا.

- أعتقد أن أباك كان حذرًا جدًا.

ولكنه واصل حديثه، كمن يزفُّ بشرى سارة:

- أنا سأدير مجمع مصانع للملابس الجاهزة على أحدث طراز، وأحتاج كل إنتاج مصانع الشناوي من النسيج.

غمغمت رغم قلقي:

- ربنا يسترها يا ابني.

- وخلص تعاقدت على تمويل برنامج جتكس "Gtex" برنامج المنسوجات والملابس العالمي.

قلت:

- ربنا معك.

ثم استدركت:

- بعد أسبوع فرح أخيك، فضي نفسك.

أغلقت الهاتف، وانتابني قلق شديد، فأنا على يقين من أنك تعرضت لعملية نصب مُحكّمة.

.....

تركت سامح يتابع العمل، وعدت إلى الفيلا منهكة، وجدت هاني يجلس وحيداً، جلست قبالته، تطلعت إلى وجهه، لم ينتبه لوجودي، كان غارقاً في انفعالات شتى، خرجت صابحة لتعد السفر.

سألته:

- ما لك يا هاني؟

نبتت ابتسامته العذبة، وقال:

- صدقيني لو قلت، أنا لا أعرف!

- ممكن أضمن؟

- أوكي.

- لبنى!

خفتت ابتسامته، وتوارى بعينه، كما كان يفعل دومًا وهو طفل عندما يخطئ، داعبت شعره بأصابعي، وربت على خده مثلما كنت أفعل دائماً، وهمست:

- هاني، تكلم يا حبيبي.

قال:

- لبنى هي المانشيت، العناوين الفرعية، وتفصيل الخبر محتاجة وقتاً لأفهم.

هل أخطأت؟! خانتي مشاعري عندما قلت لك، إن لبني تحب ابني؟ تسكنها عاطفة لا تقدر على إخفاءها، أم أنّ تعاطفي معها، صوّر لي رغبتني تلك كأنها حقيقة واقعية.

دقائق وقالت صابحة:

- السفره جاهزة.

قال متفكرًا:

- ممكن يحصل!

أومات برأسي؛ ليكمل:

- معقول صدفة يا ماما؟! العصابة تشرف، وتعمل مؤسسة استثمارية

ضخمة، وتنزل السوق مثل ثقب أسود له قوة جذب جبارة، تلمّ كل

الشركات ورجال الأعمال بفلوسهم وتحطهم في يدها؟!

تفحصته، وقلت:

- طبعًا لا.

- ومصطفى العناني - طليق لبني - من له حق حصّة، وامتياز في شبكة

صرف مجاري المال الأسود في العالم، تنزل بنته مصر، وأنا أحدد مع أمها

موعد الفرحة؟!

احتويته بنظرة:

- ما تقوله خطر على بالي، لكن لازم يبقى تركيزي كله تديير أقساط الدين.

واستدركت:

- لا تشغل بالك بشيء، أنت ولبنى سأفرح بكما قريبًا، وباقي يومين على فرح أخيك سامح.

هزنتي رجفة مفاجئة، وقاومت دموعي:

- حياتنا رغم كل الهم ستسير، والمستقبل خير.

قطع رنين الموبايل حبل أفكاري، وجاء صوت ماجد فزعًا:

- ماما أنا في المستشفى، فيفي في حالة حرجة!

** **

-13-

في في عزت سليم

وصلتُ المستشفى، هرولتُ عبر ردهاتها، داهمتني رائحتها النفاذة، شاش،
 وقطن، وهواء معقم، دخلت غرفتها، وجدتها على سريرها مثل طفلة، انتهى
 الدكتور من الكشف عليها، والتفت إلينا بوجه -وسيم رغم سنواته الستين-
 هادئ، وقور، وقال:

- الحمد لله، الواقعة كانت شديدة، أوقفنا النزيف، ارتطام الحوض تسبب
 في سقوط الجنين.

وأشار لنا في هدوء، وهو يخطو نحو الباب:

- ممكن نتركها تستريح؟

مال ماجد عليها، قبل جبينها في حبّ، فتعلقت بيده وقالت:

- ابقَ معي!

جلستُ إلى جوار نوال، تأملت حمرة وجهها القانية، ورغم هدوئها كانت
 ملامحها تشي بالأمها الخاصة، وجع لا تشعر به إلا امرأة، عاشت حياة جافة، مع
 زوج تركها ثمرة تلفظ آخر قطرة حتى ذبلت..

دخل عزت مسرعًا، سأل ماجد في لهفة:

- فيفي ما لها يا ماجد؟

- أتعبت نفسها في الشغل، ونسييتُ أنها حامل وتحتاج للراحة، والنتيجة

سقط الحمل.

قال عزت لابنته معاتبًا:

- كدا يا فيفي؟! ابنك كنت أنتظر ولادته بفارغ الصبر.

حانت منها التفاتة إلى أمها، وقالت:

- البركة فيك.

وكأنه انتبه إلى وجود زوجته، أحسّ بنظرها الحارقة، وقد انقشع هدوؤها عن

سحابة معتمة، وقالت بلهجة ساخرة:

- شرفت من الفيوم!

أشاح بوجهه، وكأنه لم يسمعها، لم يرها، ضم كتفي ابنته ثانية، وقال:

- مرجان قال لي إنك في المستشفى، جئت مثل المجنون.

همست فيفي في ضعف:

- أنت تُجن، وماما على وشك...

التفت إلى نوال، وقد تلاشت لهفته على ابنته، وقال وكأنه يسخر:

- مامتك بخير.

رمقته في غيظ، وقالت:

- أنا أنتظرك في البيت.

وأسرعت بالخروج.

.....

وصل الفيلا في ساعة متأخرة، كان متأهبًا لنقاش عقيم مع زوجة أهملها

فأهملته، وتحول الكره الصامت بينهما إلى محيط جليدي، ومع أول سطوع

للحقيقة، انهارت كتل الثلج، محدثة ضجيجًا مدويًا، قالت له:

- طلقني.

تجاهل ما قالت، وكأنه يهيم في عالم آخر، قال:

- حقيقي صدمة، كنت أحلم أن يكون لنا حفيد، ولا يهم حتى إن كان له جد أصله فلاح، خرج من الطين، وروث المهائم، لا يهم.
- كررت طلبها في إصرار:
- طلقني.
- واصل عزت حديثه، وقد اغرورقت عيناه بدموع:
- شيء صعب يا نوال، أن يُجهض الحلم الجميل، كنت أتخيله بيبي جميلاً، أحضنه وaaa ياaaa!!
- واجهته، وقالت وقد ذابت برودتها:
- عزت، أنت كذاب ومخادع.
- قال متذللًا:
- أنا؟! الله يسامحك يا نوال، أنا أكذب عليك؟! صرخت، بأعلى طبقة صوت لم تعتدها، فخرجت الكلمات مختنقة:
- أنت تعيش الدور عليّ، طلقني، الآن وفورًا.
- واصل مستعطفًا:
- أووه يا نوال، أنت يا حبيبتي فهمت غلط.
- صرخت:
- طلقني.
- واصل، وكأنه لم يسمع صراخها:
- البننت أخذتها إلى العزبة، لأنّ حياتها كانت مهددة.
- وأنا حياتي معك انتهت.

مدّ يده إلى وجهها، فدفعها بكل قوتها، ونادت:

- مرجان.

وقالت في إصرار:

- بكرة يجيء المأذون، ونُطلق.

خرج مرجان:

- تحت أمرك يا ست هانم؟

- اطلع هات الشنط من الأوضة، وتعال معي المنيرة.

- أمرك يا ست هانم.

قال عزت وهو يتهد، فاقداً للحيلة:

- سأتركك حتى ترتاح أعصابك، ونقدر نتفاهم.

قالت وهي تخطو إلى الخارج:

- في انتظارك، بكرة تجيب المأذون.

فور خروجها، اتصل بحسين:

- حسين باشا، نوال جُنت، ومُصرّة على الطلاق.

** **

ليلى أبو زيد

بعد جولتي المعتادة على العنابر، عدت إلى مكثي لأستقبل الموظفين الجدد، وأنا أشرب أول فنجان قهوة، قدمهم عماد، وهو يضع ملفاتهم أمامي:

- السكرتيرة رندا غنيم، حاسبات ومعلومات.
- مهندسة خلود حسن مؤمن، فنون تطبيقية.
- مهندسة حنين رامي تربية، قسم نسيج.
- مهندسة عزة نبيل فنون جميلة قسم تصميم.
- محاسب هيثم أبو العز.
- محاسب إسلام ربيع.

وقفت وصافحتهم، وقلت:

- أنتم تسلمتم الشغل اليوم، والمهندس عماد سيتابعكم، ضروري أن تعرفوا أن أهم هنا حاجة الشغل.

التفت إلى عماد:

- سلمهم العمل يا عماد، وتعال.
- تحت أمرك.

خرجوا باستثناء السكرتيرة، قلت لها وأنا أقرأ ملفها الوظيفي:

- رندا.
- تحت أمرك.
- أنا معظم الوقت أكون في عنابر الإنتاج، وأنت هنا مكاني.

- العفو يا هانم.

- انتبهي جيداً، مفروض نحقق "تارجت" عاليًا.

- إن شاء الله.

صلصل جرس الموبايل، فأشرت لها؛ فخرجت.

- نعم.

تقلصت الكلمات على لساني، وقلت:

- سمير بيه؟!!

عاودني الهاجس مثل لمحة شاردة، وذات الرائحة العابرة، تراءى لي وجه أسمر،

مفعم بالشباب والصحة، وصوت عذب يهمس:

- صباح الفل.

سبحت اللمحة الشاردة في فراغ القلب، وقلت:

- نعم يا باشمهندس؟

عاود صوته عزفًا منفردًا:

- لو لم أسمع صوتك كل يوم، أشعر بأنني أفقد شيئًا كبيرًا.

طاردها صورة وجهه في إلحاح، فردت:

- شكرًا.. مجاملة أشكرك عليها.

أصرّ على إلحاحه، فقال مفصّحًا عن نيته:

- أقصد أنك شيء مهم في حياتي.

أرادت أن يكون أمامها، يبتسم متوددًا، وتمتلك جرأة على صفعه، قالت في حدة

قاطعة:

- سمير "أستوب"، أنت متزوج ولك بيت.. زوجة وأولاد، وما بيننا علاقة شغل واحترام متبادل، ثم أنا عندي أولاد قريبون منك في السن، مع السلامة.

عادت رندا بعد انتهاء المكالمة فلم أعرفها انتباهًا وغرقت في أفكاري... أردت وأد رغبته منذ البداية، والتفتُ نحو صورتك، فاعتراني خجل منك، أطرقت برأسي، لأطرد لمحة مفعمة بالإثارة، فغمتها رائحة نفاذة.. كريهة.

عاودت متابعة بعض الملفات حتى دخل سامح، فأشرت لها:

- تفضلي.

خرجت السكرتيرة، وجلس سامح قبالي، كان مشغولًا بالاستعداد لزفافه، ولم أشأ أن أشغله معي.

قال:

- هاني قال لي إن فيني في المستشفى.

قلت آسفة:

- أجهدت نفسيها في الشغل، جاءها نزيف، ونزل الجنين.

- مفروض أروح لماجد.

- وفكره بأن فرحك قريب، لأنه مشغول في منصبه الجديد.

- منصب؟!!

- تقريبًا سيدير مجمع مصانع ملابس جاهزة تابع لمؤسسة جرت رشنس،

أخوك مقتنع أن وجوده ضمن جرت رشنس ممكن يفيد، أو يحلّ جزءًا

من لغز الدين.

غمغم مستنكرًا:

- الحرامية!

رددت وقد بدا قلقي حادًا:

- أخوك داخل مغامرة، وخائفة يورط نفسه.

وقف وقال:

- لازم أقابله حالًا، السلام عليكم.

- مع السلامة.

خرج ابني، وشرعت في مراجعة الملفات ثانية، وأنا أشرب ما تبقى في الفنجان، عندما حضر عماد، تحدثت معه عن اختفاء هاردات مهمة، بعد اعتداء البلطجية على المكتب، قال:

- الحكاية عندي غير مكتملة، لكن لو كانت كما فهمت، تكون هذه الداتا قد وصلت للصوص.

- والعمل؟

- على حاسوبي الخاص بعضها، سأرسلها إلى إيميلك.

ثم استدرك:

- فيه عملية نصب كبيرة، لا يحتاج اللصوص لسرقة الداتا، ممكن باختراق هكرز سبراني يستولون على أي بيانات، مهما كانت برامج الحماية.

في هذه اللحظة رأيت سرحان عبد الشفيق، أطرقت مفكرة، وتوالت أمام عيني صور معتمة لقلبك، كان يبدو ضعيفًا متهاكًا، وكأنه يخفت رويدًا رويدًا، وهو يقترب من فوهة عالم آخر.

قلت له:

- أخبار طلبية المهندس ماجد؟
- جاهزة.
- تشحنها من بكرة.

** **

أميرة عبد ربه

طفولتها البائسة، قبضت على وعمها؛ فصقلته بتجربة مريرة، تركت أثرًا مثل كي النار، كانت درس حياتها، أميرة لا أمان لاثنين: الزمان والرجال، أبوها عامل البلدية، الذي باع كل متاعه: سرير مكسر، وكنبة، وحلة نحاس، في النهاية لم يتبق إلا زوجته وبنتيه ليبيعهن، بشريط استروكس، أو حقنة ماكس، أو حتى بقرش حشيش، فدعت الزوجة عليه: يا رب تسقط في بلاعة لا تخرج منها، وتموت، ولا تدفن في مقابر مسلمين، فضربها وبنتيه في قسوة حتى راحت في غيبوبة، أفاقت منها قرب الفجر، وتسلفت بهما من الوايلي إلى شارع فيصل، يسّر لها جمالها، العمل خادمة في بيوت ومكاتب الأغنياء، وحافظت على شرفها، وشرف بنتها أميرة وأماني، كانت تقول لهما: الشرف يا بنت أنتِ وهي.. أن "مفيش" رجل يلمسك، الواحدة لو تموت، لا تسلم جسمها لرجل إلا في الحلال، اليوم تشعر بأن الدنيا تفتح لها أبوابها، اثنا عشر معرضًا، ورصيد بالملايين في البنوك، ورجل ابن باشوات، يتودد لها، وهي تغريه بحنكة، تشويه على نار هادئة، تسحبه لمجرتها الفسيحة، وحتماً سيحين أوانه لتحركه حول مدارها كما تشاء، مغامرة محسوبة، وما أجملها من مغامرة!

بعد عودتها بيومين، اتصل بها:

- أميرة أنا سأمرّ عليك.

صفت شعرها، وارتدت أجمل ما عندها، وتحلت بمجوهرات، كولييه من الذهب الأبيض، وبروش، حوت أزرق لامع، استقلت السيارة إلى جواره، قال مداعبًا:

- لم أكن أعرف أن مكرم ذوقه حلو للدرجة دي.

ابتسمت..

بلاش تلعب عليّ أنا كاشفة ورقك.

قالت:

- أنت عارف من زمان.

آه يا بنت الإيه، تعرف يا حامد؟ أميرة فعلاً أميرة، أخرجها السرجاني من معبد فرعوني قديم.

وصل بها إلى بناء فاخر، واجهة من الزجاج المضاد للرصاص، على قمته حروف إنجليزية ضخمة "Great Persians" واللوجو، والعلامة التجارية، وموقعها الإلكتروني، يحملها فرسٌ أسود، عبرا البوابة الإلكترونية، واصطحبها نحو المصعد، وقال:

- جرت رشنس، مؤسسة استثمارية ضخمة، أنا المدير التنفيذي.

- إعلاناتها في كل مكان.

- أنا فلوسي كلها فيها، وهذه فرصة لتستثمري حصة من فلوسك.

تماست آثار كي النار مع تجربتها الحيّة، واستحضرت درس حياتها: أميرة لا أمان للزمان أو الرجال، وصلا إلى مكتب سرحان عبد الشفيح، شملهما بنظرة، دقق النظر فيها، كمن يتفحص جوهرة ثمينة، تم تلميعها من الغبار، حتمًا ستزيح ابن سليم من أمام نانسي، التي تذكرها، فلعن في نفسه الحب الأعمى.

تناول كفها، وقال برنة خافتة:

- البقية في حياتك يا هانم.

- ميرسي.

جلسا، وقال عزت:

- أنا أقنعت مدام أميرة تستثمر جزءاً من فلوسها في جرت رشنس.

انزلت معالم ابتسامته على وجهه الناعم، وقال:

- أفضل قبل توقيع العقود أن تقرئي الكتاب التأسيسي للمؤسسة مع

عزت باشا.

وناولها كتاباً ملوّناً.

- ميرسي يا سرحان بيه.

- مع السلامة.

تابعهما سرحان حتى خرجا، وغمغم..

- خائف تجيب آخرك يا ابن الباشا.

.....

عبرا كريدور على جانبيه أصص زرع، ولوحات زيتية معلقة، وموسيقى ناعمة تنساب، فتح باب مكتبه المعدني، ودخلا، جالت بعينها في المكتب الفسيح، وعبر حوائط زجاجية، كانت تظهر أبراج شاهقة، وفنادق، وسحب بيضاء صافية.

بنت يا أماني، الباشا قال إيه! فاكرني ممكن أتخض من الهيلمان والعالم الجديد ههه... لكن بُعد، أنا ممكن أخضه، وهههه... وأقطع خلفه.

أرادها أن تشعر بضالتها، فردّت بابتسامة متعالية، وقالت:

- ما الحكاية؟

طلب لها العصير "الفريش"، وقال:

- كل ما يخطر على بالك في Great Persians، تجارة وصناعة توريد،
وحصص رئيسية من أسهم البنوك المطروحة للخصخصة، وهنا مرتبط
الفرس.

تفحصته وقالت في لهفة:

- صح، قل لي الحكاية باختصار.

قدم لها العصير، وقال:

- أفضل الاستثمار في البنوك، وتكونين عضوًا في مجلس إدارة أي بنك
تابع لقانون الاستثمار والأعمال.

تطلعت إليه بنظرة إعجاب، لمح فيها امتنانًا، يُخفي نظرة الصقر الحادة، وللمرة
الثانية يتسلل إلى قلبه سحرها الخاص، أيقظ رغبته التي طواها النسيان، اقترب
بوجهه منها، وهمس:

- لكن فيه حاجات مهمة ضروري نخلصها.

تأمل وجهها الخمري، احتضنها بعينيه الواسعتين، فلفحها بريق نظرتة،
وعددت أسبابًا أخرى لنجدة امرأة وحيدة، مسكينة، تطلب أن تكون في ظل رجل،
هفت في عقلها الوسوس كرائحة نفاذة، فهمست في أنوثة طاغية:

- حاجات؟!!

- نسجل صلحًا رسميًا بيني وبينك، بصفتك الوارثة للجزء الأكبر من تركة
السرجاني، ونقفل ملف القضايا تمامًا.

رفعت حاجبها، ورفّت رموشها لبرهة، وواصلت العزف بأنوثتها:

- المهم تكون معي، أنا من غيرك ممكن أغرق!

ورفعت الكأس إلى شفيتها. ** **

لنا مصطفى العناني

عيونها السوداء، ينساب منهما نهر عذب، وإحساس غامر بطفولة دائمة،
تتذكر يوم مولدها في مستشفى خاصة للصفوة بالتجمع الخامس، قالت لزوجها،
وهي تضمها في لفائفها البيضاء.. اخترت لها اسم لنا، وأبوها يمسّد بأصبعه كفها
الصغيرة، قالت: لنا معناها بالتركي الوردية البيضاء، وبالجرجي. نور الشمس،
وهمست في ضعف: ولنا -أنا وأنت- بالعربي لنا، لي ولك.

وصلت صالة الوصول، ورفعت لافتة "لنا مصطفى العناني" تلفتت وسط
الزحام، حتى رأتها، لوّحت بيدها ونادت.. مامي.. مامي، وصل إلى لبني النداء وسط
ضحيج وجلبة المسافرين، فقفزت نحوها، عانقتها، ضمتهما إلى صدرها، لتتأكد من
حقيقة عودتها إليها، بعد خمس عشرة سنة مرت كدهر.

قفزت دموعها، وهي تفتح ذراعها لتضمها:

- لنا حبيبتي.

سالت دموعهما، وعاودت النظر إليها، احتوتها بعينها المبللتين، وهي تردّد:

- يا حبيبة قلبي!!

واصلت ضمها إليها عدة مرات، وهما يخرجان إلى السيارة.

- حبيبتي، حمد الله على السلامة.

فتحت باب السيارة، وضعت حقيبتها الصغيرة:

- اركبي.

وبينما لبني تدير الموتور، سألتها لنا، وهي تنظر من خلال الزجاج:

- أين الهرم وأبو الهول يا مامي.

ضحكت لبني، ومست بكفها خد ابنتها، وقالت:

- هما في الجيزة يا حبيبتى، تستريحين، ونتفصح، وتشاهدين كل حاجة.
- تحركت السيارة، ولبنى في قمة نشوتها، ثملة بفرحة طاغية، قالت لهاني عبر الموبايل:

- هاني، أنا راجعة من المطار، حبيبتى لنا معي، مشغولة لشهر على الأقل، أنا بكرة عازماك على الغداء، فرصة تتعرف على لنا.

جاء صوت هاني مشوبًا بقلق غامض:

- ممكن تقابليني الليلة؟
- هاني، وحياتك أنا مشغولة.
- ضروري يا لبني.

.....

جلسا بالقرب من نافذة زجاجية، وسماء صافية على غير العادة، تابع فرحتها وحديثها عن لنا:

- حقيقي أنا لا أصدق، حلم حياتي فجأة يتحقق، بدون مقدمات.
- شملها بنظرة عميقة، وسألها:
- وحلمنا يا لبني؟

نثرت الحيرة على وجهها، فقالت:

- هاني أنا أحتاج وقتًا، لأفهم لنا وتفهمني.
- طبيعي.
- هي تشكلت في تركيب حضاري مختلف، ممكن تعتبرني غريبة عنها
- وأنا أكيد إنسان غريب عنها، ولأزم أبعد عن حياتكما.

قالت معاتبة:

- تبعد يا هاني؟! أنت المفروض تكون معي، جزءاً من حياتي وحياتها، لحد ما يبقى قرار الارتباط بيننا قراراً طبيعياً. ناوشته فرحة غائمة، ضم كفها وقبلها، وقال:
- بعد يومين فرح سامح أخي.
- ألف مبارك.

** **

نوال عبد الغني رأفت

في فيللا المنيرة، جدرانٌ قديمة، عليها ورقٌ حائطٌ مُرّقت مساحاتٌ منه، وسكنتُ في ثقوبه حشرات، وأبراص، وخفافيش، أطلت نوال بنظرة على حديقة جفت أشجارها النادرة، وكأنها تمثل حياتها التي نضبت، وأضحت حطامًا وذكريات، ولّت مع كل حاجة جميلة، ظهر اليوم التالي، رنّ الجرس، فارتجف القلب.. إذن جاء لتتخلص من حملها الثقيل، وتقذفه بعيدًا مع أحجار ثلجه، علّها تستعيد روحها، فتحت الباب فتقلصت ملامحها، وقالت:

- أنت؟!!

خطا حسين إلى الهول الفسيح، دار على كعب حذائه، ووضع منديلًا على أنفه، وقال متقززًا:

- تركتِ الفيلا وعزت، لتتعدي في هذه الخرابة؟!!

شملته بنظرة أسفة، وقالت:

- كنت فاكرة أن الفيلا وحشتك!

- نوال أنا عندي مشكلة في الجيوب الأنفية، تعالي نخرج لأي مكان نظيف نتكلم.

اصطحبها إلى مطعم على النيل، جلست قبالته، طلب أطباق الغداء، وقال معاتبًا:

- نوال حكّمي عقلك.

- أنا عاقلة جدًّا، ومُصرّة على الطلاق.

- تطلقي لكن لا تتركي عزت.

تسللت عبر ملامحها صدمة، وتساءلت:

- كيف؟!

- المصلحة تقتضي ذلك.

وهي تحتويه بنظرة ثقيلة، انقض عليها حزن السنين، وكأنها انتظرتة ربع قرن - كل حياتها مع عزت- لكي تبكي على صدره، تبكي على أيامها الجافة، وتغسل روحها بماء ساخن، تبكي على حياة ضاعت بلا هدف ولا قيمة، حياة لا روح فيها، ولكن خاب ظنها، فقالت في حسرة:

- ترضاها لأختك؟ تعيش مع رجل تحت سقف واحد، وهي طليقتة؟!

ضحك، وقال:

- عادي.

كمن قذفها بحجر، فشق قلبها، رأت وجه رجل آخر غير شقيقها، غريب عنها، ظنته في يوم من الأيام أخاها، الذي أحبته، ولكن..

سألته:

- قل لي يا حسين، ما هي علاقتك بنانسي القوصي؟

رصت الأطباق، ورفع الشوكة، وقال:

- أه.. على فكرة أنا ونانسي متزوجان، زواجًا مدنيًا.

- زواج مدني؟!

- ألا تعرفينه؟

- سمعت عنه.

تابعته وهو يرشق الشوكة في قطعة بانيه، وسألته:

- ما المانع أنكما تتزوجان زواجًا شرعيًا؟!

انفجر ضاحكًا، وقال:

- هههه... آه أنا نسيت أنك مشغولة بالله الأحد، الله الصمد، ولا أبانا الذي في السماء، العالم يا نوال والعلم اجتاز هذه الميثولوجيا القديمة منذ سنوات.

اصطدم حجر ثان من ثلج ثقيل برأسها، ونظرت إليه شذراً، واختنق صوتها، وهي تقول في مرارة:

- ميثولوجيا؟!

- احتمال بكرة تفهمين.

واصل تقطيع قطعة اللحم بالسكين، وقال:

- أنا علاقتي بنانسي ليست فراش جنس ومعاشرة فقط، أنا أفهمك، أنا مخي منظم.. مرتب، وشغلي في البيزنس علمني أضع لكل مشروع نسبة مخاطرة، ومخاطر الزواج المدني، أقل بكثير من زواج المأذون عندكم، فهمت؟

تحول كلامه إلى لغو فارغ، غمغمت في حزن ثقيل:

- خسارة يا حسين، أنت أصبحت إنسانًا بشعًا.

وتركته وأسرعت إلى سيارتها، ولاحقها نداؤه:

- نوال.. نوال.

** **

عزت سليم

انفجر ضاحكًا، فسأله حامد:

- لا أفهم! ما الذي يُضحكك فيما قالت أميرة؟!

واصل ضحكاته، المسكونة بافتعال، وقال:

- ههه... هي الاسطوانة نفسها التي ضحكت بها على السرجاني؛ ليتزوجها،

ويكتب كل ثروته لابنها.

وشرع يقلد صوت أنثى، ناعمة:

- المهم تكون معي، أنا من غيرك ممكن أغرق!

وهو يفضّ غلاف سيجاره:

- تغرق قال! هذه المرأة ممكن تأخذني بحر المانش، تعبته هي، وأنا أغرق

فيه.

تابعه حامد بعينين رائقتين، وهو يرى جانبًا انتهازيًا من نفسه في صديق عمره،

وغمرته موجة من عواطفه المتناقضة، الكره والحب، والغيرة، والحسد الأسود،

هل أحب نوال؛ لزواجها من هذا الصديق الذي لم يحب غيره، ولم يكره سواه؟

توقف عزت عن الضحك، وذابت سخريته المفتعلة، أمام حقيقة لم يقدر على

إنكارها:

- المرأة مُغرية فعلاً، نوع مختلف من النساء!

تنهد حامد، وقد وضع صديقه اللدود على لسانه، جملة البداية، فقال في

حماس:

- إذن نوال عندها حق.

زفر في غيظ، وغمغم:

- مجنونة!

فجأة اقتربت خطواتها من باب التراس، وقالت:

- أكون مجنونة فعلاً، لو بقيت معك ثانية واحدة.

ارتبكا، وغمغم عزت:

- نوال؟!!

تأهب لمعاودة تمثيل دوره الرديء، رغم الصدع الذي ضرب أركان زواج قام

على غير أساس، وقال:

- احضرنا يا حامد، حقيقي أنا بيني وبين أرملة السرجاني حاجة؟

بسط حامد كفيه، وهم بالكلام، فقاطعته نوال:

- حامد لست مضطراً للكذب.

ردّ عزت مستعظفاً:

- صدقيني يا نوال.

شملمها بنظرة ساخرة، وقالت:

- كلكم كذايين، أصدق؟! وأنت والأرملة اللعوب تشربان من كأس الغرام،

وأنا الزوجة المغفلة.

- نوال ممكن ننفصل في هدوء؟

شملمها حامد بنظرة، وخفق الطائر الحبيس في قلبه، وهي تقول:

- ميرسي قوي.

استدرك عزت:

- لكن لو فعلاً فيه علاقة بيني وبين هذه الأرملة الطروب...

صرخت في وجهه فتحشرح صوتها الرفيع:

- أنت لا تمل من الكذب، أنا لا أثق فيك، ولا أصدقك.

- نوال مشكلتك أنتِ لا تثقين في نفسك، ما بيني وبين أميرة شغل.

واصلت صراخها:

- ما بينكما لا يعني في شيء، شغل، زواج عرفي، زواج مدني، أي زفت

على دماغكما، لا يهمني.

ثم قالتها قاطعة:

- طلقني، قبل ما أضطر لرفع قضية.

فور خروجها، قال حامد:

- أي "شوشرة"، أكيد لها تأثير سلبي على مركزك الجديد.

- نوال لو أصرت، ما باليد حيلة، أطلقها؟

كأنه ينصحه:

- طلقها.

ثم صافحه، وقال:

- تصبح على خير.

- مع السلامة.

** **

ليلى أبو زيد

آدي الزين وآدي الزينة
قالوا الجنة هي جنينة

حبيبي جلال.

أمس وصلت شحنة جديدة إلى مجمع مصانع آل سليم، وتسلمتُ شيئًا بمبلغ
ضخم، حوّلتَه على الفور إلى حساب في البنك، واليوم فرح سامح وحبيبته نشوى،
حبيبة قلبي، وحبيبتك، كنت أتمنى أن تراها في فستان الفرح الأبيض، جميلة
كزهرة فُل لا مثيل لها، احتضنتها، كنت سعيدة إلى حدّ... لن تصدق، سعيدة إلى
حدّ البكاء، طفرت دموعي فجأة، هزمتني، رغم قراري بأنني لن أهزم أمام أي شيء،
أرجوك سامحني، لكن لو رأيت أولادنا الثلاثة في تمام زينتهم، شبابًا يشرحون
القلب، ستمدع عيناك فرحًا، نعم أنت تراهم، وأراك، وأسمعك، تبسمل، وتردد
الرُقية الشرعية سرًّا، تخشى عليهم من الحسد، لحظة فرح فاقت كل مخاوفي،
وقلبي مما يحمله لنا الغد.

صباحًا، وأنا في غرفتنا، جالت عيني عبر صور أولادنا وهم صغار.. وفتية..
وشبابًا نخشى عليهم من الحسد، تأملت صورتك وأنت ترمقني، استبدت نظرتك
بأنوثتي، وهفت لفحة شوق إليك مثل شذى عطر قديم، وقفت أمام المرأة
للحظة، هنا كل ذكرياتنا، وأحلاها تنهض فجأة مع صلصلة إحساس فائق،
تستيقظ رغبتني فيك فأطفئها على التو، وأسرع إلى البلدة للحاق بالفرح.

تنهدت من قلبي.. ياه ه يا ليلي! رغم كل شيء، حفر الهمّ حفائره العميقة، ولكنه
لن ينال منك.

عاليسميننا

لو زفينا نشوف

أسامينا

الزين عالزينة

وسط المعازيم، وقف أخوك العمدة التقط عصاه، ونظر نحوي، نظرة تغيّرت
كثيراً، ويا لها من نظرة، وكأنه يخفي شيئاً عني، شيئاً مريباً، عاودت الاتصال
بسامح وهو في طريقه إلى البلدة بصحبة ماجد، تأخر الرد، فنبشت مخاوف في
عقلي، عندما جاء الرد التقطت أنفاسي:

- نحن في الطريق يا ماما.

صعد أخوك العمدة المسرح، وقال:

- سمع هُس، أنا عليّ نذر، واليوم أوفيه.

ودار بعصاه، وخطا نحونا، نظر إلى نشوى، وقال:

- أرقص في فرح بنتي الغالية الدكتوراة نشوى.

غلبتها الدموع كما غلبتني، ورددت وهي تقبله:

- يا حبيبي يا بابا.

أشار للفرقة:

- دقي يا مزيكا.

آخر صراخ أنشب أظفاره الحادة في قلبي، صوت نشوي، كنت أطارد الأشباح اللعينة، وأنا أبكي وأصرخ في وجهك.. لماذا تركتني، حبيبي أنا... أنا بدونك تائهة.. ضائعة، تركتني يا خائن!! نعم أنت يا جلال خائن، خنتني، لأنك تركتني وحيدة، لم تقف في ظهري، سنداً لي، تركتني للعراء، للصوص، تسفعي الكوارث، وتنكل بي الظروف، أهكذا يا جلال؟! تكسر نفسي، وتهزمني.. هكذا!

رحيلك يا... حبيبي، غرس في روعي جرثومة مميتة، وكآبة لا نهاية لها، رحلت وتركتني أواجه المأساة، ابني سامح... أه هه..

مرّت دقائق أثقل من الجبال، أفقت وجالت عيني عبر رواق طويل، زحام.. أنين، وبكاء، استعدت روعي، قبضت على ذراعين تحملاني، جاهدت للوقوف كتمثال صلب، تحاملت على نفسي، وهرعت إلى ماجد المتكئ على الحائط، وآثار الحادث بادية عليه، ذراع معلقة، وعلى الوجه رضوض متفرقة، سألته:

- ماجد.. طمئني على أخيك.

طفحت دموعه كعاصفة خرقاء، وغمغم:

- عملوا له عمليتين، ونقلوه العناية المركزة.

هوت قبضة راسخة على صدري، تحشرج صوتي بدموع خانقة، كدت أسقط فأسرع هاني، وفيفي، حملاني إلى مقعد قريب، جلست وأنا أغمغم:

- وأسفاه يا جلال، (إخص عليك..)

قال ماجد، وهو يمسح دموعه:

- العربة النقل قدامي، ضغطت فرامل فجأة، كسرت شمال لأفادها لكن

كانت المسافة ضيقة دخلت سيارتنا تحتها، لم أشعر بشيء إلا وأنا هنا في

المستشفى.

انطلقت صرخة نشوى، وهي تسرع نحونا مثل ذئبة جرح وليدها:

- لا لا أأ.. سامح، أشوفه.. أكلمه.. حرام عليكم.

ربتت فيفي على كتفها مواسية:

- اطمئني يا نشوى سامح سيكون بخير.

أطاحت بيدها، وانقضت على ماجد، أنشبت فيه أظفارها، وهزته في عنف،

وهي تصرخ:

- لماذا تركته؟! لماذا أدخلوه العناية؟ لا، لا.. إياك أن تقول.. لماذا تركته يا

ماجد، لماذا لم تدخل معه؟ تركت سامح وحده؟ أهان عليك تترك

حبيبي؟! آه يا سامح!! أهكذا يا سامح؟ هكذا يا حبيبي، أنت الحاجة

الحلوة في حياتي، لِمَ يا ماجد، لِمَ هو، وليس أنت؟! يا ردد بيدي!

ضممتها إلى صدري:

- تعالي يا نشوى، كفاية.. كفاية..

غمغمت في حرقة، وبكاء مر:

- لماذا كفاية يا خالتي؟! كفاية! آه يا حبيبي، يا سامح آه!!

خرج الدكتور فأحطنا به جميعاً:

- دكتور..

-

قال الدكتور:

- سامح كُتب له عمر جديد.

تعلقت به نشوى:

- أشوفه يا دكتور، جبرًا لخاطري.

- هو تحت البنج، وتأثير العمليتين، لكن ممكن تطمئنوا عليه.

دخل الجميع، وتطلعت إلى وجه الدكتور، وسألته:

- دكتور أنا أمه، أرجوك لا تُخفِ عني شيئًا.

قال باقتضاب:

- اطمئني.

واصلت الرجاء في إلحاح:

- أرجوك قل الحقيقة.

قال أسفًا:

- للأسف الإصابة في الحوض، وفي العمود الفقري، ممكن تسبب شللًا

رباعيًا.

تتابعت قبضات عاصرة على صدري، وتحشج صوتي بدموع غزيرة:

- شلل؟!!

ردد الدكتور أسفًا:

- أسف يا هانم.

قلت له في لهفة:

- ممكن أنقله مستشفى خاصة؟

- ضروري، ويلزم توفير عربة إسعاف مجهزة.

قلت في إصرار:

- أوكي، أرجوك يا دكتور.

انصرف الدكتور، وتهاويت على مقعد.

** **

زينب أبو غنيمه

تبدى سحرها الأسود على وجه عجوز مجعد، مثل قطعة حديد خردة، وهي تقول في شماتة:

- الود ودي أزگرد يا عمدة!

انكسرت نفسه، وهو يرى شيطانه، مطبقًا الحصار حول عنقه، رفع عصاه، وصرخ في وجهها الأعجف:

- والله لا يكون ولا يحصل أبدًا يا بنت أبو غنيمه، سامح لو جرى له حاجة سأسجنك.

مطت ضحكة خرقاء، وقذفها في وجهه، وقالت:

- ما هو جرى له، ربنا استجاب دعائي عليه، عقبى لأمه.

ثم هزت خصرها، وهي تواصل ضاحكة:

- (قال تسجني قال؟ هو أنى كنت سواقه يا هانم! أنتِ تشتغلي إيه؟ سواقه يا هانم، هئ هئ.)

واجهها الرجل مفعمًا بحالة جنون، وكأنه قد عقد العزم على ارتكاب جريمة:

- أنتِ أجرتِ عليه قطاعين طرق، ولا حرامية بهائم ونفذتي ما كنتِ طول عمرك تحلمي به، كان نفسك من زمان تموتيه.

تأهبت لتصفعه بردٍ قاسٍ، ولكنها لمحت نشوى تهبط الدرج، فأطبقت فمها،

نظرت نشوى لهما بعين جامدة، وكأن ماء الحياة قد جفّ فيهما، فهرعا إليهما:

- نشوى أنتِ مسافرة؟

- لازم أكون جنب سامح زوجي.

وكأنها تذكرهما:

- هو زوجي، ولازم أكون جنبه.
وخطت إلى الباب، فتبادلا نظرة كالسم.

** **

لبنى الشرقاوي

راقبت وجه ابنتها المستدير مثل فلقة قمر، بياضه الناصع، حيويته البادية، نظرة عينيها المفعمة بجمال خاص، تابعته وكأنها تريد أن تطمئن على تفاصيله التي حرمت منها زمنًا، عشر سنوات، عقدًا كاملاً، طويلاً عريضًا، ظنت أنها لن تجدها، وربما لن تعود، ولن تضمها إلى صدرها ثانية، ولكن ها هي معها، لا تريد أن تبتعد عن عينيها.

ضمتهما المائدة، تبادلت معها نظرة مترددة، ثم قالت:

- لنا.. فيه موضوع لازم تعرفيه.

تناولت قضة من ساندوتش مربى تين، وقالت:

- أوكي.

- لي صديق في المجلة، عملنا معًا تيم ورك.

- وحصل حب، واتفقتما على الزواج.

ابتسمت، وقالت:

- نعم.

- رأبي.. No.

- No؟

- أنا محتاجة تعوضيني عن فترة غيابك، ولو تزوجت سيكون معنا رجل

غير بابي.

كبحت حديثها:

- وأنا أقول: أنتِ أنانية.

- لو هذا التفسير صحيح، فأنت أيضاً أنانية.

قالت لبني غاضبة:

- عيب يا لنا.

- بابي. قال إن حضارة الشرق هي حضارة العيب، وهي كلمة تقفل باب

الحوار، وتنتهي أي تواصل.

خيّم الصمت، على المائدة، قبل أن تواصل لنا حديثها:

- أنا قلت رأيي، لكن لا يمنع أنك تتزوجين، ولو حصل يكون من حقي أن

أستقل بحياتي، بعد إذنك.

ثم أسرعت إلى غرفتها، وأوصدت الباب، ناوش لبني قلق غير الذي اعتادته وقت غيابها، منذ الساعات الأولى تنبأت بأن مصطفى العناني، قد سيطر على ابنتها، استقت منه أفكارها، وكأنه أعدها بحججه ليواجهها بها، ويثبت لها تخلفها، الذي دأب على التلفظ به، وانتظرت لحظة حتماً قادمة بكشف الحقيقة، أبوك سمسار لأعمال قذرة.

شعرت بأنها في حاجة إلى هاني، اتصلت به عدة مرات، دون جدوى، سألت عنه في المجلة، قال زكي.. للأسف أخوه ليلة فرحه أصيب في حادثة، ونقل للمستشفى في حالة خطيرة.

جثم قلق على عقلها لا يفارق عمرها، وهي في طريق عودتها، وصلها رنين

الموبايل:

- لبني آسف. أند..

قاطعته:

- أنا عرفت، طمئني على أخيك.

خيم سكون للحظة، فنادته:

- هاني!

قال مغالبًا دموعه:

- ضروري أقابلك.

.....

على نفس المائدة، أطل على بناية دار القضاء العالي، تابع المارة والسيارات
والعابرين، شعرت لبني بهول ما يعانیه، فقبضت على كفه القابعة على المائدة:

- هاني! الحمد لله، سامح كُتب له عمر جديد.

اختنق بالدموع، وقال:

- يوم فرحه! وعروسته قاعدة في الكوشة وطبل وزمر، أدي الزين وأدي

الزينة

ظلت ممسكة بكفه، مسدتها في حنان، وقالت راجية:

- هاني.. حبيبي بسرعة لازم تعبر الأزمة، لازم تتغلب عليها.

قبّل يدها، وقال:

- ماما حالتها صعبة قوي.

- الصدمة كبيرة، الله يكون في عونها، لكن ماما ليلى قوية.

وربتت على خده في رفق:

- هاني، أي جبل حزن ينزل علينا ويخسف بنا الأرض، نقول خلاص انتهىنا،

لكن مع الوقت نقوم على أرجلنا ونكمل حياتنا.

- حياتنا بعد ما نقوم ونجتاز جبل الحزن، صعب تظل مثلما كانت. تتبقى
غُصّة، مرارة في القلب، تُمرّر أي ضحكة وأي فرحة.

** **

نشوى الشناوي

اصطحبها هاني في سيارته إلى المستشفى على مسافة من التجمع الخامس، في الطريق خيم الصمت مثل سحابة سوداء منذرة بالمطر، نظر إلى وجهها في المرآة، وقال:

- نشوى، اهدئي من الأفضل ألا يراكِ سامح بهذا الشكل.

غمغمت وهي تمسح دموعها بمنديل:

- حاضر يا هاني، حاضر.

- اتصلت بماما الصبح، طمأنتني عليه، هي ظلت معه في المستشفى حتى

أفاق من البنج.

اغرورقت عيناها بالدموع، وقالت:

- يا حبيبتي يا خالتي.

فتحت الغرفة، ورأتني أجلس قبالتها، همدت تأوهاتة، وظلت عيناه معلقة

بوجهي، كان يشعر بي وببيدي المعلقة بكفه، قال في ضعف:

- ماما استريحي.

وكأنني أسمع صوتك، تفتح وجهي عن ابتسامة عصية:

- ألف سلامة يا حبيبي.

هرعت نشوى خائفة مستطلعة:

- سامح.

تلامس بأصبعه يدها، وقال مغالبًا ضعفه:

- نشوى.. نشوى أنا..

قالت وهي تمسح دموعها:

- الحمد لله أنت ستخرج بخير، ونكمل الفرح.

غلبته دموعه:

- أنا لست قادرًا على تحريك حاجة في جسمي.

هتفت:

- لا يا حبيبي، أنت بخير.

- لا. أحس برجلي، ولا بيدي، أشعر بألم فظيع في ظهري، وكأنما أصابني

شلل.

صرخت حد الجنون، وهي تردد:

- لا..

ضممتها وتركت هاني إلى جوار شقيقه وخرجنا، جلسنا في استراحة أمام

الغرفة، وتركت دموعي تنساب على وجهي، وقلت بصوت مشروخ وبكاء مكتوم:

- اهدئي يا نشوى، هذه لحظة جادة ولا بد أن نواجه الحقيقة، مهما كانت

صعبة.

رددت وكأنها تنزلق إلى فوهة ألم لا قرار لها:

- حقيقة!

واصلت:

- الدكتور قال لي: العلاج سيأخذ وقتًا.

- المهم يخف.

- إن شاء الله.

كنت أحوُل دون سقوطها فريسة لخيال مريض، وكانت تكافح معي، بعد دقائق،
وقفتُ وقالت:

- سأذهب للدكتور.

- حاضر، سيحضر لسامح حالاً.

- لن أنتظر.

خطت عبر الكريدور، تابعتها وقد شعرت بأني عاجزة لأول أمام الكارثة الثانية.
يا حبيبي ستطول أيام العذاب والآلام.

عندما هممت بدخول الغرفة، رأيت عماد يهرع نحوي قلقاً..

- خير يا مدام ليلى؟

- ادعُ لسامح يا عماد.

- أول ما عرفت جئت لأطمئن عليه.

- ربنا معه، ارجع أنت إلى المصنع، وإسلام ربيع وهيثم مع خلود يتابعون
الشغل في مصنع مسطرد الجديد.

.....

جلست نشوى قبالة الدكتور شريف السامع، وهي تقاوم وقوعها فريسة
لأوجاع جامحة، فبدت صلبة، قوية:

- دكتور، أنا طبيبة تخرجت هذه السنة، من جامعة عين شمس.

- إذن نحن زميلان، لكنني سبقتك بسبع سنين.

سألته:

- لو سمحت اشرح لي حالة سامح بالتفصيل.

أشار لها بالجلوس، وأخرج من ثلاجته مشروبًا، قدمه لها وسألها:

- أنتِ خطيبته؟

- مكتوب كتابنا وكنا...

قال آسفًا، وهو يخرج صور أشعّات من مظروف:

- شوفي يا دكتورة.

أخرج اللوحات السوداء، وأشار عليها بقلم:

- هنا كسر في بعض فقرات الظهر، أثر وأحدث تهتكًا شديدًا في النخاع

الشوكي، وهنا حصل قطع، وهنا، وهنا... كل هذا تسبب في شلل رباعي.

أطبقت فمها، ونظرت بعين جامدة للحظة، ردّد الدكتور معتذرًا:

- آسف يا دكتورة نشوى.

التفتت إليه، وقالت:

- ألا يوجد علاج؟ قرأت عن عملية زرع النخاع، لو عملها ممكن يرجع

يقف على رجليه؟

- الحقن بالخلايا الجذعية في أوروبا، ممكن يرجعه لحالته الطبيعية،

لكن...

ثم غالب تردده، وقال:

- في حالة نجاحها، أشك أنّ حياته الخاصة تظل طبيعية، الكسر في

الحوض دمّر أجزاء حساسة في الجهاز التناسلي.

ودّعنا سامح، هاجت مشاعرنا مثل عاصفة، ولكننا تمسكنا بالصمود، وبدت

نشوى صلبة، قوية، قالت بعد وصولنا الفيلا:

- سأسافر مع سامح.

تابعتها وهي ترتقي الدرج إلى غرفته، كنت أقاوم عجزى أمام كارثة ما حلّ بابني،
 وشعرت بزوجته وهي تقاوم السقوط في بئر أوجاعها.
 ذهب ماجد مع زوجته، وجلس هاني في التراس يتحدث مع لبني عبر الهاتف،
 جلست وحيدة على فوتيل، لم أشأ كسرة ظهر تقضي على ما تبقى مني، وتمسكت
 بآخر ذرة من كبريائي، ساعة مرت ثقيلة ثم صعدت، خطوت عبر كريدور، وتناهي
 إلى سمعي صوت نشوى، مبللاً بالتضرع وهي تتلو: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
 خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله
 الذين تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً".⁶
 دخلتُ غرفتي، واستلقيت على سريري.

.....

** **

⁶ آية "1" سورة النساء.

هاني الشناوي

قذفت به الحادثة إلى شطحات بعيدة عن العقل، وكأن مؤامرة كونية تطاردنا،
وحتماً ستسحقنا.

قال للبنى عبر الهاتف:

- عندي قناعة أن جرت رشنس، سرحان عبد الشفيق وحسين رأفت،
وعزت وحامد سليم يحركهم ليدر واحد، حتى مصطفى العناني.

سألت مخفية سخريتها:

- والسرجاني نسيته؟! اشتغلنا عليه شهرين كاملين.
- دوره انتهى، زي ما انتهى دور التجارة التقليدية، السوق وطريق القوافل
وطريق الحرير.

سألته متوجسة:

- ولنا بنتي، تكون ضمن العصابة؟

- ممكن.

كمن رشقتها سكين، غمغمت بصوت خائف: غير ممكن! رغم ما تنبأت به من
سيطرة طليقها على ابنتها، حتى شكّل أفكارها، التي تهمها بالتخلف.

قالت في حدة:

- لا يا هاني، لا أصدق أن يصل تفكيرك، لموقف سلبي من بنتي، وعقلك

الباطن يضعها مع هؤلاء اللصوص.

- لبني لا تنكري أنّ جرت رشنس، بخططها، ونظرياتها في الاقتصاد، جاءت لتجمع رجال الأعمال، والشركات، والمستثمرين كلهم في زكينة واحدة، وفي لمحة- في آخر الجيم- تحوّل ملياراتهم، ترليوناتهم لبنوكها السرية في الخارج.

تهدت في ضيق، وقالت:

- هاني أنا محتاجك معي، بنتي تعباني قوي.

** **

سامح الشناوي

خشيت أن تطوقني الظنون، عندما أصرّ على أن يمكث ساعة في الفيلا قبل سفره، فلحظات الوداع ترهقني، دخلت نشوى به جالسًا على كرسيه المتحرك، جلست قبالتة، تتأمل وجهه؛ لتشبع رغبته منه، أسمعها تردد.. أحبك.. أحبك قوي، تابعتها وقد ناوشتني هواجس لعينة، خيل إليّ أنها تتوارى بعينيها، وكأنها تخفي فيهما سرًا، وربما يعتمل في قلبها قرار لعين، ينهش عقلها، ولا تقر به لنفسها، وكأنه فكرة شريرة تتلاطم في رأسها، ومثلي تصارعها، أغمضت عيني وكالعادة أفزعني الظلمة، وأنا أقاوم هواني وضعفي، أفقت على صوت سامح متهدجًا:

- كنت دومًا أنتظر الموت.

ضممت رأسي بين كفي، ولذت بالصمت، وهمست نشوى معاتبة، وهي تفرك يده الباردة بين كفيها:

- لماذا هذه السيرة؟!

ولكنه واصل:

- الغريبة أنه جاء في وقت، كنت أستعد فيه للحياة.

قبلت نشوى يده، وواصلت رجاءها:

- سامح، حبيبي لا داعي لهذه السيرة، أذ..

قاطعها مواصلاً:

- كنت كلما ركبت سفينة، ودخلت البحر أفكر فيه، مع الوقت تعرّفنا

وصرنا أصحابًا، وقت ما الماكينات كانت تعمل بلاك أوت، بعض الركاب

تطلع سطح السفينة، خائفة، مذعورة، وبعضهم مثلي كانوا يبتسمون
في وجهه ويضحكون..

قالت نشوى وهي تقبل رأسه في حب:

- سامح بعد العلاج، إن شاء الله نرجع ونعمل فرحنا الكبير.

دخل ماجد، وأخرج من حقيبته أوراقاً، وقال:

- ورق السفر جاهز، تذكرتان طائرة خاصة مجهزة، وفي أكبر مستشفى

متخصصة في ألمانيا.

وصلنا المطار، ضممتما إلى صدري، وقلت لنشوى:

- أمانة يا حبيبي، تتصلي بي لأطمئن.

ودعتما بابتسامة، ودموع، وذهبا.. عبرا البوابة الإلكترونية، ولوحت لنا، ثم

اختفت وسط طابور الركاب، ومرت ربع ساعة ثقيلة، حتى رأيت الطائرة ترتفع إلى

السماء، رددت وأنا أضغط حتى لا تنطلق دموعي:

- مع السلامة يا حبيبي.

في طريق العودة، شعرت -كما لم أشعر من قبل- بالرغبة في العمل ليل نهار،

سأطحن نفسي طحناً، حتى لا تخلو بي شوارد الأفكار السوداء، امتلكت رغبة

تحديّ، وقدرة على كسر أي طوق، وسحق أية ظنون.

جلال حبيبي.

حبيبي.. لن أهزم.

** **

- ما حدث تهريج.

رد ماجد وهو في الضيق بمكان:

- سرحان بيه أنه...

قاطعته الرجل وقال كمن يعنف تلميذًا:

- لو سمحت، المؤسسة هنا قائمة على أسس... من يتجاهلها ليس له مكان

فيها، البيزنس العائلي المحكوم بالمزاج، والتربيطات، وشيلني وأشيلك،

شغل عفا عليه الزمن.

لم تعد لديه طاقة لاحتمال المزيد، فصاح:

- تربيطات؟! تتكلم معي كأني لص! أنا لي كلام مع حسين بيه.

قال سرحان بلهجة قاطعة:

- أنا هنا المدير التنفيذي وما أقوله يُنفذ، أمامك أربع وعشرون ساعة،

تكون الثلاثون مليون رجعت الخزينة، أو أتهمك بالتبديد، وخيانة

الأمانة، وأسجنك.

أشاح بقبضته ليطيح بالوجه الأملس، ولكنه تمالك أعصابه.

قال سرحان مهددًا:

- اوعى تفتكر أن شغل البلطجة، ممكن يجيب نتيجة معي.

قبض ماجد على سترته في عنف، وقال:

- في يوم قريب سأسجنك.

.....

جاءني عصرًا، وقال لي وقد خيم عليه الضيق:

- كان المفروض ألا أسلم الشيك إلا بعد اعتماد تقرير الفحص، لكن تصرفت لاقترباب موعد استحقاق القسط الأول.
- أخرجت له الشيك من الخزينة، وقلت له:
- البضاعة ترجع.
- قاطعني:
- اليوم سأسلمها بنفسي لمصانع أبو غالي.
- قلت مرغمة:
- وأنا مضطرة أقابله.

** **

-15-

سمير أبو غالي

ذو سمرة رائقة، أحبّ الحياة فظن أنها أحبته، تبادلته عشقًا مفعماً برغبة في التمرد على الزوال، والفناء، أصرّ على إقبال النعم في نهر أبدي لا ينقطع، وهو يجلس إلى مكتبه الفاخر يبدو كطاووس زاهٍ يتفاخر بملء قلبه سعادة، ولذة صافية.

جلستُ قبالتة، وهو يخرج سيجاره الفاخر:

- ليلي هانم أنتِ تشرفيني في أي وقت.

تجلى بريق في نظرتي العابرة، وقلت:

- أول ما أفوق من المشاغل، كان لازم أجيء المكتب لفتح صفحة جديدة.

أشعل السيجار، وقال:

- عظيم.. الطلبية وصلت منذ ساعة، ومستعد لفتح صفحة جديدة.

تحاشيت النظر إلى عينيه التي لا تريحني، وقلت:

- سмир بيه.

وكأنه شعر بارتبائي القابع كتعويدة لعينة، فقاطعني معترضاً:

- بيه وهانم! أفضل نتكلم من غير رسميات.

صفعتني محاولته كسر الحاجز الذي ألوذ وراءه، واستدرك مواصلاً هدم ما

تبقى منه:

- ممكن نكمل كلامنا على الغداء؟

قلت بلهجة قاطعة:

- لا وقت عندي.

حملق في وجهي بعينيه؛ فشعرت بجرح حفره في كرامتي، وقال في ثقة:

- سنجد وقتاً فيما بعد.

قلت لأنهي المقابلة:

- سنبدأ الشغل معك، وكل طلبات مصانع أبو غالي جاهزة.

- A new deal for me. O kay

- شكراً..

وقع لي الشيك، واصطحبني حتى الباب، مددت يدي، وكأنه كان يتربص بها،

فتناولها وضغط عليها، وهو يغمغم:

- مع السلامة.

صفعته بنظرة حادة؛ فاستدرك:

- آه.. ألف سلامة على صحة القبطان سامح، ويرجع بالسلامة.

أومأت برأسي، واستدرت خارجه.

وأنا أقود السيارة، كنت أطارد أشباح الغواية اللعينة، التي تتربص بي، تنتظر

لحظة ضعفي لتنقض عليّ، وعاودني الشعور بأني ضائعة، وأنا أغض بصري عن

وجهه، يحدّق في صورتني في المرآة، قبضت على أصابعي التي تحتفظ ذاكرتها

بلمسة يده اللعينة، وصرخت فيك..

جلال.. تركتني يا خائن، خنتني، ولم تقف في ظهري، تركتني للغواية لتنكل بي،

وتكسرني.

وصلت المصنع برغبة هائلة في أن أوصل طحن نفسي، هاربة من شوارد الأفكار
السوداء، تشبثت برغبتى في التحدي، ولوحت بقبضتى لكسر طوق الرغبة،
ورددت وأنا أرفع عيني نحو صورتك:

جلال حبيبي.

حبيبي.. لن أهزم.

** **

عزت سليم

في جوف ظلّمة أفكاره القديمة، طارده أميرة بعينها الساحرتين، فأضأت له
 نفقًا معتقًا بنور طاغ، شملته الحالة الفريدة بسُكْرِ بَيِّن، وتلمس عبرها أفقًا
 ناعمًا، وثيرًا كسحابة بيضاء.. صافية، تأكد حامد من أن صديقه اللدود قد وقع
 فريسة لقوة عشق مجنونة، عزت سليم ابن الباشوات، ذبلت أوراق حقه
 الأسود، وبدأ يقر -بعد عمر طويل- بحقيقة أسطورة اسمها الحب، فاح عبيرها في
 أنحاء قلبه، حتى قال في خلوته لصديقه:

- لو لم أكن أعرف أن عبد ربه عامل بلدية، لقلت إن أميرة من نسل
 محمد علي باشا.

قطب حامد جبينه، وقال محتفياً بأقداره السعيدة:

- وقعت يا حلو!

- أوقعني بنت الكناس.

وسحب نفس حشيش مترعًا باللذة والغواية، وقال ضاحكًا:

- ههه... أوقعت بنت الكناس ابن الباشا على جذور رقبته.

قال حامد:

- أفهم أن الأمير سيتزوج سندريلا؟!

- قريبًا.

وتبدل وجهه وهو يقول:

- لم يكن لحياتي مع نوال أي معنى.

رمقه حامد بنظرة، والتصقت عيناه بصديقه اللدود، وقال:

- أمري لله، سأخبرها الخبر.

.....

رافق عزت أميرته أصيل اليوم التالي إلى ركن هادئ، وقال:

- ألف مبروك، قدمنا التصالح، وأكد سيغلق باب القضايا كلها.

- الحمد لله.

مال بوجهه على المائدة، وقال:

- رأيت من الأفضل نتقابل خارج الشركة، كل العيون تراقبنا في المؤسسة،

أكثر من كاميرات المراقبة المزروعة في كل خرم.

تورد خدها؛ فلمع وجهه ثملٌ مثل الذهب الخالص، وقالت:

- كنت مترددة لآخر لحظة، لكن جئت.

رد متوددًا:

- لأنك واثقة أني سأقف جنبك، وأساعدك على دخول الكازينو المالي،

وتامر ابنك يكبر؛ فيجد مجموعة شركات ناجحة.

انتزعت منه نظرة راودتها على الوقوع في حلم كبير، ربما تمنته، تنفست رائحة

حب حقيقي، ولكن صدحت فجأة نصيحة أمها: الواحدة لو تموت، لا تسلم

جسمها لرجل إلا في الحلال.

فاكرة يا بنت يا أماني، كلام أمك، أختك واعية، الراجل سيأكلني بعينيه، يخرب

بيتك باشا، أنا خائفة أخضه، وهمهمهم... واقطع خلفه.

ترد أماني، محذرة:

يكون صُعبُ عليكِ؟!!

حقيقي، آه.

(جاتك نيلة على خيبتك).

.....

قالت له:

- لن أفهم في عالم الفلوس بدونك، ولن تخيب أملى لأنك ابن ناس.

بصمت على اختيارها لرجل فيه طمع الدنيا، لكن قريباً سيتفقدان.

تطلع إلى عينيها السوداوين، ثم مسد وجهها الخمري بنظرة لم تخطئ ما فيها من

رغبة، وكرر في نفسه..

نسخة أصلية من النساء.

قالت

- لازم نتفق يبقى فيه عقود بيننا.

انقضت عليهما، خرجت من وراء برفان من الأرابيسك، رمقها غاضباً، وقال:

- فيفي؟!!

سحبت مقعداً وجلست قبالتها:

- والله ما أنتم ماشيين. اقعدي، حتى الجو جميل، منعش.

قال عزت محتدماً:

- أنت هنا ليه؟

- خير يا باشا! جئت أشمّ هواء؛ تعبت من الحبسة في البيت.

وقفت أميرة:

- أستأذن يا عزت بيه.

انفجرت فيني ضاحكة:

- هههه... حلوى قوى بيه، الناس تطلع وأنت تنزل، من باشا لبيه!
حملت أميرة حقيبتها، وأسرعت بالانصراف.
سألها عزت غاضبًا:

- أنتِ تراقبينني يا بنت؟!

- صدفة، كان يوم حبك أجمل صدفة هههه...

- دماغك الزبالة راح بعيد، القاعدة قاعدة عمل.

- عارفة والله أنها قاعدة بيزنس لوجه الله، لكن نوال هانم موديل قديم لا
تقدّر البر والإحسان.

تأهب عزت للانصراف، وقال:

- شوفي يا بنت أنت، لو العلاقة وصلت للزواج، سأتزوج أمام الكل.

هتفت في حماسة مفتعلة:

- يا واد يا شجيع!

ودّعها بنظرة غاضبة.

** **

ليلى أبو زيد

فور وصولي المصنع مررت على العنابر، وطلبت عماد عبر الموبايل للحضور، ما إن وطئت مكثي حتى واجهتني صورتك.. تأملت شبح الابتسامة المستقرة على وجهك، ولكنني عجزت عن التحدث إليك، بل ربما خجلت منك! وكأن فوهة كابوس مظلمة مثل جوف حوت ضخمة تريد أن تبتلعني، يا لها من سخافات، أن أرى عين غيرك، تحدق في وجهي، أو أسمح لها بذلك، حركت أصابعي التي تحتفظ ذاكرتها بلمسة يد لعينة، أخرجت منديلاً لأزيل بصمتها، قدمت رندا كوب شاي وانصرفت، رفعت الكوب إلى فمي، وأنا أردد:

جلال..

أرجوك لا تتركني، حتى لو تركتك، لا تتركني.
فور دخول عماد، أخرجت ملف تقرير لجنة جرت رشنس، وفررت صفحاته، وقلت:

- أنا قرأت تقرير الجودة، الشغل المرفوض خرج من مصنعنا وكله عيوب للأسف فأتت عليكم: سلابسات، وزيادة نسبة بخار، عداد الغلايات لم يتم ضبطه.

شعر بالأسى، وقال معترفاً:

- آسف يا ليلي هانم، سأراجع كل بالة لما ترجع.

قلت:

- الطلبية أرسلها ماجد لمصانع أبو غالي.

وعاودت فر صفحات التقرير، وقلت:

- وفيه أخطاء في الوزن، ونمرة الخيط، لازم أعرف العامل المهمل، ورئيس ومباشر الوردية، وتوقع عليهم عقوبة.
- تحت أمرك.

- ومحتاجة تقريراً عن ماكينات سابدل، والجلنج، وماكينات السحب، والغزل والتوكونر، وأهم حاجة ماكينات التبخير، وفي أسرع وقت تُعالج العيوب، تفضل على الشغل.

انصرف عماد، وبعد دقائق تحوّل فكري رويداً، وكأنما اعترته قوة عناد تملكته قياده نحو ما لا أريد، مضت ملامح سمير تلاحقني، وصوته الرخيم يصفر في أذني، شعرت بموجة عالية تدفعني نحو بحر متلاطم، لا أملك قوة على مقاومته، جاء صوت رسالة، فأصابت جسدي قشعريرة، فتحت الموبايل، تطلعت إلى وجه حبيبتى -نشوى- وهي تمسح دموعها، وتقول:

- حبيبتى يا ماما، عندي لك أجمل مفاجأة، العملية نجحت، وسامح بدأ يحرك يده ورجله، وبعد برنامج العلاج الطبيعي سيعود لحالته الطبيعية.

صرخت بصوت متهدج، وناديت:

- رندا.

دخلت مسرعة:

- أمرك يا مدام.

احتضنتها، وقلت وسط بكائي:

- العملية نجحت، وسامح رجع كما كان.

شاركتني رندا الفرحة، وقالت:

- ألف مبروك، ألف مبروك.

ظهرت صورة سامح وهو يتكى على كتف نشوى حتى وقف على قدميه وخطا في المكان، وقال:

- الحمد لله يا ماما.

قبل نشوى، وقبلته، وقالت:

- بعد متابعة مع الدكاترة، يومين، ثلاثة، سنحدد موعد الرجوع لمصر.

ورددت وقد شملتها فرحة طاغية:

- ماما أنا أسعد واحدة في الكون.

وأشارت بيدها:

- لا إله إلا الله.

غمغمت بصوت متهدج، وقد غرقت في طوفان من الدموع:

- سيدنا محمد رسول الله.

** **

حامد سليم

أصل الغرام نظرة

يا شبكتي يا عيني من العين

تواصل صوت دور "أصل الغرام نظرة" وجلست نوال تقتنص ذكرياتها الدفينة من قاع بئر الزمن، وصوت السوليست يبدأ من مقام هزام، شجياً، أغمضت عينها مع مقام البيات، واهتزت طرباً مع إيقاع نوخت، وهي تترنم بصوت خافت: يا شبكتي يا عيني من العين، يا عيني..

انتهت على صوت طرق على الباب، خطت نحوه في تؤدة، وهدوء، فتحته فرأته أمامها مبتسماً، فتملكت جسدها ربكةً مفاجئة، وهمست:

- حامد!

- إزيك يا نوال.

- تفضل.

خطا على أرضية من خشب قديم تهتكت أوصاله، محدثاً بخطواته صوتاً واهناً، استقبلته برائحة زمن ولى، جال بعينه عبر معالم طُمست هويتها، لم يبق من رونقها شيء، إلا ذكرى عصية على الذوبان رغم قانون الفناء.

والوعد كان يجرى للعين

هو ده كان غايب فين

قادته إلى ما تبقى من صالون مذهب، جلست قبالتة، شملها بنظرة عميقة، لم ينتزع عينيه منها، قدم لها ورقة، وقال:

- عزت طلقك.

تناولت وثيقة الطلاق، وارتجف القلب، كأنه يتأهب لإلقاء آخر قطعة من حمل ثقيل، ورجل لا يجوز أن تأسف عليه، تنهدت وقالت:

- قرار تأخر كثيراً.

أوماً حامد برأسه، فقد أنت لحظته التي انتظرها زمنًا، وتربص لها حتى لا يخطئ في اقتناصها، قال وهو يميل بجذعه ليقرب منها:

- نوال، لم أت فقط لأبلغك بالطلاق.

أشاحت عنه، وقالت:

- ألا ترى أنك أيضاً تأخرت كثيراً؟

قبض على لحظة عشقه حتى لا تفلت منه، ضم كفيها، وقال في لهفة وإصرار:

- ولن أتأخر أكثر من ذلك.

تبادلا نظرة موحية..

وتواصل صوت الجرامفون:

يللي كويت الفؤاد ارحم

أسباب ضنايا العين

مع الموسيقى العميقة، تأججت الشهوة المكبوتة، احتواها بنظراته العميقة المتتابعة، ضم وجهها بين كفيه الكبيرتين، فاهتزت حيال رغبته الحارة واندفاعه، حاولت التراجع فحاصرها، عزفت أصابعه على أوتار جسدها الخصب، تأوه صوتها الناعم متمنعة، وهي تحاول الفرار، رغم استسلامها لاندفاعه المجنون، سقطت على صدره، متغلغلة في ذروة لذة فائقة محمومة، ظلت متعلقة به،

فبدت الأحلام، وتجلت لآئى المتعة وما بها من حياة، وانكشف ماضيها التعس عن حقيقة مرة، مجرد سراب كاذب، ظلاماً حتى غسلت جسدها بمائه الساخن، وتهافت قبضة العاصفة.

الوعد كان يجرى لليل يا عيني

هو ده كان لي غايب فين

.....

عندما عرف عزت بزواج نوال من صديق عمره، صرخ في وجهه:

- إلا نوال.

قال حامد مهادناً:

- من حق نوال أن تتزوج.

واصل عزت احتجاجه:

- إلا أنت!

وثقبه بنظرة اتهام، وتبدت شكوك مثل لدغة عقرب سامة، واسترسل:

- أنت تعرف عقول الناس، وألسنتها الحادة التي ستلوك سمعتي.. سمعتنا

معاً.

تأهب حامد لتمثيل دوره بتمكن، على خلاف غريمه، وقال:

- ومنذ متى تعمل أنت للناس حساباً!؟

تبادلا نظرة، ياا ه ه!! نعم للعين ذاكرة، ويا لها من ذاكرة، لم يقدر على الفرار من أعماقها، حيث الشيء الذي لم يفهمه، من نظرة زوجته الدائمة، كأنها كانت ترى غيره، ترى حامد الخائن! يشعر بهذا الشيء الآن كوخزة باردة كالثلج.

واجهه بذات النظرة العامرة بالشكوك، وقال بلهجة اتهام:

- أقل شيء سيقال، أنكما كنتما على علاقة قديمة.

صاح رافعاً ذراعاه، متمصّباً دور يوسف وهي البريء في تراجيديا وهمية، وقال غاضباً:

- قطع لسان من يقول عليّ هذا، أو على نوال بنت الحسب والنسب.

تتابعت لدغات الشكوك في أنحاء متفرقة من كرامته فأسقطتها، وبات عاجزاً عن التحمّل، أشاح عنه وقد عاودته سخريته المرّة، أشعل سيجاره، وغمغم:

- أنت تتزوج بنت الحسب والنسب، وأنا أتزوج بنت كناس!

دار حوله حتى واجهه، وقال:

- الحب يا صديقي.

- هل أحببت نوال؟

واصل أداء دوره المكتوب في الذاكرة:

- عندما أبلغتها بالطلاق انهارت، كانت إلى الموت أقرب، الواحدة منهن

تقول: طلقني.. طلقني، وعندما يتم الطلاق، تسقط روحها.

نفث سحابة دخان أزرق، متحسباً أنقاض زواج قام على غير أساس، وقال:

- اليوم، أدركت كم كنت مخدوعاً فيك، وفيها!

وأشار له فانصرف.

** **

ليلى أبو زيد

شاهدنا أنا وأولادي رسالة سامح المصوّرة عدة مرات، وشملني اطمئنان، وقد استكانت أشباح الغواية اللعينة في مكمّنها، وضعت صورتك على سطح المكتب، لأراك، وتراني، تراقبني، وتقويني وقت ضعفي، ليتك كنت معنا تشاركنا الفرحة، بالأمس قضينا ليلة سعيدة، لاحظت أن فيفي على غير عاداتها. همس ماجد لي:

- ليست المشكلة في طلاق حماتي، ولا زواج عزت من أرملة السرجاني، الأزمة عند فيفي، زواج أمها من حامد سليم.

غمغمت:

- يا خبر! الراهب في معبد الحب، تزوّج أخيراً.

وغشيتني ذكرى قديمة، كنت في سيدي عبد الرحمن، وقلت لي وأنا أتناول الأيس كريم: حامد راهب في معبد الحب، عازف عن الزواج لمروره بقصة حب فاشلة.

قال ماجد، وهو يتأهب للانصراف:

- خائف الزعل يؤثر على الحمل.

قلت فرحة:

- فيفي حامل؟ ألف مبارك.

قبلت فيفي، وأنا أصطحبهما إلى الباب:

- اهدي يا حبيبتي، وخلي بالك من نفسك.

- حاضر يا طنط.

- مع السلامة.

.....

انقشعت سحب القلق، والتوتر، وصلت المصنع صباحًا، ولحقت بي رندا في الطريق إلى مكتي، وقالت:

- ينتظر ك ضيف في المكتب.

- مَنْ؟!

.....

دخلت وخطوت نحوه، مد يده مصافحًا، وجلست قبالتة.

قال بلهجة اعتذار:

- سوري، جئت فجأة وبدون ميعاد.

غشيتني هوا جس، وشملتة بنظرة:

- تحت أمر ك يا سمير بيه؟

- مشكلة كبيرة!

- مشكلة؟!

- لجنة الفحص والجودة عندي راجعوا الشحنة، وللأسف عرفوا أنها

مرفوضة من مجمع مصانع آل سليم، ومكتوب فيها تقرير فني سيّ جدًا.

وناولني صورة من التقرير، تصفحته سريعًا، غمغمت:

- نعم.

- التقرير للأسف كان موجود نسخة منه في كل بالة.

- مقصودة!

استدرك سمير:

- المهندس رشدي أبو غالي، وقع التقرير في يده، فأصدر قرارًا برفض الشحنة كلها.

تلاشت فرحتي الطارئة، وانقضت أشباح لعينة، وأنا أغضّ بصري عنه، وقد انتابني شك، وأنا أتابع عينيه المراوغتين، يقينًا بدأ خطة ليراودني، ولكن لا، قلت له في حدة قاطعة:

- أنا تصرفت في الفلوس.

تهمد ثم اتكأ على مقعده، وقال:

- أكيد فيه حل.

تجلى ذات البريق في عيني، وقلت:

- الحل نتعاقد على طلبية جديدة، ونسوي الطلبية القديمة لكن بشرط.

مسد شعره الناعم، وتساءل:

- شرط؟!!

- الاتفاق يكون مع رشدي بيه والدك.

شحنت ملامحه بابتسامة غضة، وأوماً برأسه، وقال:

- موافق طبعًا.

وقف، ومد يده ليصافحني، ترددت لحظة، ثم مددت يدي فتلقفها، وظل

قابضًا عليها وهو يقول:

- تأكدي أنني لن أنهي الشغل معك.

تركني وانصرف، تلاحقني أشباحه، ونفس مضطربة متلاطمة، نظرت إلى صورتك، رغم ابتسامتك كنت ساكنًا، لم تُبد غضبًا أو غيرة، ولكن في هذه المرة لم أخجل منك، ورغم ذلك تمسكت بالفكرة ذاتها، جلال أنت لم تمت بعد.

** **

لبنى الشرقاوي

ضمتمهم مائدة، وانساب النيل في هدوء، قالت لهاني:

- كان لازم تعرف لنا، وهي تعرفك.

تابع الفتاة، هادئة الملامح، لا تشبه أمها في شيء، ربما نفس النظرة، لكن بها

جرأة تسبق سنها، قال:

- تحدثت عنها كثيرًا حتى عرفتها قبل أن أراها.

غرست الشوكة في قطعة الكيك، وقالت:

- اتفقتما على الزواج؟

تلاشت فرحته بنجاح العملية الجراحية لسامح، وقرب عودته، فقال:

- فكرة.. نتزوج، بعد عودة سامح بالسلامة، وتكون زفتنا مع زفته، والفرح

يبقى فرحين.

تابعت لبنى ابنتها بنظرة فاحصة للحظة، وكأنها رأت مصطفى العناني، يشير لها

بسبابته في احتقار، تأكد لها لحظتها بأن متاعب جديدة تنتظرها.

سألت ابنتها:

- نشوف رأي لنا؟

قالت لنا في حدة:

- سبق وقلت رأيي No.

ثم صعقت هاني بنظرة حادة، وقالت:

- أنا أرفض أنك تتزوج ماما، وعارفة أنني أنانية، وسخيفة أن أقف في

طريق سعادتكما.

ثم قامت وأسرعت بالانصراف.

تابعها أمها بنظرات قلقة، وقالت:

- تكلمت معها لكنها متمرده والتمرد سيعمل لها ولي مشاكل.

- أي مشاكل تُحل، لكن فكري في نفسك وفيّ.

ضم كفها في رفق، وقال راجياً:

- لازم نتزوج، أول ما سامح يرجع من السفر.

هامت بعينها في النهر، وغمغمت:

- ربنا يسهّل.

راقبها للحظة، وقال:

- لبني، أشعر أنك بعيدة عن يدي.

- أرجوك يا سامح.

بلمهجة أسف:

- لو مصطفى العناني انتهى من حياتك، لنا مستحيل تنتهي.

** **

-16-

ليلى أبو زيد

هبطت الطائرة، وفور رؤيتي لسامح يسير على عكازين، غشيتني فرحة عارمة،
عدوت نحوه، ضممته واستسلمت لدموعي، أردت أن أبكي طويلاً، وكأنني كنت
محرومة من البكاء طوال العمر.

جلال... اليوم أنا ولدت من جديد، وُلدنا معاً، وأنت تعانق ابننا الحبيب، تضمه
معي، كنت أشعر بك، وأنا ألمس يد حبيبي سامح، كأنني ألمس يدك، وأراك تنظر
إليه.. وإليَّ بعيني، قبلت يدك الحانية، فربت على ظهري، كما كنت تفعل معي،
حبيبي لم تحرمني طوال عشرينا من شيء.

يا رب أعطني القوة.

في الطريق إلى الفيلا، لم أنتبه -ربما أردت ألا أنتبه- إلى نشوى، تابعتها بعينين
قلقتين، طوال الطريق يشملها صمت، وقد خبا نور ابتسامتها، هل...؟ لا.. لا، هل
ما كنت أخشاه حدث، طوقتي ظنوني اللعينة، ناوشتني الهواجس مثل سهام من
كل صوب، وأنا أحاصرها بنظرة صامتة، هذه المرة لم أسمع قلبها يردد لحبيها..
أحبك قوي، لم تتوار عن نظرتي الصامتة، وكأنها تريد أن تبوح بسرها، تخرج ما
في قلبها لي، أفزعني الهواجس والظنون، وأنا أقاوم هواني وضعفي، وقلبي يحدثني
تسفعني الأفكار في قسوة، هل...؟ لا.

صعدت إلى غرفتي، استلقيت على سريري ساعة في سكون، خيمت ظلمة ثقيلة
على قلبي، نظرت إليك، ثم أغمضت عيني، بعد نصف ساعة موعلة في ظلمة

عتيدة، انقضت هواجسي، وظنوني كمطرقة حادة على رأسي، تناهى مع طرق خافت، أضأت النور، وفتحت نشوى الباب..

- أسفة يا ماما.

- نشوى تعالي يا حبيبي.

طفرت دموعها فجأة، فناوشتني الهواجس، والظنون، ضممتها وربت عليها،

وقلت:

- حبيبي اهدئي.

تمالكت نفسها، وقالت:

- ماما، كان نفسي تبقي ماما بجد.

- يا حبيبي أنا مامتك.

- مامي اللي ولدتني، ورضعتني، و...

هاجت نفسي، وطوقتني صلصلة مخيفة، كأني أعود لحلم قاس عنيف:

- نشوى أنا أمك، تكلمي.

واصلت نشوى، وقد هدأت رغم بكائها الذي لم ينقطع:

- الحادثة دمرت...

واختنق صوتها بدموع غزيرة:

- ... دمرت قدرة سامح على.. ع..

تحشرج صوتها، واختنقت الكلمات:

- حاولت، وهو حاول.. أ.. لم أحتمل عجزه، وكسرة نفسه، أو..

لاذت بالبكاء المر، وشعرت بأني أغوص في كابوس جديد مرعب، ولكنني قبضت على جمرة سوداء، وقلت:

- أعطه، ونفسك فرصة أخرى.

قالت في أسي، ومرارة:

- لا رغبة، ولا قدرة، ولا حاجة خالص، يا ماما... أ..

رزحت تحت الفكرة البغيضة، وقلت:

- قبل أي قرار، استخيري ربنا.

مسحت دموعها بمنديل، وقالت:

- الدكاترة عرضوا عليّ الأشعات والتحليل، ليلتها صليت شفع ووتر،

وقيام ليل، وركعتين استخارة، ونمت بعد ثلاثة أيام سهر، جاء لي في

رؤيا.. ابتسم.. ومسح على شعري.. وباس رأسي، وقال لي: مع السلامة يا

نشوى، ومشى..

وتمالكت نفسها، وقالت:

- أنا مفروض أسافر بكرة.

استدارت وخرجت، تاركة فوقى سحابة من ظلام أسود.

مرت الليلة ثقيلة، بعد الفجر فتحت الباب، رأيتها تحمل حقيبة سفر، وتخرج

من غرفتها، رأيتني فوقفت مكانها، خطوت نحوها، سألتها:

- سامح نائم؟

- أغمض عينيه منذ ساعة.

- نشوى، ليتك تظلين جنب سامح.

أوصدت الباب في رفق، وقالت:

- حاضر يا ماما، أنا تعبت في السفر، ولازم أطمئن أبي، وأقعد يومين في البلد.

اصطحبتها نحو السلم هبطنا إلى الهول، كان هاني يتأهب للخروج، ودّعنا وجلسنا نتناول الإفطار، هربت من متابعتها بعيني لأخفي ما فيهما من قلق، من عادت من السفر نشوى أخرى غير التي سافرت، خبا قبس شيء ثمين، هل حياها لسامح تلاشى بعد ليلة باردة، جافة؟! حاصرتها بنظرة ساكنة.

** **

في في سليم

لم تعد حمل الهموم، أو تحاصرهما مشاكل حادة، تعجز عن الاستهانة بها كعادتها، انفصل الوالدان فتأثرت بما يليق، أغلقت غرفتها، وبقدر ما ضحكت في حياتها بكت، عندما تزوجت أمها حمَّ عليها بلاءٌ كالفضيحة، فعاودت البكاء في حرقة، وتشبثت بها فكرة الفقد -بعد أبيها وأمها- حاصرهما الخوف، خشيت على حملها، على زوجها، بعد نجاته من الحادث، تعلقت به.

بعد أسبوع من زواجه، جاء الفيلا، فانتفض في رأسها غمٌّ ثقيل.
قال لها مهوَّناً:

- في في ضروري أتكلم معك.

- Ok تفضل قل حضرتك.

- أنا أحببت أميرة.

تطلعت حولها لتتجاهله؛ فواصل حديثه:

- لقيت عندها ما لم أجده طول عمري، أنا عشت مع أمك خمس

وعشرين سنة لم أحس بطعم الحياة، ومن حقي أعيش.

في لحظة أطاح بها إحساس فائق بمأساة، فقالت:

- Soory يا باشا أقاطعك لأن كلامك يغيظ، كل واحد تزوج على زوجته

قال نفس الاسطوانة، اسطوانة حسين رياض، وأفلام أبيض وأسود،

وأمانة رزق، وهذا الجو القديم، يا صلاة النبي أحسن.

شعر رغم السخرية بطعم المرارة التي تتحدث بها ابنته:

- في في أرجوكٍ قدري مشاعري.

- ما المناسبة إن شاء الله؟!

قال في لين:

- المناسبة أنى أبوك.

- وبمناسبة أن ماما هي ماما لازم أقدر مصيبتى أنا، لأنها تزوجت من ابن

عم حضرتك، وصاحبك الأنتيم، يا نهار أسود!

وغمغمت همسًا:

- جاءتكم نيلة، عائلة زبالة.

امتقعت ملامح وجهه، ووقف غاضبًا وقال:

- أنتِ تزوجتِ على كيفك، وأنا وأمك كل واحد اختار ما يريد.

وهي تقاوم غضبًا عنيدًا أمسك بتلابيبها فكاد يفقدها صوابها، صرخت فور

خروجه:

- عائلة زبالة.. زبالة.

خرج ماجد على صوت صراخها، وتساءل قلقًا:

- فيفي ما لك؟

قالت في غيظ مكتوم:

- ولا حاجة، كنت أجرب صوتي.

ثم صرخت:

- يعني لم تسمع حماك؟!

- سمعته، ولو خرجت كان قال: احضرنا يا ماجد يا ابني، ودخل في دور

المظلوم.

انفجر غيظها، وقالت:

- أميرة ولا هبابة زوجته الجديدة! ضحكت على الأهل الأول، ولا مانع
تضحك على العبيط أبي.. أستغفر الله العظيم، خائفة أكون عاقبة له،
وأنا بقول العبيط.
- أبوك مستحيل يكون عبيطاً.

قالت ساخرة:

- على أساس أن من أمارات الذكاء، أنه تزوج هبابة مثلاً، ولا يكون تصوّر
في دماغه أنه ممكن يضحك عليها مثلاً.
- اهدئي يا فيفي.
- أنا قلت لك زمان، إن فيه نسوان تجعل الرجال الأغنياء على الحديدية،
أو تدخلهم العباسية.

تهدت، وهي تستدرك:

- أنا من بكرة أشتغل معك أحسن، لأن الفراغ لا يُحتمل.
- يا حبيبتي، لازم الحمل يعدي على خير، ضروري تهدئي.

قالت في غيظ:

- لن أهدأ، طول ما عفريت العلبة معه، أكيد عاملة له عملاً أسود ومنياً
على دماغها، هل النسوان الشعبيات لهن في الحوارات المجرمة.
- تركها تفيض بغيظها، وجلس مسترخياً، فشملته بنظرة:
- أنت سرحان في إيه أنت كمان!

غمغم هامساً:

- سرحان في عبد الشفيح.

ثم رفع صوته:

- لما تخلصي من النسوان الشعبيين.

مطت شفيتها ساخرة:

- ظريف.

ثم صاحت:

- وأنت يهملك حاجة! أنا وماما نروح في دشليون داهية، وأنت لن تخسر
حاجة.

- بالعكس ممكن أخسر كل حاجة، أميرة ممكن تلحس نافوخ الباشا
وتأخذ كل حاجة.

حدجته بنظرة، وقالت:

- أنا من زمان بقول إنك تزوجتي عن طمع..

- لا إله إلا الله، هو لو تكلمت في مصلحتك يبقى طمعان فيك!

- طبعًا واحد غرقان ومديون، ونفسك بفارغ الصبر تخلف؛ لتضمن أنى
لن أقلب عليك.

صاح غاضبًا:

- بطلي هبل.

- فعلاً أنا ونوال رأفت أمي، هبل.

أشاح بوجهه غاضبًا، فقبلته وقالت:

- هبله وتحب!

قال في جدية:

- أبوكِ ذكي، ومستحيل يترك في الفيلا حاجة مهمة.
- ممكن يكون عامل توكيل لماما، نأخذه ونسحب كل فلوسه من البنوك.
- أي حاجة مهمة محتفظ بها في مكتبه في الشركة.

وكأنه استقر على فكرة:

- ومع ذلك أتفرغ، وأفتش في مكتبه.

تعلقت به وقالت:

- ماجد أنا محتاجة أغيرّ جوّ، إيه رأيك نساfer الغردقة؟
- صعب، وسامح هو ونشوى، واضح أن فيه مشكلة بينهم ممكن توصل
لـ..

- إوع! لو حصل بجد، تبقى صحيح حركة زبالة.

** **

ليلي أبو زيد

بعد يومين من وصول سامح، تمسكت بالسعادة، رغم شكوك كثيرة خيمت على الأجواء، ففي الصباح أصرت نشوى على السفر، تابعتها بعينيّ القلقتين، عندما التفتت نحوي التفاتة خاطفة، قبل أن تخفض عينيها، انطفاً في روحها شيء، ما كنت أخشاه على وشك أن يحدث، قلبي يحدثني، وترزح الأفكار على عقلي في قسوة، هل... لا.

عاودت العمل والأيام تتسابق، كان عليّ أن أسدد قسط الدين قبل أسبوع، اليوم بسبب الزحام وصلت المصنع متأخرة، وعلى الفور اجتمعت في مكثي، قبل جولتي على عنابر الإنتاج، راجعت مع المحاسبين هيثم أبو العز، وإسلام ربيع الميزانية، وقلت للجميع:

- نحتاج على الأقل عشرين مليوناً قبل أسبوع، يا جماعة الالتزامات علينا صعبة، ورغم الأخطاء، قدرنا نحقق المستهدف، أنا محتاجة كل الاقتراحات لوضع خطة قوية.. ناجحة، في أقرب وقت تكون على مكثي.

قال عماد:

- المشكلة في خام جنوب آسيا والصين، منه هالك، ومنافس ضعيف.
- نغيره، لازم نشغل صح، ونفتح سوق أكبر، ولا نكتفي بالسوق المحلي، ونحتاج خطة للتصدير.

أشرت لهم:

- تفضلوا على شغلكم.

.....

خرجوا تباعاً، استرخيت على مقعدي، وأغمضت عيني ببطء، أخذتني غفوة، أحسست بمن يضغط على كفي، يا لها من سخافات، انغمست في طور حلم، وكأنني قد ألقى بي نحو فوهة تحرق في وجهي، تردد رنين الجرس، وأفقت على صوت رندا:

- المهندس سمير يا فندم.

دخل بابتسامته اللزجة، تحاشيت مصافحته، أشرت له:

- تفضل.

جلس قبالي، وقدم لي مظروفاً، وقال:

- قبل أي كلام، تفضلي، دفعة أولى.

- شكراً.

- مصانع أبو غالي في بور سعيد محتاجة طلبية دوبل.

واستدرك، وهو يستقر بعينه على وجهي:

- جئت اليوم لأشكرك، الطلبية الأخيرة نالت رضا بابا.

رددت باقتضاب:

- الحمد لله.

شعرت بالضعف أمامه، أردت أن أكون جامدة، حادة كصخرة، ولكنني خشيت

أن أفقد عميلاً قوياً، أحتاج إليه في ظروف الصعبة.

واصلت تفقده لملامي، وسألني:

- ما لك يا ليلي... هانم؟

- مشاكل، وضغط شغل وظروف.

وكأنه تذكر:

- Soory القبطان سامح أخباره إيه؟

خيّم الصمت، أمعن النظر أكثر، تبدت نشوى أمامي وهي تخفض عينها مطفأة الروح، فغمغمت:

- بخير.

تحاشيت النظر إلى عينيه المراوغتين، لأكسر خطته لمراودتي، ولكنه واصل رغبته في التودد، بطريقة سئمتها، ولكنني كنت محاصرة بظروف القاهرة، هكذا هيئ لي!

قال:

- لهجتك لا تقول خيرًا أبدًا.

- أسفة لأنني تعبانة جدًا ومحتاجة أكون وحدي.

تلاشت ابتسامته، وقال:

- نتقابل بعدين.

وقف وأصرّ على بسط كفه أمامي، لم أتردد في مصافحته لأنهي اللقاء،

فتحسس أصابعي، وتحسس حرارته، فعادت ابتسامته، وقال بود:

- ضروري أزور سامح بيه، لأهنئه بالعودة بالسلامة.

- تحت أمرك.

ظل ممسكًا يدي، وقال:

- وبالمناسبة رشدي بيه ينتظر زيارتك.

ثم احتواني بعينيه العميقتين، أراد أن يكون سهمه واضحًا، ومباشرًا، قال وهو

يثقبي بنظرة شاملة:

- ذوقك حلو قوي يا.. مدام ليلي.

أومأت برأسي، وسحبت يدي من بين أصابعه، أردت إيقافه عند حده، خطا نحو الباب، وأمسك مقبضه، والتفت نحوي، وقال:

- أفكرك بالطلبية لأنني داخل مرحلة جديدة من البيزنس، تحدّ مع رشدي أبو غالي، ولو كسبت سأتسلم كل حاجة Free Hand، وخلي بالك أنا أتحداه بك.

- تحت أمرك، وكل طلباتك تتسلمها قبل الموعد، وكوالتي أعلى، وسعر لا يُنافس.
مع السلامة.

خرج، تركني، ضغطت الجرس، وقلت لرندا في عصبية:

- اعملي لي قهوة سادة.

طاردني وأنا أتناول قهوتي السادة، رأيت صورة وجهه بسمرتة الرائقة فوق الرغبة البنية، تناولت رشفة مُرّة، لم أشأ أن أطارد مشاعري، أو أهرب منها، أو أخجل من نفسي، أو منك، تناولت رشفة ثانية، وأنا أبادله الرغبة في التمرد، تخيلته يجلس لم يبرح مكانه، يتابعني بعيني طاووس زاهٍ يتفاخر بملء عينيه سعادة، ولذة صافية، تناولت رشفة ثالثة، وهو يخرج سيجارة أشعلها، لم أتحاشَ النظر إلى عينيه، لأتخلص من التعويذة اللعينة، ومن جرح كرامتي، تناولت ما تبقى في الفنجان، ووصلني رنين الهاتف:

- سامح.

- ماما أنا مسافر البلد.

** **

شريف السامع

كان نسخة معدلة من أبيه -دكتور محمود السامع- اليساري العتيد، ورث مع مستشفىاه الخاصة بشهرتها وصيتها، أفكاره التي ظن لوقت طويل أنها لو وجدت من يطبقها؛ لحلت كل مشاكل البلاد والعباد، يتساءل في مرارة: لماذا انتصر الأدياء، والانتهازيون، وكوّنوا فريقًا للنهب المنظم، سنّ قوانين، وإقامة شركات لحرق كل الفرص، وغلق كل الأبواب أمام أي إصلاح حقيقي.

قبل سفر نشوى للبلد، قابلته في مكتبه لتعرض عليه التقرير الطبي لزوجها، بعد رحلة العمليات الجراحية في ألمانيا، جلست قبالة هادئة، وكأنها قد استسلمت لأوجاعها الجامحة، فبدت ضعيفة، هشة:

- حمد الله على السلامة يا دكتورة.

قرأ التحاليل، وراجع الأشعات السوداء، وقال أسفًا:

- كما توقعنا، كسور الحوض دمّرت الجهاز التناسلي كله تقريبًا.

كظمت دموعها، لتبدو صلبة قوية، وقالت:

- لأعبر هذه المحنة، محتاجة أكمل دراساتي، ماجستير ودكتوراه.

لمح دموعها المتحجرة، وقبضة الكأبة على وجهها فتلاشت نضارته، فاضت

مشاعره، وهو يرى إنسانة تقاوم معاناتها، ابتسم لهدئ من شجونها، وقال:

- المستشفى هنا تحت أمرك، هي مستشفى حكومي.. روتين. وحضور

وانصراف، لكن أعدك ممكن ألقى مكانًا لك في مستشفى السامع، بعد

ما أنتهي من خطة تطويرها.

- شكرًا يا دكتور، ربنا يوفقك.

- القاهرة رغم الزحمة، وكل ما ينتج عنها من ثقافة سلبية، تعتبر مدينة الفرص، الريف جميل لكن وجودك هنا أفضل.
 - أشكرك يا دكتور، أتمنى أن أبدأ في مستشفى لها سمعتها.
 - أوكي.. تستلمي شغلك هنا اليوم.
 - أحتاج إلى أسبوع، لأرتب نفسي.
- وهو يتابعها بنظرة تقدير، قال في حماس:
- شئون العاملين يهون إجراءات ملف تعيينك، وسيكون جاهزاً بعد أسبوع، مع السلامة.

** **

نشوى الشناوي

تتلاطم وسط أمواج حيرة عاتية، تصدق، أم لا تصدق؟! تطاردها ذكرى الليلة الوحيدة التي أغلق عليها مع حبيبها و"زوجها" باباً واحداً، كانت تتعلق بأمل واهٍ أن يكون ثمة خطأ ما في التشخيص، أو يكون في علم الله ما لا يعلمه إلا هو، وما سمعته من الأطباء، وما قرأته في التحاليل، يكون لله فيه شأن آخر، تتذكر انتصارها على خجلها، وهي تتجرد من ثيابها، تضمه مستسلمة بين يديه، هامت أملة في تحقيق رغبة، وهو يواصل تقبيلها، ويعبث بأنحاءها فتمادى الجسد الغض في انفعالاته المهيبة، بحثت وهي في أوجها عنه لتستثيره، تحسسته، وجدته خامداً كأنبوب فارغ، اكتسحتها عواقب ممزوجة بفاجعة، وحسرة تخترق كيائها، انقشعت خمر الرغبة، ووجدت جسدها راقداً.. خامداً، أفاقت وسط معاناتها، طمأنته وعاودا الكرة مرة، ومرتين، فخلفت نارها رماداً، بكت، وبكى.. تواري بعيني، فربتت على صدره، وضمت خديه بين كفيها، وقالت:

- حبيبي هذا يحدث كثيراً، وكل حاجة تأتي مع الوقت.

تلاحقت أنفاسه الحارة، وسط موجات بكائه، نشب حريق ضخم في سفينته، وانقطع ماء بحره، يا ااه يا نشوى! لم أشأ أن أحرقك إلى هذا الحد، وأعجز عن إطفاء نارك، قالها وسط حروف مجروحة، تعذبت لبكائه، وسيظل يعذبها طوال حياتها، غشها نوم طارئ، لتهرب منه ومن نفسها، ولكنه يلاحقها، تروغ منه فتجده أمامها على قارعة كل خلاء تهرب إليه، تسقط مع معاناتها فتجده في انتظارها، يهجم حريق أسود عليها بأنيابه، يمزقها إرباً.

بعد أسبوع من الانتظار نهشتها فيه آلام بكل لون ثقيل.. كئيب، أغلقت غرفتها، وتردد صوتُ أحبته، وأحبه معها، فبكت:

نسيت النوم وأحلامه نسيت لياليه وأيامه
بعيد عنك حياتي عذاب متبعدينش بعيد عنك

مع الصوت وصل طرق على باب الغرفة، فتحت نعيمة، وقالت:
- ست الدكتورة، سيدي سامح هنا.

نهشتها بغتة مستكينة في جوفها، سوت شعرها، وجاءها صوته، وهو يطلُّ برأسه من فتحة الباب:
- صباح الخير.

انقضت أمها مثل غولة قميئة، وشملته بنظرة ساخرة، وغمغمت:
- يحيي العظام وهي رميم!

اصطحبته نشوى وأغلقت الباب في وجه أمها، وقالت:
- سامح، ادخل.. تعال.

بدا كمن يتمسك بأمل باق، أطلَّ من عينيه مثل ومضة حياة تستعصي على الموت والتلاشي، وقال:
- نشوى أنا...

أطاح به عجزه فتذكر.. عجز لسانه، وهاجت جوانحه، وعوالج قلبه تصدر زفيفاً حاراً، لم يكن بهذا الوجه من قبل، ولا هذه النظرة المكسورة، المسحوقة، وهو يردد:

- نشوى.. مستحيل يحصل ونطلق.

واجهها، وارتفع صوته:

- طلاق لن يحدث.

تعلقت بكفه، وقبلتها في حرارة، وقالت:

- سامح.

قاطعها محتدًا:

- نشوى مستحيل.

ضغطت على أعصابها، وقالت وهي تقبل يده:

- سامح أنا خائفة عليك، وعلى الحب الجميل، وعلى أيام سعيدة

عشناها، سامح، أرجوك حتى لا يتحول حبنا لجحيم، لازم نطلق.

اعتصرته الكلمة، فقال:

- قرار نهائي؟

عصف بها حزن ثقيل، وانفجرت دموعها، وهي تقبل يده ووجهه، والتهمت

شفتيه، مسح على شعره وهي تردد:

- غصب عني وعنك.

تخلص منها، دار حولها، وقال:

- المطلوب إنقاذ الحب الجميل من الجحيم.

تواصل البكاء، وانفجرت دموعها، وتعلقت به، أطبقت على يديه قبلتهما،

وقالت وهي تتطلع إلى وجهه:

- أنا لا أحببت ولا ممكن أحب أحدًا غيرك، سامح أنا...

ألقى بعصاه، وضم رأسها إلى صدره، عبث بشعرها.. قبله، وخرج صوت تذبجه
دموع حارة:

- أنتِ طالق.

تأملت عينيه للحظة، رآته بعيداً عنها، أضحى غريباً، سحبت يدها المعلقة به،
قبضت بأصابعها شفتيها، أومأت برأسها، ورددت كالغريقة:

- خلاص؟

-

أشاح عنها، وخطا يتوكأ على عصاه، حاولت اللحاق به.. تصرخ:
- سا...

انطلق بكاؤها فشل لسانها، بكت بكل جارحة في جسدها.

بيرحني بكايا ساعات أخاف عليك وبخاف تنساني

من الباب المفتوح أطل وجه أمها بسحنة كريمة، وهو يصدح بزغرودة عالية،

فصرخت نشوى في وجهها:

- حرام عليك حرام عليك.

وسقطت في نوبة بكاء وصراخ أقرب إلى الجنون.

** **

-17-

أميرة عبد ربه

عزت سليم ابن الباشوات، ذبلت أوراق حقه الأوسود، نثرها خريفه السعيد بعيدًا، وهطل شتاء ساخن، فأنعش في ذاكرته شيئًا قديمًا، وبدأ يقرّ -بعد ربع قرن- بحقيقة أسطورة بائدة اسمها الحب، خرجت من خبيثتها واستقرت في قلبه، تأمل عينها، ليست عيونًا، بل حياة رحبة فسيحة تشع بالحب والسحر، وأجواء لذة عميقة تطيح به إلى ذرى أحلام مضمخة بصوت ينساب شهدًا مصفى.. رجعوني عنيك لأيامي اللي راحوا، تغريه بعينها، بصوتها، تشويه بسحرها على نار هادئة، وتهيم به عبر مجرتها السخية الساخنة تحركه كما تشاء، مع صوتها العذب، يا له نعيش، في عيون الليل، لثم جسدها الساخن، وردد معها: ونقول للشمس.. تعالى تعالى، بعد سنة، مش قبل سنة، دي ليلة حب حلوة، خاضت به المغامرة، وهو العمر إيه غير ليلة.. ما أجملها!

(بنت يا أماني أحلى من الحلال مفيش) الله يرحمك يا أمي.

(لكن إوعي تنسي الدرس: لا أمان للزمان أو الرجال).

أشارت لها بسبابتها..

وحياتك يا بنت أمي دعيني الآن، لست رائقًا لك.

امتدت ليالي الحب، حتى صار عزت على شفا حفرة من الجنون، وضحك بملء

فيه.. ههه.. الله يخيبك يا حامد يا ابن عمي، أخذت صابونة يا مغفل، نوال

عروسة بلاستك يا أهبل، أما أميرة فنسخة أصلية من النساء، جوهرة بحقٍ وحقيق.

بعد ليلة عشق مترعة بمتعة عششت في جسده، فأعادت إليه شبابه، قالت وهي تقبّل يده:

- لأول مرة أحسّ وأذوق طعم الدنيا بجد.

تسحّبت وخطت نحو الحمام، قالت وهي تشدّ الروب على كتفها:

- أخذ حمامًا، ونصف ساعة، يكون أحلى فطار لأحلى حبيب جاهزًا، واستعد لأحلى مفاجأة.

- أنتظر مفاجأتك على نار، لا تتأخري.

- تأمرني.

تابعها حتى خرجت، وتذكّر مرجان الخادم العجوز، فلوى شفّتيه تقزّزًا، وانتبه شغفه بالمفاجأة، حرّضته نفسه الأمانة بالانتباه.. احذري يا عزت البنت داهية، انتبه، ههه... تأخذك بحر المانش، تعبّره هي، وأنا أغرق فيه.

فجأة حاصرته مخاوف شتى، فهتف يقينه المسحور: ولكنني أحبها..

خرجت بروب شفاف، مسرّبة بمسك أنوثتها.. استقبلها، وقفز وراءها إلى

المطبخ، فقالت معترضة:

- لو سمحت، لا أسمح لزوجي بدخول المطبخ.

- أنا جوعان.

- أنت سي السيد.

اختطف قبلة، فأشهرت سكينًا، وقالت:

- أنت الليلة أخذت حقك وزيادة، تفضل على السفارة.
- حاضر.

وقف عند الباب وعقله يردد.. احذري يا عزت البنت داهية، ولكنك مسحورٌ بها، أحببتُها، فكن حذرًا، تابعها بعينين متحفزتين، حتى وضعت الأطباق على السفارة، وقال:

- كنت أتمنى نسافر العزبة، نقضي بعض الوقت، قبل الشغل الجدّ، لكن.

تابعت وجهه منتظرة توقعات لا تسر، غمغمت:

- لكن ماذا؟

- عزبة الفيوم، باسم نوال.

كمنت غرائزها كأظفار حادة، ورسمت دهشة مباغته..

بنت يا أماني. واضح أن شغل اللؤم بدأ، ناقص يقول لي إنه كاتب لها قمصانه وبنطلوناته.

قلت لك!

ولا يهملك، أنا صاحبة له، والله لو قال لي إنه كاتب لها فانلاته وبوكسراته، أقوله.. ارم لها كل حاجة، وتعال لي وأنت (بلبوص) يا حبيبي.

هههه... يخرب بيتك، أنت أحببتِه يا مخبولة؟!

آه..

قشرت له تفاحة، وقالت:

- نشترى عزبة بدلًا منها، أو قرية سياحية.

غمغم، وهو يلتم نصف التفاحة:

- إن شاء الله.

لاذ بالصمت للحظة، وتابع ابتسامتها الهادئة، وقال:

- اجهزي لـ.

قاطعته محذرة:

- لا يا عزت، أنا تعبانة، ومحتاجة أدخل الأوضة، وأنام وحدي. فاهم.

داعب خدها، وقال:

- اجهزي للشغل الجديد، أسبوع وتسلمي منصبك كعضو منتدب في بنك

.GP

أوشكت أن تسقط أرضًا، دمعت عيناها وقفزت على فخذه وطوقت عنقه

بيديها، وقالت:

- بجد؟!!

وشملته بامتنان حار، وقالت:

- وأنا عندي لك مفاجأة.

داعبها بأصابعه، وغمغم في أذنيها:

- أنت أكبر، وأحلى مفاجأة في حياتي.

اقتربت منه أكثر، وهمست:

- لم تأتِ العادة في موعدها، ومر شهران.

برقت عيناها، وغممرت وجهها ابتساما ساحرة، وأومات برأسها في لذة صافية،

وقالت:

- نعم!

رفعها بين يديه، ودار بها وصاح عاليًا:

- أحببناك.

ضحكت، وهي تتعلق به، وقالت:

- شرط من الأول.

- كل كلامك أوامر.

- لو البيبي ولد نُسميه عزت.

لمعت جوهرة الثمينة بإحساس فائق، ولم تعد فرصة لظنونه السوداء، وردد

مفعماً بهيام أسر:

- يا اه يا أميرة!! تحبيني لهذه الدرجة؟

.....

سبقها إلى مقر الشركة، أخرج الموبايل..

- حامد.

-

-

-

** **

حامد سليم

هام بزوجته، أراد أن يعوّض فرصهما الضائعة في الحب والحياة، يقبض على الزمن، ليقتنص كل سعادة عابرة، تسلل إلى أعماقها، منح أنوثتها التي أوشكت على النضوب متعتها الخاصة، مع توالي أيام العشق، تبدت له عبر ملامحها فتاته الصغيرة التي كانت، وكأن السنين تلاشت مثل سحابة صيف عابرة.. نوال أحبك، تغمرها ابتسامة عذبة، لم تتحاش النظر إلى عينيه، التي تثير أنوثتها، تدفقت مياه الحياة في جسدها، فعاد إلى نضارته، لم تحسب أنها تعيش لذة وجودها بعد موات سريري، همست:

- أحبك.

وكانه يعاتبها:

- لم أحب امرأة غيرك.

تطلعت بذات النظرة الأولى على ملامحه، ثم استقرت برأسها على صدره، داعبته، وقالت:

- حامد..

- هه.

- تفتكر.. أخطأنا في حق أنفسنا؟

داعب خصلات شعرها، ولامس أذنيها بشفتيه، وقال:

- حانت الفرصة لنصح الخطأ.

قبلته، وقالت:

- أنا قلقة على حسين قوي.

- لماذا؟

- علاقته بنانسي، وحتى مؤسسة جرت رشنس، شغلها حاجة بالنسبة لي لا أفهمها.

- ولا أنا، لكن ممكن تكون واجهة لغسيل أموال حيتان ضخمة، مالتى ترليونات، لذلك أفكر في فك الشراكة مع عزت.

-

.....

بعد غفوة سريعة، وصله الرنين..

- ألوه..

قفز صوت عزت مثل طائر جارح، وقال:

- يكفي إلى هذا الحد، نشوف شغلنا بقى.

ضحك مستهيناً، وقال:

- همهم... أنا في انتظارك مليت، ال... الأميرة أخذتك من الشغل، والمكتب،

وأصحابك، والدنيا كلها.

- ما هي آخر أخبار الشركة الألمانية؟

- أنتظر تعليماتك.

ضاق ذرعاً بحامد الذي -حسبه- غرّر به لسنوات، وقال:

- أنا مستعد أمضي لك كانسل فورم.

أثرت فيه نبرة غريمه اللدود الهادئة، فكانت فرصته:

- أسهمي في الشركة، والمصانع، ونسبتي في المعارض، ترجع لي.

رغم ما حدث يشعر عزت بحاجة غريمه إلى جواره، قال في هدوء:

- حقك، أنا مشغول في جرت رشنس، وبفكر أتنازل لك عن الأسهم، تدير شركتنا، وتكون مسئوليتك أنت وماجد.

ثم استدرك مؤكداً:

- الشغل شغل يا حامد، نهدأ ونفرغ أنفسنا، ونتقابل في أقرب فرصة.
مع السلامة..

** **

هاني جلال الشناوي

طوال فترة النقاهة، لم يبرح الفيلا، اقترب من أخيه الأكبر، لازمه مثل ظلّه، حكى له حكايات كثيرة.. تعرف يا سامح أنا نفسي موت أكتب رواية عن ماما، وعنك، عنا كلنا، فيقول له مشجعاً.. ابدأ من الآن.. أكتب، اليوم فرصة قد لا توجد غداً، يتجاوز شعوره بالمرارة، وسحابة أسى على وجهه، ويسأله.. خطر لي عنوان.. تيارات بحر الشمال، ههه... يضحك سامح مشجعاً.. دع لي هذا الموضوع.. يشتركان في الضحك، يتلاشى الضحك، ويقول.. لولا مشكلة الدين، كنت طلعت رحلة بحرية في مركب ملكي ألف العالم وأكمل رسالة الدكتوراه عن الأحوال الجوّ مائية، لكن لازم يبقى حد مع ماما، مستحيل نسيها لوحدها.

صباح اليوم وجده يهبط السلم متخليًا عن عكازه، بكى، واحتضنه، هاني الجميل، ما زال في عيني قمرًا في تمامه، أحتضنه بين عينيّ، يااه.. كبر قبل الأوان، صار رجلاً يا جلال.

هاني.. طفلي الحبيب داعبت شعره، وسويت خصلاته، وقبلته.. تناول في سرعة قطعة بسكويت، وودعنا إلى المجلة.

بعد نصف ساعة، وجدها في انتظاره، قالت له.. أحبك يا هاني، لن أتخلي عنك، لكن لن يكون حبي مبرراً لأنانيتي.. اليوم تمر مشاعرنا باختبار صعب، لهفتي إليك تملأني بهاجس، وخوف أن تضيع مني، تعرف أنا وسط انفعالاتي تأكد لي أن الحب هو الحلّ، حل مشاكلنا، ومشاكل العالم كله، هو القادر على إنهاء الحروب، والفقر، والمجاعات، حتى المرض.

عبرت السيارة كوبري الجامعة، وقال:

- فلسفة جديدة.

- الذي لا يعرف لا يحب، والذي لا يحب لا يفهم، والذي لا يفهم يلغي

نفسه ورصيده ووجوده من الحياة.

وصلا كافيته على قمة برج القاهرة، جلسا إلى المائدة، قُدمت لهما القهوة،

سألها:

- خلاص ما رأيك نشترك في تحقيق صحفي جديد عن الإنسان "بعد

سيطرة المادة وتشيو الإنسان -تحويله لشيء- وتسليعه -بات سلعة- هل

للحب مكان في عالم أكلته المادة"؟

تطلعت إلى وجهه في حب، وقالت:

- يا حبيبي الحبّ موجود، أنا وأنت بلغة علماء الاجتماع نموذج حالة مثالي

للحبّ.

قبض على كفيها المهياً له، وهو يحتضنها بعينيه، صممت ثم سألته:

- أنت تحبني يا هاني؟

ضغط على كفيها، وقال:

- هههه... أقول الجد؟

ضربت على يديه مشاكسة، وقالت:

- نهارك مش فايت، تقول الجد؟!

برقتا عينا الطفل في وجهه، وغشته ابتسامة حلوة، وقال:

- كان نفسي لا أقابلك ولا أحبك.

لوت شفيتها، فتبدى له جمالها عميقاً.. فاتناً، وقالت معاتبة:

- من أولها تندم!
- لا أنكر.. أنا حاولت أتخلص من حيي لك، حتى لا أكون عقبه، وشفنت في عينيك رغبة التضحية بحبنا من أجل لنا.
- مستها سحابة قلقه، وقالت:
- لنا. مُصرّة تقعد لوحدها.
- داهمته راحة فتنهد، وقال:
- نبدأ اليوم، نطبق نموذج الحالة.
- قبلت يده، وشاركته رغبته:
- Of course موافقة.
- موافقة نطبق نظرية علماء الاجتماع؟
- لا. نظرية علماء الحبّ.
- نتزوج قبل ما نكتب كلمة واحدة في تحقيق الحبّ وسنينه.
- خرج الشارع، وهو يفتح باب سيارته، أخرج الموبايل:
- أيوه يا ماما.
- قررنا أنا ولبنى نتزوج اليوم.
- تنهدت في غيظ، وقلت:
- هو الزواج لعب عيال يا ابني؟!
- واصل في تأكيد:
- خائف لو تأجل زواجنا ليوم، لساعة واحدة، ممكن...
- انفجرت بالضحك، وقالت:

- يا هاني نصبر كل هذا الوقت، وتتزوج هكذا؟!
- وكيف نتزوج إذن؟! كل ما حددنا موعدًا تأتي مشكلة؛ فنلغي كل ما اتفقنا عليه.

ربتت على خده، وهو ينطلق بالعربة، وقالت:

- أعدك، أول ما لنا تدخل المدرسة وتتشغل بالمذاكرة، نتزوج ونعمل فرحًا كبيرًا، أنا بجد نفسي أفرح من قلبي.

** **

سامح الشناوي

يقين استقر في قلبه بأنه عصيٌّ على الكسر، فطوال حياته، خاض ماراثون طويلاً شاقاً، ضد الألم واليأس، في مسيرته المتلاطمة، لم يخش جبلَ جليد صلباً، أو جزيرة مرجانية تنتظره لتقطع الطريق أمام رحلته، حتى النوات المجنونة.. الهائجة، وهي ترتفع كالجبال وسط محيط يتأهب لابتلاع مركبه، لم يخشها، لم يخش أي شيء، وكان فلسفة حياته، الموت بعيد لم يأت بعد، الآن في غمرة مأساته، في لحظة غرق في كلمته الفارقة.. "أنتِ طالق".. سقطت روحه، وتبدد هذا اليقين، فلم يعد الموت خروج الروح، بل كسرهما. اليوم عليه أن يعيد صياغة فلسفته، الحياة أو الموت، أو يبعثرها من نافذة عقله، لعله يفيق من حبه -ضلاله القديم- أو يجد في اليأس ما يرمم بعض عظامه، ويعيد لروحه.. روحها.

مثلي طحن نفسه في الشغل، لعله يبرأ من مأساته، بعد شهرين تلاشت الآلام، وتخلص من عكازيه.. تابعته، وغشيت قلبي فرحةً مشوبة بقلق، وكان جرثومته -القلق- استقرت في قراري، تابعته وهو يستमित ليمحق من روحه حبّ عمره فدعوت له، دخل مكتي بعد جولته الطويلة على عنابر الإنتاج، فرأيت نشوى، لم يطاوعني قلبي لأدعو عليها.

يا رب أعطني القوة.

جلس قبالي، وقال:

- مصنع "مسطرد" بحاجة إلى تجديد شامل.

- عندك حق.

- أفكر في سحب قرض -جاري مدين- من البنك الزراعي، ونستورد خط إنتاج يشتغل بتكنولوجيا جديدة، تناسب خطة التصدير.
 - صحيح، لكن الموضوع في حاجة إلى مبلغ كبير.
- قال في حماس:

- ماجد يعرض على جرت رشنس سحب قرض.
 - حاصرته بابتسامة تفاؤل؛ لأحميه من خلية يأس نائمة، وقلت:
 - أنا أعرف أن لهم بنكا استثماريا، ممكن تتكلم مع ماجد.
 - استمر في حماسه:
 - تكلمت معه بالفعل، وسيعرض الطلب على حسين رأفت.
 - تمام.
 - هو كان نفسه يأتي المصنع، يطمئن، لكنه مشغول بحمل فيفي.
 - ربنا يتمم لها على خير.
 - أنا يلزمني سائق مخصوص؛ لأن ألام الظهر ممكن تعمل مشكلة.
- قلت في لهفة:

- ألف سلامة يا حبيبي، حاضر.
- انتصب واقفاً، وقال:

- أكمل شغلي مع عماد.
- مع السلامة.

تابعته وهو يخطو نحو الباب، مادًا ساقيه، بدا كما كان، وكما كنت، حيث يليق بك، وبى، وكأنه أراد أن يضمّد روحنا المكسورة، ينتشلها من أوار محيطه المسجور، لا تزال يا حبيبي حيًّا.. حيًّا، تمنيت أن أجري نحوك، أحتضنك، و...

.....

حبيبي..

اليوم أنظر إليك، أجد نفسي، فجأة، يغشاني سؤال نفسي إليك...

هل تشعر بي؟!

فغممتني رائحة جرثومة القلق المستقرة في قرار القلب، وكأن مشاعري الهاربة قد صهرتها التعويذة اللعينة، ونثرتها رائحة، انقضت رنينًا..
جاء صوت سمير أبو غالي عبر الهاتف مشحونًا برنته:

- باركي لي.

- خير؟

- اليوم ركب خط الإنتاج الجديد، أحدث صيحة في شغل الملابس الجاهزة، وخطة التصدير للبرندات العالمية، ويونيفورم لمضيفات خمس شركات الطيران.

- مبروك.

- لا.. مبروك كدا في التليفون؟ لا، لازم نتقابل.

طاردتني صورته، وهو يقول:

- خطة شراكة بيننا لا تتم بالتليفون.

يصرُّ على حصاري، يراودني على السقوط، وأنا أخشى جرح كرامة امرأة، تطحنها المشاكل، ويضغط نصف قرن على كبريائها.

واصل كلماته:

- سيكون لنا حصة معقولة للتصدير.

-

-

** **

شريف السامع

كم ذا يكابد عاشقٌ ويلاقي في حبِّ مصرٍ كثيرةَ العشاق
إني لأحملُ في هواكِ صبايةً يا مصرُ قد خرجت عن الأطواق⁷

محمود السامع، الدكتور.. الشاعر، ردد مقولته الأثرية.. ولى زمن الأنبياء، وبدأ زمن الشعراء، في بدايات دخوله معترك السياسة، انضم إلى حزب يساري، لمعت في عقله شعاراته البراقة، عن رسالة العدل، وحقوق الفقراء والعمال المهضومين، والفلاحين.. ملح الأرض، آمن بأفكاره، مضت السنوات، وظلت الشعارات البراقة، لم يطفئها سؤاله المنقوع في مرارة.. لماذا انتصر الأعداء، والانتهازيون، وكونوا فريقًا للنهب المنظم، من سنّ قوانين، وإقامة شركات لحرق كل الفرص، وغلق الأبواب أمام أي إصلاح حقيقي؟ وكأن الفساد في بلادنا ناموس كوني، وشراً لا بد منه. حضر ندوات واحتفت به وجوه بارزة. في مظاهرات 18 و19 يناير سنة 1977، خرج من الجامعة مع أصدقائه هتف معهم بشعاراته وأبيات شعره ضد السادات، والقيسوني وحكومته، في لحظات حمّ قضاء كالطوفان، عمّ البلاد في ساعات قليلة، كانت لحظة فريدة، سجلها في قصائد عدة، وجد نفسه محشوراً، مزهواً وسط الزحام بقوة عاتية، حتى انطلقت طلقة عمياء، أسقطت صديقاً له في عزّ الظهر، بكى، ولعن الجميع، والشاب يلفظ أنفاسه، حزن عليه، وكتب عنه قصيدة بين مراثيه التي لم ينشرها.

⁷ شعر حافظ إبراهيم

عندما نزل الجيش لضبط الأمن، قبض عليه، وقضى أسبوعاً في قسم قصر النيل، ظلت التجربة السوداء عالقة في ذاكرته، وفي ذاكرة ابنه شريف، ودوماً يتحدث عن بطولات أبيه، ويردد أشعاره، وعندما تفرض المقارنة نفسها، يقول في تأثر بالغ: بابا-الله يرحمه- كان حاجة ثانية.

.....

اصطحب شريف السامع نشوى عبر كريدور، توقف وتطلع إلى وجهها، ومع ابتسامته الدائمة، كان يبدي تعاطفاً مع ظروفها، شعر بما تكابده من آلام، قبض على أكرة الباب، وقال:

- مكتبك قريب من مكتي.

فتحه وأشار لها بالدخول، واستدرك:

- كل ما تطلبينه تجدينه.

غمرها امتنان خاص، وغمغمت:

- أشكرك قوي يا دكتور شريف.

جالت بعينها في المكان، خطت نحو المكتب الفاخر تحسسته، وأطلت من نافذة حيث أشجار باسقة.

ضغطت آلام عصية على ابتسامته، ورددت:

- هذا كثير يا دكتور.

أضاءت ابتسامته وجهه، وقال:

- أنا أحاول أخرجك من مود التجربة المؤلمة.

رفت برموشها، وقالت:

- شكراً.

همس بصوت حان، رقيق:

- لكن عبورك من الأزمة يتوقف عليك.

قاومت الآلام العصيَّة، وغمغمت:

- أنا أحاول.

وصلت طرقات خافتة على الباب المفتوح، ودخلت ماهي سكرتيرته:

- سوري يا دكتور، دكتور رؤوف صفوان ينتظر في مكتبك.

أوماً برأسه، وأشار:

- ماهي سكرتيرتي، وتدير كل شغلي، هنا وفي مستشفى السامع.

- أهلاً وسهلاً.

- بعد إذنك.

- تفضل.

خرج شريف وتبعته، استقرت شاخصة للحظة، غشيها انتباه فظ غليظ، رأته سامح- يلاحقها، صورة دموعه تسقط فوق خدها فتشعر بمعاناته، تلتفت فتجده في انتظارها، تهجم عليها كلُّ الآلام تكبلها، جلست الى المكتب، أغمضت عينها تمننت أن تتلاشى، ويغيب وعيها لتستريح، فرأته أمامها، يااااه!!! كم اشتقت إليك، وحشتني بجدّ، والله العظيم وحشتني يا سامح، مشتاقة لك، ترنمت تغني: مشتاجة لك، العيون اللي انرسم فيها خيالك، والحنين اللي سرى بروحي وجالك، ما هو بس أنا حبيبي.. كل شي حُولي يذكرني بشي، حتى صوتي وضحكتي لك فيها شي، لو تغيب الدني عمرك ما تغيب..

* **

- دكتور رؤوف صفوان، كاد ينفجر، ولكنه تمالك أعصابه في اللحظات الأخيرة،
قابله شريف بابتسامته الدائمة:
- خيرا يا دكتور رؤوف؟
- لوح رؤوف بملف في يده، وقال:
- أنت قرأت تقرير المهندس جمال عن كابلات الكهرباء الخاص بقسم الأشعة؟
- تناول منه الملف، وقال وهو يفرّ صفحاته:
- قراءة سريعة.
- علت حدة الصوت، وسأله:
- ما رأيك يا دكتور؟
- تلاشت الابتسامة الملازمة، وقال شريف:
- أقول لك قرأته قراءة سريعة، ولم أكوّن رأياً.
- تواصلت الحدة، وقال رؤوف بصوت عال:
- أنا من واجبي المهني والإنساني، أقول لك: هذه الكابلات لن تتحمل التيار الكهربائي لأنها ليست بالمواصفات الفنية المطلوبة، ولو تم تركيبها سيكون خطأ كبيراً.
- اعتصم شريف بالهدوء، وقال:
- دكتور رؤوف... المهندس جمال مبتدئ، اطمئن وأعدك بأن أكلف مهندساً غيره عنده خبرة.
- علت نبرة صوت رؤوف، وقال بلمحة تهديد:

- ولو التقرير قال نفس الكلام، فأنا بصفتي رئيس قسم الأشعة لن أوافق على تركيب الكابلات، بعد إذنك!

** **

ليلى أبو زيد

صخرة القلب، صمدت أمام كل محاولات كسرهما، ولكنها الآن قاب استسلام
لمطاردة لم تتهياً لها، وفي ظروف عصية على المقاومة، طاردتني صورته، ما أشبهها
بك، تلازمني سمرته الرائقة فوق رغوة القهوة البنية التي أدمنتها، أحببت حبه
للحياة، أردت أن أبادله تمرده على الزوال، والفناء، والهزيمة، تمنيت أن يمتلئ
قلبي مثله سعادة، ولذة صافية، أتناول رشفة زالت مرارتها، مستسلمة لمشاعر
حلوة، وهو يشعل سيجارة، ثقت عينيه بنظرة، حسبت أنني سأتخلص بها من
التعويذة اللعينة.

دخلت رانيا، قدمت لي ملف:

- ملف الهالك.. الأسطبات، وناتج الفرز، سواقط الغزل.

سألته:

- أخبار مزاد البيع؟

- كتبته وبكرة ينزل في الجرائد.

- تفضلي أنت؟

خرجت وأنا أراجع الأوراق ووصلني رنين الهاتف:

- نعم؟

جاء صوتها مشوباً بفاجعة، فانتفض قلبي:

- فيه إيه يا خلود؟!

- سااا... مح بيه..

- حصل لسامح حاجة؟ تكلمي يا بنتي!

-

ألقى على رأسي حجرًا فشجّه نصفين، هرولتُ إلى مكتبه وجدتهً محمولًا، صرخ

قلبي: سامح!!

وبينما احتضنت وجهه بين كفيّ، فتح عينيه في صعوبة، وقال:

- خير يا ماما؟

ساعده عماد على الوقوف، وهو يردد:

- الحمد لله.

تحاملت، وأنا أسألهم:

- ما الذي حصل؟

التفت نحو خلود المنهارة، ربت عليها وهي تردد:

- فتحت باب مكتبه، لقيته واقعًا على الأرض، صرخت، وأغمى عليّ.

قال لها سامح مبتسمًا:

- حاجة بسيطة، أجهدت نفسي في الشغل.

خطوتُ بصحبته، وقلت:

- تعال لازم تُعرض على دكتور.

وأشرت لعماد:

- انتبه للشغل حتى أرجع.

** **

-18-

حسين رأفت

خريج كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، أشاع أنّ تاريخ عائلته الإقطاعية العريق، حال دون تعيينه في الخارجية، حجة بائدة لم يصدقها أحدٌ، وكُشف الغطاء عن الحقيقة، عندما اتهم بعلاقته بجماعة اتُّهمت بقتل بعض السياح الإسرائيليين أمام فندق شبرد في أوائل التسعينيات، وأكدت التحريات انضمامه للجماعة التي تحارب التطبيع بالسلاح والاغتيالات، هرب قبل القبض عليه إلى فرنسا في جوف سفينة شحن، هناك عمل في أحد البنوك، حتى أصبح في وقت قياسي خبيراً بنكيّاً "Banker" درس البيزنس في أكاديمية للاستشارات المالية، وتأمين الودائع والاستثمارات، جمع ثروة طائلة، كفيّلة بأن يشبع منها حتى التخمّة، استقال وكوّن شركة للإدارة المالية، كان تغيُّره مائة وثمانين درجة، واستهانته بالعرف، والدين، لطمّة لأخته نوال.

بعد زواجها بشهر، زارته فضحك ضحكة استفزتها، فقالت غاضبة:

- أراك مبسوطاً قوي!

واصل ضحكته، وقال:

- تتزوجين ذيل عزت سليم؟!

قالت وهي تتفحصه بنظرة هازئة:

- وتفرق معك؟!

- Sure.

- الذيل أعيش معه حياتي بحق وحقيق، قبله كنت ميتة.

رمقها بعينيه، وبدت على ملامحه قناعة كاذبة، وقال:

- OK العشق مذاهب.

جلست قبالته على فوتيل، ووضعت حقيبتها الثمينة على المائدة، وقالت:

- قل لي يا حسين: صحيح كان لك علاقة بجريمة قتل الإسرائيليين عند الفندق؟

تغيّر لون عينيه، وقال:

- لِمَ تفتحين هذا الملف؟

- لا، ولا حاجة لكن التحوّل من رجل مناضل، هههه... يحارب الصهاينة، لرجل آخر يغرق لشوشته معهم في البيزنس، والله وحده أعلم ما خفي بينكم؟!!

أمعن بنظرة نفاذة في وجهها بعينيه الملونتين، وقال:

- نوال.. كل مرحلة لها ظروفها، وأفكارها.

ثم أشاح عنها فرأى وجهه في المرآة، تأمل صورته للحظة، والتفت هرباً إلى شقيقته.

قالت نوال:

- حسين. أنا محتاجة أشتغل.

- أوووو!!

- يكفي سنوات من الحبس، وكتم النفس.

صبّ كأساً وقال متعجباً:

- تشتغلين؟! بدون خبرة، بدون مؤهلات؟!!

- أحتاجك معي لبعض الوقت.
- احتواها بنظرة، وهو يشرب من الكأس سألهما:
- هاتي من الأخر يا نوال، ما الموضوع؟
- قررت فتح سنتر...
- أوما برأسه وقال مشجعاً:
- جيم.. ومساج، جميل لكن هذا أيضاً يحتاج إلى خبرة.
- الأول أفهم الموضوع، السنتر سيكون في مؤسسة جرت رشنس.
- أبدى حيرته، وسألهما:
- سنتر ماذا بالضبط؟!
- أدوات تجميل، مشغولات جلدية، أنتيكات.
- والمطلوب مني؟
- أنت الكل في الكل في المؤسسة، ومطلوب تخلص لي موافقة.
- تناول كأساً أخرى، وقال:
- موافق.

** **

سامح الشناوي

طاردتني أم عميقة، وخفقت صخرة القلب آلاف المرات، وأنا أقود سيارتي إلى المستشفى، ناوشتني صورته فتذكرته، تمنيت أن أكون مثله، أحب الحياة، أتمرد على الزوال والفناء مثله، فلا سبيل إلا هذا لأجتاز التحدي الضخم الذي يجابني. توقفت السيارة وهبطنا أمام البوابة الرئيسية للمستشفى، صعدنا وعبرنا كريدور في الدور الثاني إلى قسم العظام، تعلقت بذراع سامح، وقلت له لأهون الأمر:

- بإذن الله حاجة بسيطة.

- إن شاء الله يا ماما.

تحدثت مع الدكتور شريف السامح، عبر الهاتف، فقال:

- أنا في انتظاركم.

واستدركت حديثي معاتبه:

- كان المفروض، ألا تضغط على نفسك في الشغل، عملياتك الجراحية

حساسة، ومحتاجة راحة.

توقف فجأة، وتوثبت عيناه، وكأن ملامحه طحنتها صلصلة عالية.. مدوية، نثرت عاصفة مفاجئة في وجهه، فألقت به فوق قارة بعيدة، التفتُ فرأيتها، وهي تخرج من غرفة ترتدي البالطو الأبيض، تخطو نحونا، تحركت النظرات الخاطفة بيننا، جيئة وذهاباً آلاف المرات، مع دوامة إحساس فائق بمأساة المصادفات، التي تجرح، وتمين، وتقتل أحياناً.

اندفعت نشوى نحونا، وقالت في لهفة:

- ماما؟

التفتت إلى سامح:

- سامح، فيه حاجة؟

نشوى! يااااه!!! ابنتي التي لم أقدر على انتزاع حبيها من قلبي، رغم كل ما حدث.
نظرت إلى سامح، يا إلهي! كم يكابد هذا المسكين من آلام؟
قال لها:

- متابعة دورية مع الدكتور شريف.

حدجته بنظرة فاحصة، وكأنما انتهت لوقوفه منتصبًا على قدميه، فغشيت
وجهها فرحة، وقالت:

- ألف سلامة، حاجة بسيطة إن شاء الله.

تابعتها بعينيّ وكأنني أبحث عن نشوى.. ابنتي، عن القبس الذي خبا، عن الحب -
الشيء الثمين في قلبها- الذي يضيء معدن الروح، احتوتها نظرتي هل ما زال
موجودًا أم تلاشى؟

أقبل نحونا دكتور شريف:

- أهلاً وسهلاً. تفضلوا معي.

سرنا معًا إلى غرفة الكشف.

لم يستغرق الفحص ثلاث دقائق، وقال شريف:

- لا داعي للقلق، ما حصل حاجة طبيعية.

قال سامح، وهو يزرر قميصه:

- أحيانًا أشعر بألم في ظهري.

تناول الدكتور دفتره، وهو يكتب بعض الأدوية، قال:

- كوكتيل عملياتك صعب تخرج منه واقفًا على قدميك، ما حدث لك معجزة بكل المقاييس.
- ناولني الروشته، وقال:
- تابع بالمسكّنات وقت اللزوم.
- قال سامح:
- قبل الإغماء أحسست بألم فظيع.
- باختصار يا قبطان سامح، الخلايا لها ذاكرة، من أن لآخر تسترجع الحادثة والامها.
- خرجنا، راح يتمشى ببطء، لحظة وجاء صوتها:
- سامح.
- لحقت بنا، وسألت في لهفة:
- دكتور شريف قال لكم إيه؟
- أشاح سامح بوجهه، فقلت:
- مضاعفات العمليات، لكن لا بأس، خير.
- غمغمت وقد تعلقت عيناها بوجه سامح:
- إن شاء الله.
- قلت لها:
- مع السلامة.

في الطريق إلى الفيلا تابعته في المرآة، كان لا يزال غارقاً في دوامة المصادفة، فور وصولنا، قلت له:

- من الضروري أن ترتاح يا سامح.

- راحتي أجدها في الشغل.

وأنا أصرطحبه إلى التراس، قلت له:

- راحة أسبوع على الأقل.

اضطجع على مقعده، وقال:

- كفاية يوم، لازم أكمل مع عماد، والمهندسين.

قلت له:

- استرح أنت.

خرجت من التراس، ورنّ الموبايل، كالعادة قفزت صورته على الشاشة، ضغط على الشاشة:

- أيوه يا سمير؟

- أنا بعد يومين مسافر بور سعيد، وممكن أغيب لأسبوع، أتابع مراحل الشغل من البداية.

- ربنا معاك.

- ضروري نتفق على الشراكة قبل السفر، لو نقدر نتقابل الليلة يكون أفضل.

قبع القلب في تضاعيف حيرة مُرّة، خشيت من تصدّع صخرته، نعم تمنيت أن أكون مثله، أحب الحياة، وأتمرد على الزوال والفناء، لأجابه التحدي، وأنا في

الطريق إليه طاردني السؤال...؟ يا له من سؤال! لم أستطع بسبب كبريائي أن أبوح به، أو أسقط حروفه على لساني.

جلست قبالتة، تأملت ملامحه العذبة، ثمة شيء فيه قد تغير، ذبلت ابتسامته العصيّة على الذوبان، وبدا مكفهرًا، سألته:

- ما لك؟

- شاهنדה امرأتي تركت البيت أمس، وهي مُصرّة على الطلاق.

عقصت أصابعي، واتكأت على المائدة، وقلت:

- سمير، أنا فعلاً معجبة بك.

تهللت ملامحه المكفهرة، وقال بلهجة من انتصر:

- أخيراً...

- ليس إعجاب امرأة برجل!

صُدم، مسد بسبابتها خدّه، وتساءل:

- لا أفهم!

ليفهم، قبضتُ على عقلي، كنت أقاوم القوة التي تملكيت قيادي نحو ما لا أريد، في هذه اللحظة الفارقة كنت ألاحق ملامحه، ولا أسمع صوته الرخيم يصفر في أذني، شعرت بموجة عالية، تدفعني نحو وضع نهاية لانزلاقي، نحو ما حسبته إهانة لوضعي كأم، ولنصف قرن من الحياة النقية، امتلكت القوة على مقاومته، وذبح أشباح الغواية اللعينة أمامه، والآن.

قلت:

- يعجبني فيك: إقبالك على الحياة، حماسك، تصالحك مع الدنيا، ذكاءك.. لكن أنا لا يوجد عندي فرصة لأفكر في شيء خارج مشكلتي، دين بملايين، سُدد منه قسط واحد، وأولادي كل شيء في حياتي.
- لكن...

واصلتُ حديثي لأقاطعه:

- أتمنى أن نكمل الشراكة على هذا الأساس.

تراجعتُ ابتسامته تمامًا؛ فتكدرت سمرته الرائقة، وقال:

- ليلى هانم، فهمتني غلط.

- أتمنى.

عزيزي ذبل الشباب، نضبت نضارته، وتساقطت أوراق العمر، استدركت وأنا أتأهب للانصراف:

- ابني سامح هو من سيتفق معك على الشغل الجديد.

انصرفت، وأنا أقود سيارتي تنفست الصعداء بعمق..

.....

** **

خلود حسن مؤمن

تلاحقه بنظرة عامرة.. مفعمة بإحساس رحيم، "خلود حسن مؤمن" أصغر شقيقات ثلاث، عقب وفاة الأب، رهنّت الأم الشابة "25 سنة" حياتها لتربيتهم، حلت مكانه في المحل الكائن وسط شارع خاتم المرسلين بالهرم، لبيع قطع غيار السيارات اليابانية، توثبت موهبة خلود في الرسم منذ طفولتها، حتى شغلت كل وقتها بالألوان والصور، كانت تنظر لكل الأشياء حولها كلوحة فنية، الشوارع المكتظة بالسيارات، والعابرين، والبنائيات، واجهات المحلات، الشرفات، أشجار الفيكس، السريجة، المتسولين، سجلت كل ما رأتها بأقلام الفحم والباستيل في اسكتشات سريعة، حصلت على الفنون التطبيقية، وعملت في أتيليه وسط البلد، لبيع البورترميات والتحف، صاحبه فنان سوداني عجوز، قبل عملها في مصانع الشناوي.

بعد أسبوع طرقت الباب ودخلت:

- صباح الخير.

أشار لها سامح-المشغول بحاسوبه- بالدخول، خطت نحو مكتبه:

- بعد إذن حضرتك.

قدّمت له ملفاً.

- تفضل فايلات شغل تم في إجازتك، تحتاج أن تراجعها.

- O kay.

وضع الملف أمامه، وقال:

- تفضلي اقعدي.

جلست:

- تحت أمرك.

تأملها لبرهة، وقال:

- فيه مسائل فنية تحتاج وقتًا لأفهمها.

- تحت أمرك في أي شيء.

- دراستي بعيدة عن الشغل هنا خالص.

غرّد وجهها بابتسامة عذبة، وقالت:

- أيوه حضرتك كنت قبطانًا.

خجلت وتلاشت ابتسامتها، واستدركت:

- قصدي أعني ما زلت قبطانًا.

كل ما جذبها لها في لحظتهما الأولى نظرتها المغسولة بالشجن، ودمعة ناعمة بين

رموش سوداء حانية، قال قاطعًا الصمت:

- ومسجل دكتوراه في علوم البحار، لكن شغلتي عنها الظروف.

قالت في حماس:

- أي ظروف تمر، وترجع للبحر وتكمل الدكتوراه.

- ربنا يسمع منك.

وقف وأشار لها بالبقاء على مقعدها، واستدرك:

- أنا فكرت أنك تبقى معي هنا في المكتب.

وقفت ورففت برموشها، وقالت:

- تحت أمرك، لكن لا أفهم..

جلس قبالتها، وأشار لها بالجلوس:

- ممكن عملي سكرتيرة لي.

جلست وعاودها الحماس، وقالت:

- لا تهم المسميات، المهم أشتغل شغلاً أحبه، وفي مكان أحبه.

جذبه الشجن، والدمعة الناعمة، والرموش السوداء، وهي تقول له:

- شرف لي أن أشتغل سكرتيرة لحضرتك.

مسحها بنظرة، وتسرب إلى روحه اطمئنان، وقال في امتنان:

- أشكرك على روحك الجميلة، ما رأيك نبدأ من اليوم؟

واصلت حماسها:

- أبدأ من اللحظة.

وقف وقال لها:

- تعالي إذن لتري مكتبك.

اصطحبها إلى باب جانبي، دخلا، جالت بعينها في أنحاء المكتب، وقالت مهورة:

- ياااه!! مكتب واسع قوي، في مساحة شقتنا.

ابتسم، فاستدركت، وهي تطرق بكفها سطح المكتب:

- أنا لا أحسد، أمسك الخشب.

تأمل عيونها السوداء كالليل، واتسعت ابتسامته:

- مستحيل هذه العيون الجميلة تحسد.

شم لها خجل، فصدح الوجه بأنوثة هادئة، وقالت:

- شكرًا.

- المكتب منذ اللحظة ملكك، نظميه بمعرفتك.
- أنا عموماً أشوف الجمال في البساطة، يكفي هذا المكتب، مكتبة صغيرة، وكمبيوتر، وكام لوحة كدا، لكن أهم حاجة عندي الشغل.
- تأملها في راحة، وقال:
- أتحيين الشغل جداً؟!!
- المهندسة.. مدام ليلي زرعت هذا الحب داخلنا، النشاط والإصرار.
- واستدركت أسفة:
- والظروف وحكاية الديون، لما عرفتها تعاطفت مع ليلي هانم، ومعك بسبب الحادثة، ولما لقيتك في المكتب مغمى عليك، تأثرت لدرجة أن أغمى عليّ ولم أشعر بشيء.
- غيرت من لهجتها، وقالت:
- تسمح لي أبدأ مهام وظيفتي سكرتيرة لحضرتك؟
- تفضلي.. بعد إذنك.
- تفضل.
- وخطا إلى مكتبه، دارت في المكان مبهورة، جلست على مقعدها الفاخر، ثم تذكرته مُلقًى على الأرض، فشملها سكون.

.....

دخل مكتبه فوجدها في انتظاره:

- ماما.

- صباح الخير.

- خير؟

رمقته معاتبه، وقالت:

- تعجلت وجئت المصنع!

قال وقد تهلل وجهه:

- الشغل يا ست الكل هو علاجي الأكيد.

جلست قبالتة، وقالت:

- مزاد الهبو والهالك والأسطبات ونتاج الفرز وسواقط الغزل شغال في

مخزن خمسة، وتقدم له أكثر من عشرين واحد، ممكن تنتقل إلى هناك

الآن؟

- فوراً.

خرجنا معاً، هبطنا السلم المعدني، وقلت:

- فيه خطة التصدير، ملفها أرسلته بالواتس على رقمك، بعد المزاد

راجعها ثم نتكلم فيها.

هتف في حماس:

- ممكن نبدأ بالدول العربية: الخليج والسعودية، الأردن.

وواصل في حماس أكبر:

- وعملت اتصالاً فعلاً بكم مكتب استيراد وتخليص، وهم على استعداد

للعمل معنا في بور توفيق وسفاجا..

- فعلاً 80% من التجارة في العالم بالنقل البحري.

اقتربنا من عنبر 5:

- قرأت "عبارة الكارجو" في الدراسة، لم أفهمها.
- الكارجو عبارات شحن صغيرة.
- تمام.

وقفت على باب مخزن 5، وقلت:

- بكرة تتفق مع مصانع أبو غالي وتمضي اتفاقاً على نظام شراكة سيأخذ ما يحتاجه، ولما نعمل اسمًا لإنتاجنا نبدأ فتح ملف التصدير.
- تركته وعدت إلى مكتي.

** **

-19-

نشوى الشناوي

قلب جريح، حاولت أن تنفض عنه عبق الأحلام الجميلة، تهرب من ذكرياتها، تنزع منه حب عمرها، ولساعات طويلة استقرت بروحها عتمة سوداء، وتسلى إلى قلبها خوف، غامت تفاصيل الكثير من الأحداث، وكأنها فقدت الذاكرة، أو أسقطتها لتهرب منه ومن نفسها، ومن الحقيقة، أن لها أن تهرب، فوجدت نفسها وسط حريق أسود انقض عليها بأنيابه، بعد أسبوع نهشتها آلام بكل لون ثقيل..

كئيب، اصطحبها شريف إلى مكتبه، وقال بعد تردد:

- نشوى أ.. أنا..

- خير يا دكتور شريف؟

- ممكن تبقى شريكتي.

نبش في قلبها الخوف، تطلعت إلى وجهه متسائلة، فقال:

- أنا محتاجك معي.

ظلت نظرتها مستقرة على ملامحه، كان مبتسمًا، ردّت بابتسامة واهنة، فانتابها شعور أثم، نعم أنا آثمة، فلا يحق لي أن ابتسم لغيرك، وليس من حقي أن أرى رجلاً غيرك... حبيبي سامح لا تصدق أنني من الممكن أن أحبّ غيرك، أو أرى غيرك، حبيبي...

واصل حديثه، وهي شاخصة في وجهه، تسفعا ضوضاء، وتسقط روحها في حفر، ومطبات حتى تسقط في بئر عميق.

أفاقت على صوته، يكرر النداء:

- نشوى.. نشوى.

ردت بصوت واهن:

- نعم.

شمّلها بعينيه الرائقتين، وقال وهو يقاوم خجله:

- ما رأيك نكون مع بعض لا يفرقنا شيء؟

وكأنها لفظت أنفاسها:

- لست أفهم!

مد يده ليمسك كفها، فسحبها في حدة، فقال:

- نتزوج.

وقفت فأشار لها:

- اقعدي، واهدي.

دار حول مكتبه، وقال:

- أنا أعرف ظروفك، وصدقيني أنا مقدر مشاعرك، والجرح الكبير بسبب

ما حصل، لكن هذا نصيب ليس لك يد فيه، وأنا لن أضغط عليك،

خذي وقتك وفكري.

نكست رأسها للحظة، وكأنها تخشى عينيه، أن لها أن تهرب من كل شيء، ثم

رفعت وجهها، وقالت:

- ممكن أخذ إجازة.

- قوي.

اصطحبها إلى الباب، وقال:

- فكري، وصدقيني لو وصلت لقرار، سيسهل عليك تجاوز هذه التجربة الأليمة.

فتح الباب..

- تفضلي.

همّت بالخروج، ولكنها توقفت وواجهته، واجهت عينيه.. وابتسامته العذبة، وسألته:

- ولماذا أنا؟

- لا أفهم!!

لم تسقط عينها عنه، كانت لحظة قوتها الفارقة، تأملت عينيه للحظة، رآته قريباً منها، ربما عرفته منذ زمن، قالت:

- أنت طبيب ناجح، مدير مستشفى، ومن عائلة معروفة، وأي واحدة تتمناك، لكن لماذا أنا بالذات؟

برقت عيناه، فزادت وسامته، وقال:

- باختصار، لأنني أحبك..

شعرت بالإهانة، وبأنه تعدى حدوده معها، كيف يقول لامرأة تحب.. أنا أحبك؟! هل حسب هذا الدكتور بأنه سينفض عن قلبها الجريح غبار الأحلام الجميلة، سينزع ذكرياتها وحب عمرها؟ ويضيء روحها المعتمة؟!

كم أنت واهم أيها الدكتور!

خطت في الكريدور إلى مكتبها، وسالت دموعها.. صعب يا نشوى أن تنسي حب عمرك، قلبي سيظل بعيداً بجرحه، أنت أخذته مني حتى لا أحب غيرك.

سامح اغفر لي.

** **

فيفي عزت سليم

مرّ شهران وهي في سريرها مستسلمة لأوامر الأطباء، هي التي لم تعتد أن تقيّد حركتها، وكأنّ اللعب والسهرة ماضيًا طوته الأيام، ولم يبق من آثار عبثها القديم شيء، غزلت شرنقة من العزلة الجبرية حول نفسها، كانت تلتزم الصمت، حتى تنتاياها كأبة طائرة، فلم يجر على خيالها أن يحدث انفصال بين أبويها، وتخلو الفيلا عليها، لولا خوفها على وليدها القادم، وشغفها بزوجها لجنت.

خرج ماجد من الحمام، وقال:

- يا فيفي يا حبيبتي، زعلك غلط على الحمل، وكلها شهران ويشرف ولي العهد.

- دعني وشأني؟

- لم لا تحتملين كلمة مني؟!

- أنا لم أعد أتحمل نفسي أساسًا.

قال في هدوء رغم غضبه:

- أمك وأبوك، ولا على بالهما.

مسد شعرها وقال:

- فيفي لازم ننتبه، وخصوصًا لأميرة.

قالت في غيظ:

- أستاذة في صيد العواجيز، وقدرت تعمل له غسيل مخ.

ورمقته في عتاب خفيّ:

- أنت ممكن أي واحدة تلعب في دماغك: (يا مأمنه للرجال يا مأمنه للميّه في الغربال).

ابتسم وقال:

- حبيبتي أي غربال؟

سألته:

- ما معنى غربال؟

- هههه... أنا أسألك.

تهدت، وسألته:

- والعمل مع خطافة الرجال؟

- المشكلة الكبيرة في حامد سليم.

غمغمت متقززة:

- زوج الهانم!

- حامد سليم اشترى 55% من المصنع وهو الآن رسمي فهمي عدلي نظمي،

الكل في الكل.

- لا أفهم حاجة!

- أمك بدأت تنتقم من أبيك بطريقة شيك.

استشعرت فيفي خطرًا، فتساءلت:

- ماما لها يد في أن أنكل حامد يحط يده على المصنع؟

- لا تحتاج أينشتين ليفكر فيها.

صاحت:

- أينشتين له في هذه الحوارات؟!

ربت ماجد على خدها، وقال:

- أبوك، بنت عبد ربه أوقعته في القفص الذهبي، وأمك عينت أنكل حامد

رئيس أركان الحرب على زوجها، ولن تتركه حتى يركع أمامها.

قبلها وقال ناصحًا:

- لا تنشغلي بأي حاجة حتى تلدي، ساعتها تكون عقد كثيرة قد حُلَّت.

وصل رنين الموبايل، انتحى جانبًا وهو يحدثني:

- نعم يا ماما، سامح كلمني، عرضت ملف القرض على البنك، وللأسف

مسئولة الائتمان الجديدة مدام أميرة عبد ربه رفضت، حاضر أزوركم

في أقرب وقت، ظروف حمل فيني، والمشاكل والشغل... حاضر.. حاضر،

في أقرب وقت أزوركم، لحظة يا ماما.

قبّل ماجد زوجته، وقال لها:

- ابقى في السرير، اطلبي من مرجان أي حاجة تحتاجينها يحضرها لك.

- مع السلامة.

قبّلها وخرج، وعاد للمكالمة وهو يهبط السلم:

- فيه ورقة مهمة وجدتها في أوراق عزت سليم.

- أي ورقة؟

انتبه على دخول نوال وهي تنادي:

- مرجان.

قال لي بصوت خافت:

- أكلمك بعدين.

أغلق الهاتف، وأسرع إلى حماته مرحبًا:

- أهلاً يا نوال هانم، كويس قوي فيفي تحتاج أحداً معها.

- طالعة لها.

أسرع بالانصراف، وهو يقود سيارته عاود الاتصال بي، سألته:

- أي ورقة؟

- توكيل من أبي لسرحان، وتأكدت من الشهر العقاري أنه توكيل سارٍ لم

يُبلغ.

أضياء ظلام كثيف أمام عيني، وبدا قبو الأسرار أمامي مشرعًا على مصراعيه،

ألقيت بصخرة القلب نحوه، قلت لماجد:

- ضروري تقابلني.

واستدركت محذرة:

- لا أحد يعرف بهذا الموضوع.

** **

استقرت فيفي هادئة، ناوشتها الأفكار لدقائق حتى طُرق الباب، ودخلت نوال

ببهاء جديد، وعطر أنثوي مثير، احتوتها ابنتها بنظرة عميقة.

جلست قبالتها على فوتيل، وقالت:

- إزيك يا فيفي.

حملت بعينها في وجهها المورد بجمال ناصع، ثم جالت بعينها حتى استقرت على السقف، ربتت الأم على كفها، وقالت:

- زعانة؟! بكرة تهدئي، وتعرفي، وتقديري.

غمغت وهي ترصد مكياج العروس.

واضح أنها كانت ليلة حمراء فوشيا يا عروسة.

سألتهما:

- خير يا ماما؟!

- كنت أحتاجك معي في مشروع.

بضحكة ساخرة، مختنقة.

همهم... مشروع!

- كفاية مشروع أنكل حامد.

لوت نوال شفتها الرقيقتين، وقالت:

- عارفة أنا لن أسلم من لسانك الحادّ، أنا جئت لأطمئن على حملك،

وأعرض عليك المشروع.

صاحت فيفي ساخرة:

- ألم تعرفي يا ماما؟! أنا متزوجة.

وقفت الأم غاضبة، وقالت:

- من غير سخرية، أنا جهزت "سنتر" لبيع مصنوعات جلدية، وحقائب

وأحذية وجاكيتات، وملابس حريمي، ورجالي، كله مستورد، ومشغولات

فضية وساعات في مقر جرت رشنس.

هتفت فيفي:

- يا بخت من كان الوزير خاله.

واستدركت في مرارة ساخرة:

- بنت عبد ربه تترقى من بائعة في معرض لمديرة في بنك، وأنتِ.. نوال هانم

بنت عبد الغني ابن رأفت باشا.. تشتغل بائعة حقائب وأحذية.

ابتلعت نوال السخرية، وقالت:

- ممكن تشرفيني في حفلة افتتاح السنتر.

لوت شفتمها، وقالت:

- ماجد مانعني من الخروج، الظاهر فيه عرق صعيدي.

- ربنا يخليكم لبعض.

وهي تتأهب للانصراف، سألتها:

- ما أخبار الحمل معك؟

انتابها قلق، وقالت:

- كان يرفس بطني، ويوقظني من أحلاها نومة، لكنه ساكت له أسبوع،

يمكن صعبت عليه. ربنت الأم على كتفها، وقالت:

- ربنا يكمل لك على خير.

سلام..

** **

شريف السامع

بعد عودة نشوى من إجازتها استقبلها في حفاوة، حاصرها بنظرات حانية، أراد أن يشغل كل وقتها، لينتشلها من أحزانها، ويفك عنها حصار حبه لسامع، ساعدها في تسجيل الدراسات العليا، كشف لها عن ثراء شخصيته، حبه لعمله، وولعه بها، قال لها.. سأعترف لك بسر...

انتاب قلبها القلق وهي تكابد معاناة لتسترد أنفاس الحياة مع...!
مع نفسها.

خائفة يكون وراءك أسرار كثيرة.

شملمها بعينيه، وغمرها بنظرة حانية.

أنا قررت أن تكون بيننا حكاية.

حكاية!

حكاية حب.

لمس قلبها الجريح، لمس الأحلام الجميلة، نثر ماءً باردًا على أوراق ذكرياتها الحارة، لكن ظلت باردة، وظلت روحها معتمة!
سامح... اغفر لي.

قال شريف وهو يتأهب لدخول مكتبه:

- قلت خذي وقتك، وأنا لا أتعجل القرار.

ضربت القلب عاصفة من صمت، ما لبث أن تحوّل إلى أصوات هزيلة، أضاء قبس واهن في آخر البئر.

فجأة انقض صوت رؤوف صفوان الخشن:

- نفذت ما أردته يا دكتور؛ وكانت النتيجة ماس حرق الكابلات بعد يومين من تركيبها، حرق كل حاجة، ضاعت أجهزة بملايين.
انقشعت الالبتسامة، وانقضّ على وجهه هم ثقيل، وغمغم:
- مستحيل.

- تقرير المهندس جمال، قال هذا بالحرف، وأنت سخرت منه؟
أشار لنشوى:

- تفضلي أنتِ يا دكتورة.

خطت إلى مكتبها، تتلاطم أفكارها حتى وصلت، جلست مسترخية، أغمضت عينها، تذكرته تحسسته - وهو يضمها مستسلمة بين يديه.. يقبلها.. يعبث بأنحاءها، تشعر بانفعالات مهيبه تشمل جسدها الغض، وأصابعها تقبض عليه فتجده خامدًا كأنبوب فارغ، فتطيح بها خيبة أمل.
تنقض العواقب الممزوجة بحسرة تخترق كيائها، غمغمت..
سامح... اغفر لي.

.....

حانت نظرة كسيفة، نحو رؤوف الذي يتهمه بالخداع، والكذب.

قال شريف بوجه حزين:

- كنت أريد أن يتمّ الشغل ولا نضيع وقتًا.

أشاح رؤوف بيده في غلظة، وقال:

- أثق أنك متأكد من صدق كل كلمة وردت في التقرير الفني.

كادت تنفجر أعصابه، وهو يتلقى اتهامًا مباشرًا بارتكاب جريمة:

- أنت تتهمني؟!!

غمرت وجه رؤوف سخرية مرة، وقال:

- نعم أتهمك، وأحمّلك المسؤولية كاملة.

اضطجع شريف على مقعده، وقال:

- أنت تتحمل المسؤولية بصفتك رئيس القسم، وسوف أرفع الأمر

للتحقيق معك.

وصلت المأساة إلى ذروتها، فقال رؤوف متحدياً:

- وأنا جاهز يا دكتور للتحقيق، وسأقول كل حاجة، وأتهمك بتركيب

الكابلات غير المطابقة للمواصفات وقت إجازتي، بهدف إحراق الأجهزة،

والإعلان عن مناقصة لشراء أجهزة ثانية، وعمولات وإكراميات، وهلم

جرّاً..

أشهر سبابته في وجه شريف، وقال:

- لكن لن أسمح بهذه المهزلة أن تستمر، وسأصل بالموضوع للنيابة

الإدارية.. للوزارة.

استعاد شريف هدوءه، وربت على كتف زميل دفعته، وقال:

- التصعيد ليس حلاً، لو صعّدت المشكلة أنت ستدفع الثمن، ممكن لو

حكّمت عقلك نلم الموضوع.

.....

بعد يومين قابلت نشوى شريف وقت "البريك"، وقالت له:

- أنا موافقة.

تهللت أساريرها، أضاءت ابتسامته الحلوة وجهه، وقال:

- موافقة نتزوج؟

- نعم.

أمسك بكفها، شعرت بها باردة، شملتها رعشة، انسابت من قلبها البارد، الساقط في جوف حيرة لا قرار له، وكأنها دُفعت دفعًا نحو مجهول، شملت وجهه الناعم كماء عذب أرادت الهروب منه.. من نفسها، من حيرتها التي ليس لها قرار، سحبت كفها، وقالت:

- لكن الرأي الأول والأخير لأهلي.

-

-

** **

خلود حسن

خطا في أنحاء المكتب الفسيح، دار مهوِّراً، تأمل أصص زهر البانسيه وعصفور الجنة والقرنفل والفل، ونباتات الظل الخضراء، مسحت عيناه الجدران، تطلع إلى اللوحات المعلقة، حتى استقر واقفاً أمام صورة لطفلين على شاطئ البحر، فغشيت أذنيه أصوات تلاطم الأمواج، والنوَّات وهي ترتفع كالجبال، حضره عنوان روايته التي لم تكتب بعد "تيارات بحر الشمال" وهي إلى جواره تتأمله بعيونها ورموشها السوداء، ونظرتها الرحيمة، قال لها:

- أنتِ عملتِ لي أحلى مفاجأة.

أشارت له:

- المفاجأة الحقيقية، هنا.. تفضل.

رفعت غلاف سلوفان عن لوحة، وأفسحت له مجالاً ليرى صورته ببدلة البحر، وحوله سماء وسحب وطيور ناصعة البياض، سرته المفاجأة فخفق قلبه البائس بفرحة خافتة، تأمل خلود بنظرة حانية، وسألها:

- متى رسمتها؟

- سهرت عليها طول الليل.

تطلع إلى صورته، وتساءل:

- تخيلتني ببدلة البحر؟!

حملت فيه، فبدت كطفلة مشاكسة، وقالت:

- أنا أراك ببدلة البحر كل الوقت.

استقرت عيناه على وجهها الصغير، وكأنهما تبحثان عن طفلة، تمنى أن تكون
طفلته، ابتسم:

- لكن صورتني في خيالك، غير الحقيقة خالص.

نثر قلبها أريجها العذب، وقالت:

- الحقيقة أجمل بكثير قوي.

اتسعت ابتسامته، فواصل أريجها العذب في إصرار:

- واضح أنك لا تعرف أنك أجمل رجل في العالم.

تحولت الابتسامة إلى ضحكة عالية، وقال:

- هه... أنتِ الأجل.

لوّحت بكفها، ثم ربّنت على صدرها، وقالت:

- الله يجبر بخاطرك يا باشا.

- لك مكافأة لو نفذت نفس الديكور الجميل في مكنتي.

قالت في حماس:

- تحت أمرك، من اللحظة أنا مستعدة.

تأملها، وسرى صمت عذب بينهما، وسألها:

- أنتِ على طول لا تضيعين وقتاً؟

- الفكرة جاهزة، يبقى غلط أضيع وقتاً.

- وفي البيت نفس الوضع؟

- لا أعرف، لكن أكيد.

غمرته لحظة إحساس عامر بحياة لامست قلبه، حاول القبض عليها، ولكنها تلاشت، سألتها:

- قولي لي، أنا لا أعرف شيئاً عنك.

سوّت بأصابعها عنقود وردة حمراء، ثم قطفتها، قدمته له، وقالت:

- تفضل.

تناولها، ثم سألته:

- تحت أمرك ماذا تريد أن تعرف؟

تأمل وجهها، وكأنه يبحث عن شيء يفتقده، وقال:

- ما حكايتك؟

- حكاية غاية في البساطة، غير حكايتك الحافلة بالدراما.

- عندك حق.

- للأمانة عيني عليك من أول ما جئت، وخصوصاً لما عرفت بحكاية

الحادثة.. و...

سكتت وتوارت بعينها، وبنظرها الرحيمة العامرة بالحنان، وغمغمت:

- آسفة.

- آسفة لماذا؟ أكلمي.

- موقف خطيبتك.. إصرارها على فك الخطبة بعد الحادثة.

صارت لهجتها حادة وهي تقول:

- لكن أكيد لم تكن تحبك.

توارت بنظرها الرحيمة ثانية، وقالت:

- أنا آسفة للمرة الثانية.

شعرت بالآلمه العميقة التي بعثتها كلماتها من مرقدھا، وخفقت صخرة قلبه:

- بالعكس أنا واثق أنها تحبني جدًّا، لكن حبها أصبح ماضيًّا.. انتهى،
وأحاول أن أبدأ من جديد.

رددت:

- أنا آسفة..

غشيته ابتسامة حانية، وقال مداعبًا:

- اعتدتِ التأسف كثيرًا؟!

- لما أتدخل فيما لا يخصني.

- كلميني عنك.. الأسرة: الأب والأم. أخواتك؟

- بابا توفي من زمان وأنا طفلة، كانت ماما عندها 25 سنة ورفضت كل

عروض الزواج المغربية، أختي نبيلة الكبيرة تزوجت من الدكتور عادل

شوقي وهاجرت كندا، وفريدة متزوجة من تاجر كبير عنده سلسلة

محلات موبيليا، في الهرم و6 أكتوبر، هذه الأسرة التي أتشرف بأني واحدة

منها.

- أنتِ مخطوبة؟

خطت نحو مكتبها، وقالت:

- كانت تجربة، وفشلت بجدارة والحمد لله.

جلست ثم استدركت معاتبه:

- تسمح لي أبدأ أمارس مهام عملي.

OK -

** **

ليلى أبو زيد

حبيبي جلال.. صباح الخير.

أشعر بالرضا رغم كل شيء، أشعر برضا الله، ورضاك عني، فلا تقلق أبدًا، منذ أسبوع نهضت من نومي، وهبطت إلى الهول وأنا أتحدث إلى ماجد في الموبايل، قال:

- ... مسئولة الائتمان الجديدة مدام أميرة عبد ربه في بنك GP رفضت طلب القرض، حاضر أزوركم في أقرب وقت، ظروف حمل فيفي، والمشاكل والشغل.

سبحان الله مقسم الحظوظ والأرزاق، أميرة بنت عامل البلدية، انتقلت بها الحياة إلى ما لم يخطر لأحد على بال، ولكنها تستحق. قلت لسامح.. لن ألجأ إلى الاقتراض مهما كانت الظروف، أطرق مفكرًا للحظة، وقال:

- طلبات مصانع أبو غالي كثيرة وتفي بالغرض، لكن يجب ألا نعتمد عليها فقط.

تناولت قهوتي، وقلت له:

- أعتمد عليك في هذا الموضوع، أنت على موعد مع سمير أبو غالي، لتوقيع عقد شراكة.

واستدركت:

- ماجد سيزورنا في المصنع، ومعه التوكيل.

قال متفكرًا:

- ممكن يكون هذا التوكيل هو طرف الخيط الذي سيحل اللغز.
في هذا اليوم، زاره سمير في مكتبه:
- تفضل العقد راجعه، واتفق على التفاصيل وأي نقط خلاف، ثم نوقعه.
يقيناً كان يبحث بعينه المراوغتين عني، وتأهبت لزيارته.
تناول سامح الملف، وقال:
- تمام، الأستاذ نجيب والشئون القانونية تراجع، ونمضي عليه.
وقف سمير متأهباً، وقال:
- ممكن تشحن طلبية لبور سعيد في أقرب وقت.
- هنا سباق مع الزمن؛ لكي يبدأ خط الإنتاج الجديد.
وهو يصطحبه نحو الباب شمله بنظرة إعجاب، وقال:
- بلغ تحياتي ليلي هانم، استطاعت وسط ضغوط صعبة، وبدون سابق
خبرة، أن تخوض تجربة تحدٍّ، وتنجح.
- طريق إجباري، ولا فرصة للرجوع.
ودعه وخرج قاصداً مكنتي، فليأت لا يهم، فقد كسرت خطته لمراودتي،
وحصرته في الزاوية، ورغم تودده بالطريقة التي سئمتها، فلن أعبأ بشيء، قابلته في
الكريدر، صافحته، وأنا أتحدث إلى نشوى عبر الموبايل:
- ماما.. دكتور شريف السامع طلب يدي.
-
- وبأبا موافق.
كظمت قهراً طحنت عظامي فجأة، وقلت:

- مبارك.

نظرت إلى سمير، كنت كمن سقطت في هاوية لا قرار لها، تطلع إلى وجهي،

وسألني:

- خير يا ليلي هانم؟

قلت في مرارة:

- لا.. ولا حاجة.

أوليته ظهري، وانتحيت جانبًا، ووصلني صوتها:

- أسألك عن رأيك يا ماما؟

غمغمت:

- وفكرك ممكن أقول كلمة غير مبارك، مبارك يا نشوى.

شعرت بدموعها، غمرها حزنٌ ثقيل، وهي تقول:

- تقولينها من قلبك يا ماما؟

- نشوى...

أحسست بدموعها، وهي تقول:

- أعرف، لكن مهما حصل أنا أعتبر أن ليس لي أم غيرك، ولو رفضتِ،

سأرفض.

كظمت قهرتي، وقلت:

- استخيري ربنا، وهو يُقدّر ما فيه الخير.

التفتُ فلم أجده..

** **

-20-

مصطفى العناني

المهمة انتهت بسلام، ساعات وأكون في القاهرة، ومرت الساعات سريعاً وهبطت الطائرة.

ولبني تراه بعد عقد ونصف، مزهواً بانتصاراته في جمع ثروة طائلة، وفتوحات ضخمة في عالم المال والأعمال، قالت رسالته القصيرة: "المهمة انتهت بسلام" كل شيء، قالها ليؤكد مأساتها، مأساة قيمها العقيمة، ودورها الذي اختارته عن قناعة، ورضاء.. لبني جئت لأنقذك من هذه الشعارات المضحكة، التي ولى زمنها، المال يا عزيزتي المغفلة هو دين العصر، العقيدة الراسخة التي يؤمن بها الجميع، ولا يكفر بها إلا السفهاء، هبط عليها من طائرة فرست كلس، وهي تصارع صدف حياتها البائسة، تهجم عليها بدون رحمة، لتطيح بكل خياراتها، ها هو زوجها السابق يعود؛ لتبحث في بدائله ذاهلة، تتساءل في غيظ:

- الآن! وأنا أتأهب للزواج منك؟!

قال هاني في مرارة:

- جاء ليستعين بخبرتك في إدارة مشاريعه الإعلامية.

يزداد غيظها:

- يا هاني أنا عاجزة عن التفكير، كيف يختفي ثم يظهر، بعدما ألغيته من

حياتي.

نظر إليها طويلاً، وقال:

- مصطفى جاء بالحل السحري، ثروة ضخمة لينشئ بها مؤسسة صحفية باسمك.
- كظمت غيظها الطافح، وقالت:
- وأنا أعرف مصدر الثروة!
- رمقها بعينيه، وهي تتخبط في الحيرة، وقد استبد بها إغراء خفي، وهي تقول:
- مصطفى لو نفذ أي مشروع باسم لنا، ضروري أكون جنبها لأحميها، وأنت عارف أنها متهورة.
- انفجر غيظه، وعلت وتيرة صوته:
- أنتِ عارفة مصطفى العناني كيف جمع ثروته.. كل سنت، كل مليم فيها ملوث بالدم، والتدليس، والإتجار في البشر.
- أرجوك يا هاني..
- قاطعها أسفًا:
- لبنى لو وافقت، يكون كل ما بيننا انتهى.
- وقف محتدًا، فأمسكت بيده:
- اقعد يا هاني.. أرجوك.
- أقولها ثانية، لو وافقتِ عملي صحافة بفلوس حرام؛ لتروجي لثقافة تدجين العقل، وإخفاء الفكر، ثقافة مربوطة بقوى اقتصادية كبيرة لها أهداف خبيثة، يذهب كل منا إلى حال سبيله.
- يا حبيبي الحكاية مجرد فكرة نتناقش فيها.
- فكرة لا تخصني، فكري فيها وحدك.

وهو يتأهب للانصراف غاضبًا، اعترض طريقه:

- صباح الخير يا أستاذ هاني.

- مَنْ؟

- أنا مصطفى العناني!!

.....

** **

خلود حسن

في التفاتة سريعة وهي تنحني نحو كريدور إلى المكتب، كادت تصطدم به،
فاتسعت ابتسامتها الرائقة، وقالت:

- سوري!

شملمها بعينيه، وقال:

- صدفة؟

رفت بعينها اللامعتين، وقالت:

- صدفة والله!

- تحلفين؟

شملمتها ابتسامة عذبة، وقالت:

- والله مرة أخرى... صدفة.

سارا معًا إلى مكتبه، وسألها:

- أين كنتِ؟

- في قسم التصميم؛ أعرض عليهم بعض الأفكار.

- ممكن تعرضينها عليّ؟

هتفت في حماس:

- طبعًا. أنت الكل في الكل.

تفتح الباب عند دخولهما مكتبها، بلمسات واثقة تفرّ صفحاته:

- تفضل.

سامح يلمس الشاشة، تظهر على التوالي تشكيلات ورسومات زخرفية، أزهار بمختلف الأحجام والأشكال، فراشات.. عصافير ووجوه أطفال، قال مبهورًا:

- ياااه!!! جميلة!

- ما رأيك؟

- جميلة طبعًا!

شمّلها بعينيه، وكأنه يبحث عن شيء فُقد منه في زمن ولى ومضى، ثملاً بإحساس غامر، وموسيقى جمال خاص، همس لها:

- خلود، أنا معك أحتاج بداية جديدة.

أطلت بنظرها الرحيمة، فعبق الأجواء أريج زهرة نادرة، وقالت:

- بداية تحتاج تفكيرًا.

- وتكونين معي؟

أخفت حدسها الصادق، وقالت:

- مستعدة أفكر، وأتمنى تفكيري يعجبك.

يشعر بقشعريرة لذيذة، فريدة، تدغدغه وتخرق روحه..

حتى تمنعها لذيد... قال:

- إن مجرد الإحساس بأن فيه إنسانًا يحمل همك، أعتبره تضحية جميلة.

رفعت كفها، وقالت:

- ممكن فيتو؟

- أوكي.

- ما تقوله فهم غلط للتضحية، معنى أن أضحى، هو قدرتي على العطاء،
والعطاء هو إحساس بالسعادة.
- فجأة توثبت عيناه، التفت فرأها، مع فورة إحساس فائق بحسن الصدف،
التي تشفي جراح قلوب عصية على الاندمال.
- خلود أنا أطلب يدك!
- كادت تسقط، فجأة، نثر الحب الكامن أريج زهرته، تمتمت:
- ماذا؟ أن...
- ارتعش قلبها؛ فأعدت الروح إلى شرايينه، قال:
- لو عندك فيتو، يبقى لازم أقابل مامتك لأقنعها.
- استردت أنفاسها، وقالت في لهفة:
- في جميع الأحوال ستقابلها طبعًا.
- أعتبر هذه موافقة؟
- احتوته بعينها الحانية؛ فقال:
- ممكن أزوركم الليلة؟
- لو سمحت أعطني فرصة؛ كي أرتب للزيارة.
- أشرق وجهها بابتسامة هادئة، وودعها إلى مكتبه...

** **

مصطفى العناني

جلس قبالتها هادئاً، وواصل حديثه في أدب جمّ:

- الجيل القديم، جيلي، وجيلكم إلى حد ما، في العالم كله نفذ رصيده، أنا أتكلم عن نفسي، عشت حياتي في الصحافة من أول سنة جامعة، كلية -Mss Communication- كنت أنام على سلم النقابة لأثبت أنني صحفي، وأنا معيد في جامعة القاهرة، اشتغلت في كل الجرائد: قومية ومعارضة ومستقلة، همّه... حتى صحافة الفنانين والرياضيين، سافرت مؤتمرات، وقابلت رؤساء، وملوكاً، زرت مؤسسات الصحافة الكبرى في أمريكا، كل حاجة في الصحافة عملتها، دخلت معاقل إرهابيين من كل فكر، ومن كل دين، وأوكر عائلات المافيا، عملت تحقيقات نُشرت في أكبر الصحف في العالم، وتُرجمت لأكثر من لغة.

رفع نظارته الشمسية من فوق عينيه، واستدرك:

- مع طوفان الميديا، ضروري جيلنا يسلم الراية لجيل جديد، وأنا جئت لهذا الهدف، إنشاء مؤسسة إعلامية تواكب التطور في العالم.. رشقته لبني بنظرة، كنت أبحث عبر وجهها، عمّا يكتنفه عقلها من أفكار، وهي تشملها بعينها:

(كل هذا كذب، وخداع!

ثم نظرت نحوي...

(لا تصدق يا هاني، مصطفى جاء ليورطني معه.

لبنى قلت لك.. عندي قناعة أن جرت رشنس، يحركها ليدر واحد، له علاقة بمصطفى العناني.

لا.. إياك إن تقولي إن لنا بنتي ضمن العصابة؟

أنتِ قلتِ، مصطفى شكّل أفكار ابنته).

تأملتي أسفة:

- ضروري أكون مع لنا لأحميها، لأنها متهورة.

قال مصطفى:

- التقارب التكنولوجي، ال Convergence، دمج الوسائط الإعلامية،

والاتصالات، والحوسبة، حققت أرباحًا خيالية، أكثر من ثلاثين مليار

دولار.

مسّت بلهفتها قلبي..

(ولازم تكون معي لتحميني).

قال مصطفى في حماس:

- لازم نبدأ والآن.

تهند هاني في ضيق، في حين وقف مصطفى، وقال:

- ثنتان وعشرون دقيقة تكفي عرض المشروع، فكّرا فيه.

وقف وودعهما..

عاود هاني حديثه محتدًا:

- مهما كان حبك لبنتك، لا يوجد مبرر لأي تنازل، وقبول ما رفضته طول

عمرك.

- حبيبي كل ما يشغل فكري ابنتي.

سألها بلهجة اتهام:

- وإذا كانت حمايتك لها فيها تنازل؟

قبضت عليها الحيرة بمخالب عنيفة، وقالت مستغيثة:

- خوفي من التنازل، أحتاجك معي لتحميني وقت ضعفي.

واصل هاني في قسوة:

- أحملك من حبك لبنتك؟

تعلقت به:

- من أي شيء ممكن أن يلوث حياتي أو ضميري.

- ارفض عرض مصطفى العناني، وفكي الارتباط بين بنتك وبين عروضه

السخية.

عقدت أصابعها، وشملها التوتر، منذ يومين كان مصطفى العناني جملة عارضة في حياتها، تشعر الآن بأنه فيروس خبيث، ظنت أنها شفيت منه، اليوم تسلل إليها، وبدأ يتكاثر ويضعف مناعتها، ويملي شروطه المهينة لقناعاتها، ويطيح بكل خياراتها، ليجبرها على البحث في بدائله ذاهلة، ابنتك ومؤسسة صحفية مثل السيرك، عامر بالهلوونات، وألعاب الحواة، والدببة والخنازير، وعليّ اللعب مع الجميع، وضد الجميع، أو لا شيء.

** **

نشوى الشناوي

في صالة أفراح، بفندق نيلى، كانت الليلة عامرة بالموسيقى، والغناء، وحشد ضخم من المعازيم، لم أعرف منهم أحدًا، غير العمدة وزوجته الملعونة، وبعض أقارب العائلة، كنت أحاول أن أقتنص فرحة حقيقية، بعيدة المنال، غارقة في قلبي الحزين، حبيبي جلال، نشوى ابنتنا تتزوج، وسترحل إلى رجل آخر غير سامح، الذي أحبها، وهامت به، لكنها أقدار الله، التي أوّمن بأن كلها خير. رأيت شريف ببدلته البيضاء الفاخرة، كم هو جميل، هادئ، وديع، رقيق، أمسك يدها، وصعد بها إلى فوتيل ملكي مذهب، خطوت إليها، فتلاشت فرحتها الطارئة، ونبش الحب القابع جرحها العميق، ضممتها، وقبلتها، وقلت لها:

- ألف مبارك يا حبيبتي.

- شكرًا يا ماما.

مسحت دموعها بيدي، وذهبت.

.....

بعد الزفة طاف بها شوارع القاهرة الجديدة، غمرها بحب حقيقي مسّ قلبها، قرب الفجر أغلق عليهما باب غرفة فسيحة، سرير، وستائر حريرية، وفوتيلات، ومائدة عليها أطباق، فاكهة، ولحوم، حملها بين يديه، تعلقت به حتى استقرا على فراش أبيض، مسّد وجهها وتسملت أصابعه إلى عنقها، قبلها.. ضغط على شفيتها، فحاصرها ارتباك لم يدم لحظات، ثم استسلمت لأمواج غمرت جسدها الغض، وذابت في انفعالاته، حتى اكتسحت اللذة عواقب تجربة الليلة المريرة.

مرت ساعات النهار، ومع أصيل شمسه بدت من الشرفة صفراء مهيبه، فتحت الستائر، ونادت:

- شريف.

تمطى بجسده الفارع، وقال:

- حبيبتي، أريد أن أنام.

اقتربت من السرير، وقالت وهي تداعب خده:

- يا شريف.. المغرب سيؤذن.

أطل عليها، وبسمة مفعمة بحب أسر، مسحت على شعره، وقالت:

- أنا جوعانة جداً.

حملق فيها، وهي تسوي شعره:

- يا شريف، قم.

مسد خدها، ثم انقض عليها طوقها بين ذراعيه، حاولت مقاومته، ولكنه أحكم

طوقه، ربنت على وجهه، وقالت:

- أنت تريد أن تنام.

عبث بيده وشفتيه في أنحاء جسدها، فأشعله...

قال لها بصوت عذب:

- أنا أحببتك من أول نظرة.

- وأنا سأعمل المستحيل لأسعدك.

تأملته لبرهة، وأغمضت عينيها.

قبلها وهي في غمرة اللذة، همس لها:

- أنا عملت لك مفاجأة، أتمنى أن تعجبك.
- هههه... تعجبني.
- يومان، ونسافر اليونان؛ لنقضي شهر عسل من جديد.
- آه.. حلو..

** **

في في سليم

- آه ه ه!!

واصلت صراخها، وآلام الوضع تشعل ناراً في جسدها، تعلقت بماجد، تستغيث

به:

- ماجد.. أنا.. آه ه ه!!.. أموت.. آه ه ه!!

وهو يتحدث إليّ عبر الهاتف لألحق به في المستشفى:

- ماما.. في في تلد، تعالي لي المستشفى حالاً.

حملها وانطلق بسيارته إلى المستشفى، فحصها الدكتور، وقال للممرضة:

- أبلغ دكتور أمين؛ ليجهز العمليات.

ارتعد قلب ماجد، وسأله:

- عمليات! هي حالتها خطيرة؟

- الجنين ميت، وقد تسمم دمها.

هرعت إلى ماجد، وسألته في لهفة:

- طمئني على في في.

قال أسفاً:

- في العمليات.

انقبض قلبي، واران صمت مشوب بخوف وقلق، مرّت ساعة، ثم فتح الدكتور

الغرفة، وأطل علينا بوجه كسيف، هرع ماجد إليه:

- دكتور..

ربت على كتفه، وغمغم:

- للأسف.. أ...

أطاح به الهلع كعاصفة مجنونة، وسأله متعلقًا بأمل:

- الجنين لا يهم، المهم زوجتي.. فيفي.

قال الدكتور:

- تسمم دمها.. البقية في حياتك.

ردد مكذبًا:

- فيفي..

- شدّ حيلك.

أطاحت به طرقات الحزن العنيفة مثل مطرقة ثقيلة، وقبض على الدكتور،

هزه في عنف:

- قتلتها؟! قتلتها يا مجرم؟

ضممته إلى صدري، وأنا أردد:

- لا إله إلا الله، يا ابني.. لا إله إلا الله.

تهاوى أرضًا، اختنق صوته، تعثرت الكلمات على لسانه، خرجت فيفي على

سريرها، فهرع إليها، كشف عن وجهها الجميل الأبيض الناصع، مغمضة العينين،

لطمته صورة الموت، وهو يبحث في عينيها المغلقتين عن طوق حياة، أمي انطفأت

لمعة الطفلة البريئة، وخبث ملامحها، وتبددت ضحكاتنا العالية في سكون

الرحيل، ثم غمغم بصوت مختنق:

- فيفي!! لا اه ه ه!! يا الله، فيفي، اصحي لا تركيني، فيفي.

ضممته وهو يقبلها، ويردد:

- لا يا ماما، فيفي لم تمت.

وقت مراسم الدفن، وهم يحملونها إلى قبو مظلم أسود بارد، يا الله انخرط في البكاء وقف مستنداً إلى شقيقه سامح وهاني، وهو يصرخ بصوت عال مثل طفل، أبكانا جميعاً، كنت أبكي على كل من فقدتهم في حياتي، هبطت نوال من سيارتها منهارة متكئة على ذراع حامد، وكتف شقيقها حسين، علا نحيبها ورددت بقلب مقطوعة نياطه: حبيبتي.. يا بنتي، رمقت عزت بعين كليله، وقالت.. أنت السبب! أنت السبب، كسرت قلبها، أنا وأنت كسرنا قلبها، رُح منك لله، منك لله... وهو مثل تمثال فقد حواسه، لم يلتفت إليها، وكأنه لم يسمع، ولم ير.

.....

حبيبتي واراها التراب، وكابد ابني قسوة الفقد اللعينة، التي لم تخطر له على بال. جلال.. أرجوك كن معه، ماجد نسختك المفضلة، كان يقلدك في غيابك، يتقمص شخصيتك، يجلس إلى مكتبك، يقلب أوراقك، ويمارس سلطته، وعندما أعنفه يهددني بك:
والله لأقول لبابا.

.....

بعد أسبوع هبط السلم، حاملاً حقيبتة، كانت الأسرة على حالها في عزاء مفتوح، خطا عزت إليه، وقال معاتباً، راجياً:
- ماجد! أنت..!
- لم يعد لي مكان هنا.
كظم الرجل أوجاعه، وقال:
- أنا لا أصدق أنّ فيفي رحلت.. ماتت! لا، لا أصدق.
قالت أمها وهي تمسح دموعها:

- أحببت الحياة، ولكن الدنيا تكره من يحبها، حبيبتي لم...

كاد يغشى عليها، فربت حامد على رأسها.

- فيفي ما...

قال حسين رأفت أسفًا:

- رحلت أجمل من في العائلة!

.....

تحدث كثيرًا، فلم يسمعه، ولم يره، ثم أفاق للحظة، تأمل وجه الرجل الذي يعتد بالثراء والألقاب، وينظر إلينا من برجه العالي، وقد دمعت عيناه، وانكسر غروره، وهو يردد في مرارة: فيفي، هل راحت؟ لن تراها عيني بعد اليوم!
واختنق صوته بالدموع، واصطحب ماجد إلى التراس، قال له وهو غارق في الحزن:

- أحس أن ربنا انتقم مني في ابنتي، أحب ما في الوجود إلى قلبي.

ورمقه بنظرة حانية، واسترسل في حديثه:

- ماجد..

لم تتغير ملامح حزنه، ظلت قابضة على وجهه بكل قسوة، قال عزت:

- قضيتكم كنت على علم بها.

حانت منه التفاتة موحية، ولكنه لم يكن مهياً للتفكير في أي شيء، حزن فقد

حبيبته وزوجته، ظل راسخًا فوق كل طاقة واحتمال، وواصل عزت:

- صدقني لم يكن لي مصلحة، ولم أشارك اللصوص في سرقتهم لأبيك،

فكرت فقط في ابتزازهم، وربما لأمن شرهم.

ربت على كتفه، وقال:

- أرتب ذهني، وأفوق من الصدمة، وأتكلم معك في التفاصيل.

.....

ودعه ووصل الفيلا، وقبع في غرفته..

** **

ليلى أبو زيد

محاصرة بظروف قاهرة، اكتفيتُ بيومين كإجازة حداد، وعدت إلى مكنتي،
وجدت سامح في انتظاري، قلت له معاتبه:

- كان المفروض تكون بجوار أخيك في أزمته!
- هاني معه، هو أيضاً في ظروف صعبة، بعد رجوع طليق لبني.
- مفروض نساعدده ليخرج من هذه الصدمة في أسرع وقت.
- جبل الحزن مع الوقت يتلاشى.

سار معي إلى مكنتي، وقال:

- شحنة بور سعيد بعد ما وصلت، رجعت.
كنت في أسوأ مزاج، ولا أريد شيئاً يذكرني بسمير أبو غالي، فهو لم ييأس بعد
من مطاردتي، وبالتأكيد رجوع الشحنة حيلة مفتعلة من تدييره، قلت باقتضاب
وأنا أدخل المكتب:

- تصرف معه يا سامح.

جلس قبالي وقال:

- اتصلت به، فأبدى انزعاجه، ووعدني بحل المشكلة.

رتبت بعض الملفات على المكتب، وقلت لسامح:

- الشغل كثير جداً.

- لن أعطلك، كلمة صغيرة.

تهددت، وأنا أخرج نظارتي:

- خير؟

- ما رأيك في خلود؟

قلت معاتبه:

- في هذه الظروف غير المناسبة بالمرّة يا سامح، ثم...

قاطعني، وقال:

- فكرت قبل وفاة زوجة ماجد المفاجئة.

تنهشني مخاوف مجهولة.. لقيطة، تحفر في القلب والعقل جروحًا، بتُّ أخشى من الفرح، حتى ظننت أنها أمست أملًا بعيدًا.. مستحيلًا، قلت:

- سامح لظروف الحادثة وآثارها، المفروض أن تعرض نفسك على دكتور متخصص.

ابتسم، وقال:

- حصل، وطمأنني.

ووقف، وظلت ابتسامته عالقة على وجهه، وقال:

- والمثل يقول.. الإنسان طيب نفسه، الحمد لله يا ماما، كرامتي لا تقبل أن أهذل بنات الناس.

السلام عليكم..

خرج سامح..

أردت أن أقتنص لحظة سعادة تعيني على الصمود، سعادة ظلت خيالاتها تراود قلبي، لم تبرح مكانها، ثم لا شيء.

أفقت على الرنين، ترددت في الرد، ثم فتحت الهاتف:

- نعم!

جاء صوته ثقيلًا:

- اتصل لأعزيك يا ليلي هانم، لم أعرف إلا منذ ساعة.
- شكرًا، مع السلامة.
- أسرعتُ بغلاقُ الهاتف.

** **

ماجد الشناوي

طوّقه الحزن بحزام ناسف، جلس حزينًا مكتئبًا، خيم عليه صمتٌ قاتل، لعن نفسه، وكل أفكاره القديمة عن الحب، والصفقات، والأموال، تبًا لكم جميعًا، ألا تعرفونه؟ تعالوا انظروا هنا في قلبي، حب فيني هنا في قلبي، حبّ لا مثيل له، حب لا وجود له إلا هنا. يا لقسوتك أيها الموت!

موتك يا حبيبتي أطاح بعقلي.. نعم يا أمي أحببتها بجنون، وها أنا أشرف عليه لأهرب من العالم المسكون باللصوص والأفاقيين، وكارهي الحب، تعرفين عندما قفزت من مركبكم المشرف على الغرق، سقطتُ في محيط قاسٍ.. عنيف، اختطف مني حبيبتي، فيني.. صدقيني لم أحب، ولن أتزوج غيرك، لأنه لا يوجد غيرك، لا يوجد في العالم من النساء مثلك.

دخل هاني وجلس قبالتة.

- ماجد.

وكأنه هطل عليه من السماء، نظر نحوه لبرهة، ولم يرد.

قال هاني:

- أنت أقوى من الصدمة، أعرف أن فيني الله يرحمها، كانت زوجة نادرة،

أحبتك وأحببتها، لكنه قضاء الله.

انتفض ماجد، وقال:

- كان القضاء حمّ عليّ، وأخذني أنا.

- أستغفر الله العظيم.

طُفئت نظرتة بدموع غزيرة، وواصل بصوت يقطعه الألم:

- فيفي لا تستحق أن تموت.
- أستغفر الله العظيم، أجلها يا ماجد.
- صرخ، وهو يطوّح بقبضته في الهواء:
- أنا السبب، تزوجتها حملت، مات الحمل في بطنها، سممها، وماتت.. ماتت.. آه ه ه!!
- نكس رأسه بين ركبتيه، وانتفض بالبكاء، وهو يردد:
- أنا القاتل.. أنا قتلتها!!
- شاركه أخوه البكاء، وربت على ظهره، وقال:
- أدع لها بالرحمة.
- مسح أنفه، وقال:
- ما يعذبني أنني لم أقل لها أحبك إلا مرات قليلة، لم يسعفني الوقت أن أقول لها مليون مرة.. أحبك، وهي تستحق أكثر من مليون أحبك، كنت أعرف أنها تحبني بجنون، فاكر مرة قلت لها أحبك موت، رفعت أصبعها، وقالت: لماذا سيرة الموت، قل أحبك حياة، أحبك حياتي.
- ناوله هاني منديلاً، وقال:
- تعرف أنت ممكن تسعدها، وتعوضها.. صلِّ وادعُ لها، اطلب من ربنا يجمعكما في الجنة.

.....

** **

نشوى الشناوي

سألوني الناس عنك يا حبيبي
كتبوا المكاتيب وأخذها الهوى

امتألت برحيق الحب، ولكن ظل قلبها فارغاً من قبسه، من إلهامه الخفي،
تشعر به باردًا.. مريضًا، وكأن لا شفاء له، لتدعه مريضًا، متوعكًا، ليقينها بأن
علاجه ليس معها، وليس مع زوجها الوسيم، الذي تراهن قناعاتها العصية بأنه
عوضها عما فقدت، وهو يصطحبها إلى مطعم لبناني، يقدم مع وجبات شهية من
الأسمك والجمبري، حُبًا وموسيقى، وأغنيات فيروز.. سألوني الناس عنك يا
حبيبي، وشريف يحدثها في حب، يتابعها بعينيه الجميلتين في وِلِهٍ وعشق، لا
يفارقها بنظراته، تود أن تهرب منه لحظات، ولكنه يحاصرها، تجلس قبالتة إلى
مائدة تطل على شاطئ، وسفينة بعيدة تعبر البحر، تذكرته.. تردد صوته في أذنيها:

- نشوى.. لو ذهبت ولم أعد، تزوجي رجلًا يحبك مثلي!

ترفع قبضتها، وتضرب صدره:

- وقدرت تقولها يا سامح "إخص عليك"!

ظل حبا له عالقًا أمامها كقلب ذبيح، تتوق إلى الخلاص منه، ولكنها لم تجرؤ على
دفنه، كانت أمامه: ضعيفة، خائفة، تسفعها عقدة ذنب ضخمة، لقد خنتِ
الحب، خنتِ قلبًا أحبك، لكن ما أبشع أن تعيش حياة باردة، خاوية من حب، وبلا
رجل.

بيعزّ عليّ غني يا حبيبي لا أول

مرة ما بنكون سوا

.....

وضعت أطباق الأسماك أمامهما، تأملته وهو يأكل ويتحدث عن مشروعاته، وأحلامه في حماس، حملها مرغمة على جناحين، وعرج بها إلى سماء بعيدة، عن عقدها، والذبيحة المعلقة..

- أحلم بأن أحقق حلم الدكتور محمود السامع، أحول المستوصف الخيري لمستشفى استثماري، وفعلاً كلفت مكتب خبرة يشتغل على دراسة الجدوى، قبل السفر.

- ربنا يوفقك.

قال وهو يضع قطعة سمك في فمها:

- يوفقنا، أنا وأنت، على فكرة أنا بدأت أدبر جزءاً من التمويل اللازم، ومحتاج إليك معي.

- طبعاً معك.

مال بجذعه، وهمس في وجهها:

- لو تقدرين على إقناع العمدة؛ لتساهمي معي بأي مبلغ!

ضحكت ملء فمها، وقالت:

- بابا لا يفهم إلا في الزراعة.

واصل شريف حماسه:

- استثمار الزراعة بطيء، لكن المستشفى استثمار سريع زبائنها كثير،

المرضى موجودون كل دقيقة.

مسح فمه بمنديل، وقال:

- لن أوافق على مشاركة غيرك، أسبوع ونسافر مصر، اقعدى مع أبىك
حاولى أن تقنعىه.

.....

مرت أيام اليونان مترعة بشهد مصفى، وبعد يومين من رجوعها للمستشفى،
وفور انتهائها من جولة روتينية على المرضى، قطع طريقها دكتور رؤوف قبل
دخولها المكتب، وقال لها غاضبًا متحفظًا:

- يرضيك يا دكتورة؟!!

- خير يا دكتور رؤوف؟

- أنا عارف أن دكتور شريف يُخفى عنك ما يحدث هنا.

- أنا مشغولة بالماجستير، والمسائل الإدارية ليس لي بها أي علاقة.

ارتفعت وتيرة صوته، وهو يقول:

- مناقصة أجهزة الأشعة الجديدة، فيه ضغوط على اللجنة لتختار شركة
بعينها.

لم تعد تحتل هذا الرجل، الذي يصم الجميع بالخيانة، وعدم الأمانة، ليوهم
نفسه بأنه صفحة بيضاء. ناصعة، ويرمي بتهمة جزافًا دون دليل، رمقته نشوى في
غيظ، وقالت غاضبة:

- ضغوط؟!!

أخرج الرجل من جيبه ورقه، ناولها إياها، وواصل بلهجته الحادة:

- تفضلي.. توصية قُدمت للجنة المشتريات، وبصفتي رئيس قسم الأشعة

تدعي موافقتي على عرض الشركة المحظوظة، وعليها توقيع باسمي، هذا

التوقيع مزور يا دكتورة.

- مَنْ زوّره؟!

- هو فورمة غير واضحة، لكن بصفتي رئيس قسم الأشعة المفروض أن

يكون توقيعي!

لم تعد تحتمل، قالت في نفاذ صبر:

- وما المطلوب مني يا دكتور رؤوف؟

كانت غيرته من شريف تقطر كراهية مقبلة، هما خريجا سنة واحدة، وغاظه أن يكون منافس دفعته رئيسًا عليه، فامتلاً قلبه بالحق، واستمر في خلق المشاكل.

تناول الورقة في خشونة من يدها، وقال:

- بلغيه أن إجراءات المناقصة تتم بشكل طبيعي من غير ضغوط، ولا

توصيات، أو أبلغ النيابة وأطعن بالتزوير في توقيعي.. بعد إذناك.

.....

في المساء، قالت لزوجها:

- رؤوف وجع رأسي اليوم.

ترى زوجها الذي يحب الناس، لا يلقي وزنًا لحقد رؤوف صفوان، فرأسه مشغول بمشروعه، ولا توجد مساحة في تفكيره، خالية ليشغلها بمشاكل تافهة،

قال وهو ينثر عطر رجولته المثير في الأجواء:

- يا حبيبتي سيرة رؤوف، تنرفز، وتعكر المزاج.

ضمها إلى صدره، واسترسل:

- وأنا في مود عالٍ، رؤوف روتيني، همهم... شبه الأستاذ عويجة في فيلم فؤاد

المهندس وحسن مصطفى، كل حاجة عنده لازم تمشي رسميًا، لجنة

أولى، ولجنة ثانية، ثم تنبثق لجنة ثالثة، ثم رابعة تراقب عمل اللجان السابقة، ولا مانع من لجنة خامسة ههه... تلغي كل ما تم، وهذا عصر التايم فيه سلعة، لازم تدخل في تكلفة الإنتاج، وهو لا يفهم هذا..

داعها فضحكت، قال لها وهو يرفعها بين يديه:

- لو رفض العمدة، سأضطر للاتصال بمجموعة باركليينا؛ أعتذر لهم.

وضعها على السرير، واستلقى إلى جوارها، وقال:

- باركليينا تمتلك مجمعاً طبيّاً ضخماً، بالشراكة سيكون المستوصف فرعاً

لها.

واصل تقبيلها، وهو يقول:

- غداً تسافرين للعمدة.

- لكن.

أغلق فمها بقبلة أخرى، فاستسلمت.

** **

-21-

خلود حسن

ضوء مصباح معلق بالقرب من صورة الأب الراحل، حسن مؤمن، بجوارها صور فراشات، وعصافير زينة، وشاشة تعرض فيلمًا بالعربي، رن الجرس، فتحت له خلود، أطلت عليه بعباءة بيتي بسيطة، أظهرت كم هي صغيرة مثل عصفور كناريا، بلا زواق، ولا مكياج، حتى بدون كحل، فعيونها لا تحتاج، هي جميلة، فاتنة، ابتسمت وهي تفسح له ليدخل:

- تفضل.

خرجت الأم وخطت إليه مرحبة:

- مهندس سامح، يا أهلاً وسهلاً.

جلسوا، تبادل سامح مع خلود نظرة ثم ابتسامة، قالت الأم:

- خلود ليس لها سيرة غيرك؛ حتى انفتح قلبي لك وأحببتك كأنك ابني،

قبل أن أراك.

- شكرًا يا إيمان هانم..

دخلت فريدة حاملة العصير، وضعتة على المائدة وجلست.

قالت الأم، وهي تكمل التعارف:

- فريدة ابنتي الكبيرة.

- أهلاً وسهلاً.

قالت الأم:

- فريدة قالت لي نحضّر زوجها الحاج بكري عاشور، يقابلك ويتكلم معك، لكن أحببتُ أن أتكلم أنا معك.

قال سامح أسفًا:

- وماما لم تأتِ معي؛ لظروف وفاة زوجة أخي.
- الله يرحمه يا ابني، كلنا أموات أولاد أموات.

واستدركت:

- خلود بنتي أنا ربيتها، ويهمني أن من سيتزوجها يحطها في عينيه، لأنني متأكدة أنه سيكون في "نن" عينها، ولما قلبي يطمئن، كل شيء بعدها يهون، وبكرة تعرف وتشوف بنفسك، أنا لا يهمني شبكة، ولا مهر ولا أي حاجة، حتى لو تسكنوا في عشة، ما يهمني راحة ابنتي.
- شملمها بابتسامة رضا وود، وقفزت -كعادتها، بدون مناسبة- زينب أبو غنيمة، التي تطارده في كوابيس، سرعان ما تتلاشي مثل السحر الأسود فور استيقاظه، نعم يا أمي هي سحرتها، مسخت نشوى.

مرت ساعة وهو يهم بالانصراف، قال:

- أول ما دخلت بيتكم، كأني دخلته، وقابلتكم من قبل.

قالت فريدة:

- والله القلوب عند بعضها يا أستاذ سامح.
- وقف وهي تصافحه شددت على يديه، وقالت وكأنها تعتذر:
- لا نقدر على قراءة الفاتحة الآن، نؤجلها لمجيء نبيلة بنتي من السفر، وتكون الهانم والدتك وإخوتك موجودين.

- إن شاء الله.

- ضروري تشرفنا نحن أصبحنا بإذن الله بمثابة الأهل.

- يشرفني.

السلام عليكم.

فور انصرافه قالت الأم:

- ربنا يجعله من نصيبك يا بنتي.

رفعت خلود يدها إلى السماء، وقالت:

- يا رب يا ماما، قولها من قلبك الله يخليك.

ضحكن، ثم قالت الأم لفريدة:

- أوصي الحاج بكري يسأل عليه.

هتفت خلود معترضة:

- لِمَ يسأل يا ماما؟ إنا أعيش معهم أكثر الوقت، ومامته المهندسة ليلى

قطعة سكر.

ومست ذقن أمها، وقالت:

- لكن -طبعًا- ليست أحلى منك يا ست الكل.

قالت أمها:

- يا بنتي لازم نسأل.

.....

صباح اليوم التالي، وجدها تنظم مكتبه، التفتت إليه.. صباح الخير، أطلّ عليها

فراها فراشة ملونة، يخشى عليها من الهواء، احتضنها بين جفنيه، وقال:

- أجمل صباح لأجمل واحدة في العالم.

تطبق كفيها الصغيرتين، وتومئ برأسها، وتقول:

- تمام يا فندم، لكن احذر لو صدقتك، ممكن أصدق نفسي.

اقترب منها أكثر، تأمل وجهها، عينيها، خديها، الشفاه الخالية من الروج،

وهمس:

- صدقيني.. وصدقي نفسك.

استقرت مكانها، حتى شعر بحرارة جسدها الصغير، أطلت عليه، ضمته

بنظرتها الرحيمة، وقالت:

- ما أريدك أن تصدقه، أني أحبك.

ثم رفت برموشها السوداء خجلاً، أراد أن يصدقها، ولا يكذب على نفسه،

فالقلب لم يبرأ بعد من مرض عضال، ولكنها -خلود- أمامه تُشعره بأنه حي، وعليه

أن يبدأ من جديد، وعن طيب خاطر ستمنحه الفرصة.

سألها، وهو يجلس إلى مكتبه:

- ما رأي الجماعة؟

بشقاوة طفلة، سألته:

- لازم تعرف؟

- ضروري.

جلست قبالتة، وقالت في حب:

- بالنسبة لي لم أنم طول الليل، سهرت وكأني في حلم لا أصدق.. معقول

الرجل الذي حلمت أن أعيش معه عمري كله، يشرفنا ويزورنا ويطلب

يدي أيضاً من ماما، لا... أكيد ربنا راضي عني.

احتواها، وسألها:

- تحبينني؟

تطلعت عيونها الرحيمة على وجهه، وكأنها في حلم:

- أكثر من الحب.. تعرف؟

- هه؟

- نفسي أحبك مثلما أحبت ماما بابا الله يرحمه، ماما عمرها ما شافت في

الدنيا، وفي عمرها كله رجلاً غيره.

- أكيد يستحق!

- يهياً لي أنه كان مثلك، أنا لم أره لأنه توفي قبل ولادتي، وماما اختارت لي

اسم خلود؛ لكي يظل خالدًا في حياتها.

- وأوفت بالوعد؟

رفعت سبابتها، فقاطعتها:

- من غير حلف، كل ما قلتة أصدقاه.

أمعن النظر في عينيها، وقال:

- مثل هذه العيون لا تكذب.

** **

نشوى الشناوي

جينا الحياة زي النبات أبرياء لا رضعنا كذب ولا اتفطمنا برباء

تعرفني يا نشوى يا بنتي، زمان لما كنت أزعل من جدك، ودلوقتي لما تنكد عليّ أمك بأفعالها، وكلامها السم، أروح الأرض، أقعد وسط الزرع أتكلم معه، بحس أنه حته مني زيك، يهيا لي أنه يسمعي، وفاهم كلامي، وأفضل أتكلم معه حتى أهدأ وأستريح.

ثم التفت إليها وقال معاتبًا:

- أبيع الأرض حته مني، لبناء مستشفى؟

تخرج زينب بالشاي، وتقول ساخرة:

- وتعمل لروحك مكتب على بابها وتقطع كذاكر للعيانين.

يرميها الرجل متقززًا:

- كلامك سم!

تلوي شفتمها:

- متأنسفين.

تناوله نشوى كوب الشاي، وتقول في حماس:

- يا بابا المشروعات الاستثمارية، بتكسب ملايين شوف ما... خالتي ليلى في

ظرف سنة كسبت مائة مليون جنيه.

هتفت زينب غاضبة:

- سيرة هذه المرة تعكر مزاجي، وأنا بتفرج على اسماعين ياسين ومبسوطة، هي هي يقطعك يا سُمعه، في آخر الفيلم سيتزوج الشاويش عطية، هي هي، ويحب ويولد هي هي.
- وكأنها تذكرت، سألت ابنتها:
- قولي لي يا دكتورة، أنت متزوجة بقي لك ثلاثة أشهر، ودخلت في الرابع، مفيش حاجة كدا تفرح قلب أمك؟
- ربنا يسهل يا ماما.
- قالت زينب معاتبة:
- لا تسكتي على نفسك، اكشفي.
- حام قلق خفي مثل فراشة طنانة، ورددت:
- حاضر يا ماما.
- همس عبد الحليم لابنته جانبًا:
- الفلوس أنا راكنهم لمصلحة.
- عادت لحماسها، وقالت في ثقة:
- لك في أول سنة بعد ما المستشفى تشتغل أردهم لك، وعلمهم أرباح قدهم يعني بعد سنة تأخذهم عشرين مليونًا..
- رشف الرجل من الكوب، وقال متفكرًا وقد لعب المال برأسه:
- إذا كان كده يبقى موضوع محتاج إلى تفكير.

.....

اعتبرت تفكيره موافقة وعزمت أمرها، في هذه اللحظة دهمها خيال فسيح.. رحب، ستكون شريكة، لا ليست مجرد شريكة، بل صاحبة مستشفى، ستنخرط في

العمل، وتدرس حتى تحصل على الماجستير والدكتوراه، تسافر مؤتمرات طبية، تجوب العالم، وتملاً قلبها الفارغ بقبس آخر، يشمله إلهام بالشفاء من كل أمراض حيا، وحتماً ستتغير قناعاتها العصبية، وهي في فورة أحلامها انقض عليها السؤال جارحاً: وتتركين قلبك الذبيح معلقاً حتى يصير جيفة للذباب، والدود؟! وهل تواتيك الجرأة على دفنه، تباً لقسوة قلبك، ويا لها من قسوة! طاردها السؤال وهي في غرفتها، حتى رنّ الهاتف، مثل طنين ذبابة، فارتعدت وفتحته:

- حبيبة قلبي صدقيني لا وقت، سأرسل لك ماسدج دكتورة كريستينا، هي الكل في الكل، وشقيقة، دكتور راجح عابد رئيس مجلس إدارة شركة باركلينا والعضو المنتدب للمجمع الطبي، تقول لي أمامك أسبوع لو لم ترد على عرضنا سنضطر إلى سحبه.

قالت:

- يا شريف بابا اعتبره موافقاً.

قال راجحياً:

- أوكي. لازم نحول الفلوس غداً.

- حاضر.

.....

وهي مدفوعة بفورة أحلامها الخلابة، اجتازت ظلام غرفة أبيها، تحسست خطواتها حتى وصلت إلى الدولاب، فتحته في هدوء، تناولت حقيبة ضخمة في صعوبة، فتحتها، انتابها تردد للحظة وهي تعاین الأموال، سرعان ما شملها الإلهام الخفي، احتشد حتى ملأ قلبها الفارغ، بقناعات جديدة، لتترك قلبها الذبيح جيفة للذباب، والدود، وحتماً ستحين لحظة وتجد الجرأة على دفنه، حملت الحقيبة

إلى زوجها السعيد، وقضى معها ليلة مترعة بحب عنيف، عربد في كل خلاياها، وظلت حتى الصباح بين ذراعيه، ثم قامت، أعدت له الإفطار، وجلست إليه:

- شريف.

- قلبي، مريني.

- لنا أربعة أشهر، وو...

- آه، الحمل! يا حبيبتي لا تتعجلي، الحمل سيأتي في وقته، أنت مشغولة

بالدراسات، وأنا مع بداية الشغل الجد في باركلينا، سيكون وقتي ضيقاً

جدّاً، بكرة نخلف نصف... لا.. بل دستة أولاد.

- نفسي يا شريف، أنا أحب الأطفال جدّاً.

تناول كأس الماء، وقال:

- أوكي، اعرضي نفسك على دكتورة كوثر عبد الشافي.

قبل أن تدخل مكتبها، أو تمرّ على مرضاها، ذهبت إليها، دكتورة كوثر عبد

الشافي، رئيس قسم النساء والتوليد في المستشفى، استقبلتها مرحبة، بابتسامة

واسعة، ومكياج صارخ، وضعت السماعة في أذنيها، وهي ترفع جانبي حجابها

الأصفر الموشى بورود خضراء، وزخارف، قامت بالكشف عليها باهتمام شديد،

وهي تقول:

- دكتور شريف اتصل بي، وكأنك تحتاجين لواسطة، هو مديرنا وتاج

رؤوسنا، وطبعاً طلباته أوامر.

وهمست بلهجة خاصة، وهي ترفع السماعة عن أذنيها:

- واضح أنه يحبك جدّاً يا دكتورة.

- الحمد لله.

قالت بنبرات حانية، وهي تدون في دفترها:

- نحتاج بعض التحاليل البسيطة.

أعطتها الورقة، وقالت:

- انتظري التحليل آخر النهار، واطمئني، خير إن شاء الله.

.....

** **

عبد الحلیم الشناوي

أطاحت به طعنة قاتلة، أصابت شغاف قلبه، وهي يلقي بالملابس أرضاً ويصرخ:

- فلوسي.. سرقت عشرة مليون.

صرخ في هياج:

- زينب، يا بنت أبو غنيمه.. فلوسي!

دخلت الزوجة، تطلعت بنظرة سريعة إليه، وصاحت:

- جرى إيه؟! حسك جاب آخر البلد.

لمح في قرار نظرتها، شماتة خفية، ولمعة لص عتيد، فقبض عليها، وواصل

صراخه:

- فلوسي عشرة مليون اتسرقوا..

حاصره يقينه، وهي تتخلص من قبضتيه:

- فلوس إيه؟! أنت صواميل عقلك فوّتت!

وهو يطيح بها يميناً ويساراً، ويصرخ في جنون:

- العشرة مليون، لي خمس سنين ألم فيهم، كانت في الدولاب، ومفيش حد

في الدار غيرنا.

تخلصت منه المرأة في عنف:

- قصدك أنى سرقتهم! بعد العمر دا كله تسرقني يا عبد الحلیم؟ أنت

صحيح رجل ناقص!

رفع يده في جنون، وهوى بها على وجهها، فطرحها أرضاً، وانقض عليها، ولكنها

تعلقت بطوقه، وتبادلا الصفعات واللكمات حتى سقطا معاً.. ** **

ماجد الشناوي

بعد شهرين كاملين قضاهما غائصًا في حزن ثقيل، ورويدًا رويدًا، هدأت جوانحه، وكأنه غريق يتشبث ببقية حياة، قبض بأصابع فولاذية على قشة حزنه المهيض، تطارده أكاذيبه القديمة، وسخريته من الحب، والعشق، والهيام، ليعتصر أحزانه كلها قطرة قطرة حتى تتلاشى.

كان عليّ أنا أكون إلى جواره لأعبر أزمته، عدت من المصنع مبكرًا دخلت وجلست قبالتة، وقلت:

- ماجد يا حبيبي، لو فيفي شافتك وأنت في هذا الحال ستزعل منك.

أوما برأسه، فقلت:

- يرضيك تزعلها، هي تنظر إليك الآن، وحاسة بك؟

قبض كفيه، واغرورقت عيناه بالدموع.

- قم اغسل وشك، ومن بكرة تروح مكتبك تشتغل، الشغل يهون حاجات كثيرة.

- أحاول يا ماما.

ربت على يديه في رفق:

- لازم يا حبيبي.

زفر هواءً حارًا، وتناول التليفون، وقال:

- عزت سليم اتصل بي كثيرًا، قال لي قبل أن أترك الفيلا.. إنه كان على

علم بالدين، والرهن.

وكأنّ ضوءًا متوهجًا خرق ظلامًا دامسًا، فتحرّكت ظلال، وأصوات، سألته في لهفة:

- ماذا قال؟

- لم يكن له مصلحة، كان فقط يبتزّ اللصوص، أو أسكتوه.. وربما سكت خوفًا منهم.

قام واقفًا، وقال:

- سأقابله اليوم.

.....

فور وصوله إلى المكتب، سار معه إلى الباركنج، استقلا سيارته، وانطلق إلى طريق القاهرة الإسماعيلية سأله ماجد:

- خير يا عزت بيه؟

تماوجت ملامحه بمشاعر شتى، وقد عادت تفاصيل كادت تتبدد أمام عينيه، تحسس جيبه، وأخرج ورقه، قدمها له:

- وجدت في مكتبك توكيلاً رسميًا من أبي لسرحان.

- هذا كان البداية.

ومال نحوه، وخفض من صوته، وقال:

- أرجوك يا ماجد، سأكون إلى جوارك حتى نصل إلى أصل اللعبة القذرة، دون أن يشعر أحد.

وشد على كتفه، وقال راجيًا:

- هؤلاء يا ابني مجرمون، لو شعروا بمن يعبث في أوراقهم، ستكون نهايتنا، القتل عندهم أسهل من شكة الدبوس.

كأنّ صخرة هوت على رأسه من ارتفاع شاهق، رأى عربة نقل أمامه وكأنها تترصده، اعترضت خط سيره، فجأة توقفت أمامه مثل حائط منيع، ثم سقطت السيارة أسفل جبل أسود، وصوت سامح يرتفع، ثم يتبدد... آه...

تحسس جبينه، وقال صارخاً:

- هم وراء كل مصائبنا، حاولوا قتلنا!

ثقب بعينه وجه عزت في المرأة، وقال:

- الحادثة التي كاد يموت فيها سامح، كانت مقصودة لقتلنا؟

ربت على يديه، وقال معاتباً:

- ماجد أهدأ، هبّ أنها مقصودة، ما العمل؟

أشار له:

- لم أشأ أن نتحدث في المكتب، يقيناً كل سنتيمتر في جرت رشنس مراقب

بالصوت والصورة.

واستدرك ناصحاً:

- اسمعني جيداً، أكرر لك.. هم لو شعروا بأننا نبحت وراءهم لن

يرحمونا، أنا وأنت وسط المغارة، كهف أسرارهم، بهدوء وحرص نبحت

عن دليل، كل ما نقوله ونفعله، لا يعلم به أحد، لا ليلى هانم، ولا أحد

إخوتك، وطبعاً حامد سليم، لا أحد.

بحت وسط ركام ذاكرته، وقال متفكراً:

- أتوقع أن جريمتهم تمت باختراق إلكتروني.. هاكرز أو ما شابه.

- بداية الخيط عندما كان أبوك يتلقى العلاج في لندن.

-

..... ■

** **

نشوى الشناوي

قابلتها دكتورة كوثر بابتسامة موحية، وهي تراجع نتيجة التحليل، وقالت:

- تمام يا دكتورة نشوى، حاجة بسيطة، اضطراب في الهرمونات، عمل ضعف في نسبة التبويض، مع علاج منشط وراحة، بإذن الله نقول لك مبارك.

- بإذن الله.

رنّ تليفونها، فخفق قلبها مع صوت نعيمة، استقلت سيارتها:

- ست الدكتورة.. سيدي العمدة هو وستي في المستشفى.

.....

دخلت إلى أبيها، الملقى على سريره بدون حراك، خفق قلبها، وصعقها الحزن، ظنّ منذ أشهر عندما تزوجت بدون علمه من ابن أخيه، أنه يعيش أفضح لحظات حياته، لم يدر أن في انتظاره ما هو أنكى وأمرّ، تحسست خطواتها، اقتربت منه وهو ساكن على سريره، خارت قواه، اخترقت جسده رصاصة قاسية، أطاحت به نحو ثقب أسود، انتبه لوجودها، ألقى نظرة واهنة نحوها، ثم أشاح عنها نحو الحائط، وقال في مرارة:

- مرة ثانية، كأنك ناوية على موتي.

جلست، حاولت لمس يده، فجذبها في عنف، فقالت:

- يا بابا، صدقني أنا سأرد الفلوس.

- أنت سرقتي.

- يا بابا فلوسك موجودة، كان ضروري أشارك شريف في المستشفى، ولك عليّ أول ما تشتغل أنا سأردهم لك بكل المكسب.

تواری بعينيه عنها، وواصل حزينا:

- أهذه عملة يا حبة عيني؟!

- يا بابا..

قاطعها:

- أيامي خلاص بعد عملتك السوداء، أنا كنت...

دخلت الأم مطوّقة الرأس بشاش أبيض، قالت:

- ولولا نعيمة شافتك وأنتِ تخرجين بالشنطة، كان فضل ظالمني.

تحركت عيناها نحو السماء، وبلهجة ضارعة:

- أبوك كان بينه وبين الموت فركة كعب.

أمسكت نشوى بيده، ومسحت دموعها، وقالت:

- بعيد الشر.

رددت زينب وهي تجلس:

- بعيد؟! هو بعد ما يتهمني بأني سرقته، يبقى بعيد؟ إخص عليكم أنتم

الجوز.

لم يشأ أن يصدق أن نشوى تسرق، دمدم الندم في رأسه، وأشاح بوجهه

ودموعه عنها، وقال:

- هُنت عليك!

مدت أصابعها ومسحت دموعه:

- دموعك غالية عليّ يا بابا.

قبض على أصابعها ولكنه لم يجرؤ على سحقها، شعر بقلبها يخفق في يديه،
ورأها طفلة، تتعلق به، تعانقه.

زفرت زينب في غيظ:

- يا عيني عليّ، لا ليّ حظ، ولا قلب يحنّ عليّ.

قبلتها نشوى، وانصرفت، تطاردها طيور إلهامها الخفي، وعقدت العزم على
اصطيادها ولو بالقتل، لعلها تملأ قلبها الفارغ، بقناعات جديدة.. كل ما مضى،
مات، هي لحظة دفن رفات كل ما مضى، ذكرياتها، والقلب المعلق، وركام
الذكريات.

وصلت المستشفى، وكأنه كان في انتظارها، ساء مزاجها لرؤيته، قطع الطريق
عليها، فتساءلت باقتضاب:

- نعم يا دكتور رؤوف؟!

أخرج ورقة من جيب البالطو، وأشهرها في وجهها، وقال:

- أنا فكرت أقدم استقالتي، لكن تراجع.

مزق الورقة ونثرها في الهواء، فقالت غاضبة:

- أنت حر تقدم استقالة، أو لا، هذا شيء يخصك.

- أكيد.

تأهبت للانصراف، ولكنه اعترضها، فكّرت في صفعه على وجهه الكريه،
فصرخت:

- دكتور رؤوف أنت مريض! تحاول تشويه دكتور شريف، بسبب غيرتك

وقلبك الأسود!

ضحك بصوت خافت، وقال:

- زوجك.. الملاك الطاهر، يحتاجني واجهة نظيفة، ليمرر منها تصرفات مربية يحاسب عليها القانون.

أرادت أن تطيح به، تخمش وجهه بأظفارها فتدميه، وقالت:

- أنت فاكِر نفسك أنك الوحيد النظيف الطاهر وكل العالم لصوص، اصح من هذا الوهم المعشش في دماغك.

احتواها بنظرة أسفة، وقال في حزن:

- خسارة، شريف قدر يمسحك، كان عندي أمل أنك تغيريه، خسارة! قالت وقد هدأ غضبها:

- المفروض من يتغير هو أنت.

نكس رؤوف رأسه أرضاً أسفاً، وقال:

- بلغيه أنا رجعت في الاستقالة لأحمي المستشفى منه، وسأظل وراءه لأكشف كل التجاوزات هنا، ولن أسمح بأي شيء غير قانوني، وغير إنساني، وغير أخلاقي..

شيّعها بنظرة أسيفة، وغمغم:

- خسارة يا دكتورة!

** **

-22-

أميرة عبد ربه

ولجت بصحبة شقيقتها أماني إلى مكتبها الفاخر، جلست تتابع البيانات، وأخبار البورصة التي تستثمر فيها حصة من أموالها، كانت رغم أسباب السعادة البالغة، تنتابها شكوك كثيرة، وخوف من مجهول مثل شبح بلا ملامح، قبض على وعيها درس حياتها، ومأها بشكوك كبيرة، فدنياها التي ظنت لسويغات أنها تقودها كيفما تشاء الآن تخشاها، تتحسس كي النار، تخشى من غدر الزمان، كما تخشى غدر زوجها ابن الباشا، بعد وفاة ابنته قبض عليه حزن العالم، حاولت أن تخرجه من آلامه، تسري عنه، بعد ليلة حب، لم يكن كعادته، كُسر في قلبه شيء، لحقت بها أماني، أغلقت الباب، وهمست لها:

- زوجك لا يفارق ماجد الشناوي، طول الوقت مع بعض.

غمغمت أسفة:

- الله يكون في عونهم.

واصلت أماني همسها:

- انتبهي لروحك، ليرتبوا حاجة من ورائك.

- يرتبوا؟!!

- أقول لك انتبهي لروحك وخلص.

يعاودها القلق، والخوف من مجهول، وتتحسب لغدر الزمان والرجال، انشغلت بحملها، وتابعت عند الدكتور، ومع الشهر السابع، توقفت عن العمل،

ساعدته في ارتداء ملابسه، وقالت:

- حبيبي، ما رأيك لو نساfer؛ نخرج من هذا الجو الخانق؟

أشار إلى صدره، وقال:

- الخنقة هنا.

ناولته فنجان قهوته، وأشعلت سيجارته، وقالت وهي تجذب نفسًا منها:

- الاستسلام للحزن مرض.

تناول سيجارته، وقال:

- ميرفت كانت هي الشيء الحلو في حياتي.

انتابتها الغيرة، ولكنها عبرت مشاعرها، وقالت:

- الحياة فيها الكثير، المهم ترجع لشغلك، وترعى مصالحنا.

ألقي نظرة سريعة عليها، وقال:

- لم يكن في حياتي غيرها، لم يبق لي إلا أنتِ، وابننا القادم.

وربت على خدها، قال ناصحًا:

- خلّ بالك من نفسك.

اصطحبته حتى الباب، وسألته:

- ممكن أسألك سؤالًا؟

أوما برأسه، فقالت:

- أنت مشغول قوي مع ماجد الشناوي، خير إن شاء الله؟

تغاضى عن ألم شكة كان ينتظرها، ثم قال في حزن:

- وجوده يشعرني بأن ابنتي لم تمت.

تنهدت كأنها لا تصدق، وغمغمت:

- الله يرحمها.

تذكر فسألها:

- كان ماجد تقدم بطلب قرض لمصانع الشناوي ورفضته؟

- هذا قرار حسين رأفت، والحقيقة أن نانسي القوصي صاحبتة هي من

رفضت طلب القرض.

غامت في عينيه فكرة، سرعان ما انقشعت.

.....

خلال مرور سريع في مقر الشركة، قابل ماجد وقال محذرًا:

- سنرجئ مقابلاتنا بعض الوقت.

ودلف مكتبه، فوجد حسين رأفت في انتظاره يشرب القهوة، فغمت العقل

رائحة خفية بشيء ما:

- أهلاً يا حسين.

- فرغ نفسك بعد الظهر نلتقي في ملعب الجولف.

انتابته شكوك وهو يتابعه، حتى انتهى من قهوته، وهمّ بالانصراف، ثم قال

وهو يخطو نحو الباب، وأعاد مؤكداً:

- لا تنس، بعد الظهر.

** **

خلود حسن مؤمن

اصطحبها في سيارته إلى وسط البلد، وقال:

- سأترك لك اختيار الموبيليا على ذوقك.

قالت:

- قاعدة عندي في الحياة والفن، والحياة عندي هي الفن، البساطة هي

السعادة، والسعادة هي التفاؤل.

وعبثت بذقنه، وقالت:

- تفاءل.

- أحبك.

تأملته صامتة، ثم قالت:

- سامح، ممكن سؤال.

- عيوني. اسألي.

- تعدني أنك لا تتضايق.

- أعدك.

- احلف الأول.

- وحياتك عندي.

- علاقتك القديمة، لها أثر في حياتك؟

تناهت صلصلة عالية.. خافتة، عاودته دوامة الإحساس بعبور المأساة، وسألها:

- أنتِ ما رأيك؟

هامت ملامحها، وتضوّعت كلماتها برائحة مسك، وقالت:

- رأبي وإحساسي أنك تحبني.

- وأنا أحبك جدًّا.

احتوته بنظرتها الرحيمة، وقالت:

- ربنا يقدرني أنى أسعدك، وتكون كل لحظة في حياتنا حلمًا جميلًا.

مسد خدها بأصابعه، وقال:

- أنت أجمل حلم.

واستدرك:

- بعد يومين ممكن أزوركم.

مر اليومان، وذهب مساءً لزيارتهم، استقبلته أمها بوجه مغاير، نبش في القلب قلق غامض، عندما خرجت خلود دامعة العينين، تحوّل قلقه إلى خوف، وتلاطمت دوامات الألم في محيط حزنه الزاخر.

قالت لابنتها بلهجة أمرة:

- خلود ادخلي جوة.

غمغمت الابنة بصوت متقطع:

- ماما..

قالت الأم في حدة:

- قلت ادخلي.

دخلت باكية، وداهمت القلب عاصفة كالرماد، وغشيت أذنه أصوات تلاطم الأمواج، والنوآت، وهي ترتفع كالجبال لتصفع وجهه، وتغرقه حيث لا قرار، لم

يتوقع أن تحرمه الصدفه -ربما مجرد صدفه- من عينيها المغسولتين بالشجن،
ونظرتها الحانية.. الرحيمة، قال قاطعًا الصمت:

- ما الحكاية يا مدام إيمان؟! ماذا حدث لهذا التغيير؟!

تحاشت النظر إلى عينيه، وقالت:

- شوف يا ابني من غير كلام كثير، أنا ليس عندي بنات للزواج.

تحسس ضماد كسرة روحه القديمة، فعاودته الألام وعجز عن النطق،
فاستدركت الأم:

- وبنتي من اليوم ليس لها شغل عندكم.

ثم أشاحت بوجهها، وقالت:

- هذا آخر كلام عندي.

مرّت سحابة سوداء عبر الأفق، فلم يعد يرى، وقال مستنكرًا:

- أنا لا أصدق، آخر ما كنت أتصوره، لكن من حقي أعرف السبب.

خطت نحو الباب، وقالت آسفة:

- سامح بيه شرفت.

- تطرديني؟!

- حتى لا أقول كلامًا يضايقك ويجرحك، لأن لا أحد ضامن نفسه.

ارتفعت وتيرة صوته، وهو يقول:

- من حقي أعرف سبب تغيركم.

- يا سامح بيه أنت عملت حادثة خفيت منها والحمد لله، والدكتور المعالج لك، قال إنك لا تصلح للزواج، وأنا لا أوافق أنك تتزوج ابنتي، هذا آخر كلام عندي.

قال راجياً:

- أرجوكِ حددوا أي دكتور متخصص، تعرفوه وتثقوا فيه، وأنا أكشف عنده وأعمل كل الأشعات والتحليل المطلوبة، مدام إيمان كرامتي لا تقبل أن أبهدل بنات الناس معي.

علت نبرة صوتها، وقالت:

- لا لزوم، الحاج بكري أخذ صورة من الأشعات والتحليل من المستشفى، وأرسلتها فريدة على الواتس للدكتور عادل زوج أختها، قال... أستغفر الله العظيم، كلامًا لا يصح أقوله، يا ابني ربنا يكون في عونك.

- لكن هذه الأشعات والتحليل كانت قبل العلاج.

فتحت الباب، وقالت باقتضاب:

- شرفّت.

وقف عند الباب، وقال:

- مدام إيمان أنا سأجري كل التحاليل، وأرسلها للدكتور عادل.

ردت إيمان باقتضاب:

- مع السلامة.

خرج سامح غاضبًا، وخطت خلود إلى أمها حزينة باكية:

- ماما أنا أحب سامح، سأتزوجه ولن أتخلى عنه.

صاحت أمها غاضبة:

- أنتِ مجنونة، سامح لا ينفع للزواج، افهمي بقى.

مسحت خلود دموعها، وقالت:

- حتى لو كلام الحاج بكري صحيح، سأتزوجه.

ربتت الأم على كتفها في حزن، وقالت:

- صحيح يا بنتي، يا حبيبتي أنتِ صغيرة...

قاطعتهما خلود:

- أنا أحبه وهذا يكفي، لا أريد منه غير... الحب، حتى لو كل واحد منا ينام

في أوضة.

وانخرطت في البكاء.

** **

سامح الشناوي

قاد سيارته بسرعة جنونية، تملأه قوة طائشة، وكأنه أراد أن يتحدى الألم واليأس، يخترق أمواجه المتلاطمة، لتستمر رحلته، رغم أنف النوات المجنونة.. الهائجة، قطع كل الإشارات الحمراء، اصطدم بأكثر من سيارة، وظل يتخبط حتى وصل إلى المستشفى، مخلفاً سياراً من المخالفات، بحث عنه حتى وجدته، أسقط عليه نظرة غاضبة، رغم ابتسامة واسعة قابله بها، قال له بصوت هادئ:

- أهلاً سيادة القبطان، تفضل.

وقاده إلى مكتبه، ما إن دخلا، حتى قال سامح:

- مفروض يا دكتور تكون أميناً على أسرار مرضاك.

ابتلع اللهجة التي تشي بأنه خائن للأمانة، وقال:

- استرح الأول.

جلس سامح، قابضاً على زمام غضبه، وقال:

- في ناس سألت عني، قلت لهم إني لا أصلح للزواج، رغم أنه...

قاطعه شريف وقال:

- الأول اهدأ، ونشرب مع بعض فنجان قهوة، واحك لي.

- ميرسي قوي، تفضل. إني أسمعك.

تفحصه شريف بنظرة من عينين، لم يخف لونهما الرمادي ما فيهما من حقد

وغيره سوداء، وقال:

- فعلاً ناس سألوا عليك، وقلت لهم ما أعرفه عن حالتك، فليس من

الأمانة أن أخفي شيئاً مثل هذا، وخاصة في علاقة حساسة.

قال سامح:

- الحمد لله بعد ستة أشهر من العلاج عدت كما كنت، ولو كنت عاجزاً
ما أقدمت على الخطبة.

دخل الساعي بالقهوة، وضعها وانصرف، قال شريف:

- بسيطة قل لهم ذلك.

وأشار له:

- تفضل القهوة.

رمقه سامح بنظرة غاضبة، واستدار إلى الباب، وخرج وقد استبد به الغيظ،
فكر في العودة إليه، ولكمه في وجهه المبتسم لإطفاء نظرتة الخبيثة، تلكأت
خطواته، وأمتلاً تصميماً، فلن يسمح لأي كان أن يطعنه فيما بقي له من حياة، أو
ينقض على فرصته -ربما الوحيدة- واستدار عائداً، ولكن -ثانية- توثبت عيناه،
رأها تخطو نحو مكتب زوجها، توقفت النظرات، ثم اندفعت إليه، وقالت في
لهفة:

- سامح! خير. فيه حاجة؟

هدأ، كان عليه أن يهدأ، ليطيح بموجة غضبه الهادرة، فقال لها:

- دكتورة نشوى، زوجك الدكتور شريف لم يحترم قسمه بحفظ أسرار
مرضاه.

نكست نظرتها، وسألته:

- ما الحكاية؟

شملمها بعينييه، وقال:

- ناس يهمنى، سألوا عني؛ فأعطاهم صورة من ملفي الطبي.

لحظة شعرت بأن نافورة أحلامها الخلافة جف ماؤها، وبات قلبها فارغاً،
وتبددت قناعاتها الجديدة، وربض قلبها الذبيح عالقاً.. متحدياً، غمغمت
متوجسة:

- ناس يهمنوك؟!!

لم يشأ أن يبحث عن ذرة انتقام ماتت منذ زمن، حتماً طوى صفحاتها، وصارت
نشوى غريبة.. بعيدة عنه، هجرته ولم تعد، أشاح عنها وذهب.

دخلت مكتب زوجها، وجدته مشغولاً بحديث تليفوني:

- يا دكتور أنا وفيت بوعدى، الإنشاءات بعد أسبوعين ستنتهي،
والمحامي سيكون عندك ليكتب العقود ونبدأ الشغل.

-

جلست نشوى واستعادت هدوءها، ولم تنتبه لنظراته الغائرة وهي تحتويها، بين
فيئة وأخرى، فلم يقدر على إخفاء حقيقة ماثلة.

أنهى مكالمته، وقال:

- طمئيني ما أخبار التحاليل؟

- الحمد لله.

ثم قالت بلهجة مغايرة:

- سامح الشناوي خرج من مكتبك مستاءً جداً.

- أه.. هو قابلك؟

سمعتها.. لم يكن صوته، وكأن رجلاً آخر قالها، فقالت:

- لا يصح أن تكشف ملفه المرضي لأي حد!

وميض نظرتة لم يعجبها، في لمعتها شيء مخيف، وقف وقال وهو يرتدي البالطو الأبيض:

- عارف يا حبيبتي أنه خطأ، وكنت مترددًا في كشف الحقيقة، لكن للأمانة وخوفًا من الإساءة إلى بنت ناس أعجبت به، لم يسمح ضميري أن أخفي الحقيقة.

- قل لهم ما تريد، لكن ملفه المرضي سرّ خاص به.
ربت على خدها، وقال:

- يا حبيبتي هو لا يصلح للزواج، وأنت أكثر واحدة تأكدت بنفسك.
كانت لهجته جارحة، كما كانت نظرتة مهينة، حتى لمسة يده لم تعد حانية، انقضت شكوك متلاحقة عليها، لم تتأهب لمجابتها.

اصطحبها نحو الباب، وقال في حماس:

- بعد الشغل نمر على مشروع المستشفى، قسم الجراحة تم تجديده بالكامل، فيه قسم زراعة الأعضاء، وأفكر في إنشاء بنك للحبل السري، خاص بالخلايا الجذعية.

تذكرت أباهما، فغمغمت:

- المهم الافتتاح.

قال في حماس:

- بعد شهرين حفلة كبيرة ستحضرها شخصيات مهمة جدًا.
خرجا معًا، وعادت ابتسامته التي تعشقها، ونظرتة إلى حنانها الغامر، وقال بلمهجة موحية:

- بعد الافتتاح نساfer أوروبا، نتعاقد على أحدث الأجهزة الطبية.

احتضها بين جفنيه، وغمز بعينه وغمغم هامسًا:

- ونقضي شهر عسل من جديد.

تركها فتبعته بنظرها وهو يبتعد عنها، بحثت عن خطواتها نحو أحلامها
الخلابة، فاعترضها ضباب كثيف، تاهت في دياجيره، ولم تر غير قلب ذبيح معلق.

أخرجت الهاتف، وقالت بصوت كسير:

- ماما ليلى، أنا آسفة جدًا!!

-

-

** **

حسين عبد الغني رأفت

ضرب كرة الجولف وخطا نحو عزت، وقال:

- تأخرت نصف ساعة؟

جلس عزت على مقعد قريب، وسأله:

- ما الجديد في السوق؟

- تقريبًا لا جديد، سعر البورصة ثابت، ولا توجد نيّة لفتح أي أسواق

جديدة في أي مكان في العالم.

اقترب بكرته من الهدف، واستكمل حديثه:

- مؤشرات الاقتصاد في العالم تخشى انكماشًا جديدًا، تداعيات تفشي

كورونا، والنزاعات الدولية في العالم لا تنتهي.

تابع الكرة وهي تقترب من الحفرة، والتفت إلى عزت، الذي يتفحصه بنظرة

عميقة، يتأمل عينيه الزرقاوين، وشعره الأبيض اللامع، وسأله:

- عندك فكرة عن دين جلال الشناوي؟

وضع الكاب على رأسه، وقال:

- هذا الدين كان سبب رفضي لطلب القرض، فسياسة جرت رشنس، أو

أي مؤسسة محترمة لا تعطي قروضًا لمدين لها.

- نما إلى علمي أن نانسي القوصي هي من رفضت.

- كان صوتها معي، ضمن عدد من أصوات الرافضين.

ثم ضرب الكرة نحو هدفها القريب، وجلس قبالتة وقال بصوت ممتلئ بأسف

عميق:

- عصمت أبو النور راجع للقاهرة.

هتفت ملامحه قبل صوته:

- طليق نانسي؟!

قال حسين متخوفاً:

- ممكن يكون معه خطة ليضع يده على جرت رشنس، التي سبق واشترت

منه حصة شركته "Nor open word" الضخمة، ويديرها بنفس أسلوب

إدارة صناديق المضاربة ليفرغها.

نبش قلق في رأس عزت، وقال وهو يمعن في وجهه النظر:

- تكون جرت رشنس غطاءً لعصابة دولية؟

واسترسل محتدًا معاتبًا:

- قلت لي قبل وضع كل فلوسنا في جرت رشنس، لازم نبقى أكبر

المساهمين، لتدير شركتك كل النواحي المالية، وهذا ما تم!

خيّم سكون وصمت للحظة، ثم عاود ثورته:

- كنت أعرف أن فيه لعبة حقيرة على جلال الشناوي.

وانتابه خوف حقيقي وهو يردد:

- كيف انزلت معك إلى نفق الحيات والثعابين، وشياطين الإنس والجن

هذا، كيف؟!

وواصل حديثه نادماً:

- أنا أخطأت بعد ما أقنعت المستثمرين يستثمرون فلوسهم في مصر،
وفرشت لهم السجادة الحمراء، وفتحت الباب الملكي، يأتي نصاب عالمي؛
يأكل التورته كلها!
أخرج حسين كرة جديدة من جيبه، وأطاح بها بعيداً نحو رابية خضراء عالية،
وهو يضحك:

- هههه... دعك من أساطير سحر الشرق، وعقلية المؤامرة وفكر معي، هي
خطط يا صديقي، وسيناريوهات، هناك أختيار، وهناك أشرار،
ونصيحتي أن تحاذر من الجميع.
سأله عزت:

- نانسي تعرف برجوعه؟

جفّف وجهه بفوطة، وقال:

- هي أول مَنْ يعرف.

ضحك عزت مرغماً رغم حزنه، وقال:

- هههه... وأنت آخر مَنْ يعلم.

ثم استدرك:

- تخشى المياه ترجع لمجاريها بينهما؟

كشّر عن أسنانه، وقال مغمغماً في استخفاف:

- ممكن، أكون أحببتها يا عزت، هههه... وأكتب شعراً وأغاني في عيونها

وخدودها وقوامها الميَّاس يا عمري.

اتسعت الضحكة، وقال:

- أبصم بالعشرة أنك تحبها.

ثم منبياً:

- ولكن احذر، لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين.

غمغم بصوت خافت مستنكراً:

- مؤمن؟!!

** **

ليلى أبو زيد

ما فتئت تطاردني الآلام العميقة، تنقض على صخرة القلب كمطرقة ثقيلة، لتنتثرها شظايا، في اليوم التالي بعد فسخ خطبة -لم تتم- وما حدث معه في المستشفى، خشيت على ابننا من صدمة جديدة قد تنال منه، رغم تماسكه كنت أشعر به، عندما وصل مكتبه فتح رسالة على الموبايل، ارتعش قلبه الجريح، وهو يراها تشملها بعينها الرحيمة، باكية.. ضعيفة.. واهنة:

- سامح. كلهم ضدي، آسفة يا حبيبي.. آسفة، لكن والله العظيم أنا أحبك لكن... منهم لله بقى، كلهم منهم لله، أنا حاولت أقابلك.. أشوفك لأنني بكرة مسافرة كندا لنبيلة وزوجها، الحاج بكري خلص كل حاجة بعلاقاته، وجاب التأشيرة بسرعة، حبيبي... مع السلامة.

.....

وأنا في الطريق إلى مكنتي، لحق بي عماد..

- ليلي هانم.

- تعال يا عماد.

لحقت بنا راندة، وقالت:

- المهندس سامح مرّ على المكتب، وسيحضر لحضرتك.

- تمام.. ممكن اثنين قهوة لي أنا والمهندس عماد؟

- تحت أمرك.

انصرفت وجلس عماد قبالي، وقال بنبرة أقلقني:

- ما سأقوله لحضرتك أعتبره واجبًا.

احتويته بنظرة، وسألته:

- ما الحكاية يا عماد؟!
- حكاية شغلنا مع "أبو غالى".
- تكلم يا عماد.
- أنا أعرفهم من أيام المرحوم، كان رافضاً المعاملة معه إلا في الضرورة، أقول لك السبب الحقيقي وراء طلاق زوجة سمير.

غمغمت رافضة:

- أسباب لا تخصصنا.
- تذكرته، لعنت أمنياتي القديمة في أن أكون مثله، لأجتاز التحدي الضخم الذي يجابني، وضعت راندة القهوة وانصرفت، وقلت له:
- إلا ما يخصّ شغلنا.

أوماً برأسه، وقال:

- نعم الأسباب لها علاقة بالشغل، سمير طلق زوجته لأن أباهما أقيلا من الوزارة، ووجوده في الحكومة كان يسهل له حاجات كثيرة في التخليص الجمركي، الاستيراد والتصدير.

- هذه أمور خاصة بشغله، شغلنا سليم وسنورد له.
- أئبه حضرتك إلى أن شغله الغلط أكيد سيكشف عنه قريباً بعد إقالة الوزير، فمن الآن يجب أن نبحث عن غيره لتصريف شغلنا.

قلت آسفة:

- كنت اعتمدت خطة للتصدير، توقفت بسبب رفض جرت رشنس القرض.

دخل سامح، وقال في حماس:

- لازم تنفذ خطة التصدير، ونشتغل على شراكة مع برندات عالمية لشركات ضخمة.

تساءل عماد:

- والتمويل يا قبطان؟

- اليوم أسافر للبلد، وأتكلم مع العمدة، أسحب قرضًا جاريًا مدينًا.

غمغمت:

- لكن...

وقف عماد، وقال:

- أستأذنكم.

خرج عماد، تأملت سامح وهو يقاوم صدمته الجديدة، قلت له راجية:

- إن شاء الله يا حبيبي، لكن ممكن ترجع الفيلا تستريح الآن؟

تناول كفي وربت عليها، وقال:

- ماما أنا اعتبرت خلود حلمًا جميلًا، وقبلها نشوى، ولا حلم يستمر لأنه

حلم، ربما أوهمت نفسي لأعيش في حلم، حاولت حتى ألا أصحو منه،

لكن لازم أصحو، ادعي يا ماما يصادفني حلم آخر.

قبلته وأنا أشعر بالأم جرحه، غمغمت وقد أطاحت بي لحظة ضعف:

- سامح حبيبي، ربنا كبير، وله حكمة لا نعلمها.

قبل يدي، وقال:

- الحمد لله على كل حلم جميل، بعد إذنك يا ماما أسافر للبلد.
تابعته بنظري حتى خرج، وقد استقرت لحظة الضعف في قلبي لم تبرحها، فور
خروجه عاودت الاتصال بنشوى.

- نشوى...

- أسفة يا ماما، شريف لم يكن يقصد حاجة، وو...

قاطعتها، وقلت:

- يا حبيبتي من حقك أن تبرري لزوجك، أنا عرفت كل حاجة، المهم أن
سامح سيسافر لأبيك اليوم.

- خير؟

- نحتاج تجديد القرض، ويا رب أبوك يوافق.

وبلهجة حانية، قلت:

- انتبهي لنفسك يا نشوى يا بنتي، مع السلامة.

** **

-23-

لبنى الشرقاوي

هامش حياتها.. الجملة العارضة التي ظنت أنها شطبها من قاموسها إلى الأبد، انتصبت أمامها بحروفها الحادة، وألقت بظلمها الثقيل على صفحتها البيضاء فغامت الرؤيا، وحالت دون أن ترى ما كانت تراه جلياً من قبل، واستقر مرض عضال، أطاح بكل خياراتها، وأمعن في إذلالها، فكشف سوءاتها، ولم يعد لها من طريق غير بدائله الخبيثة، ابنتك وسيرك إعلامي، عامر بالهلوانات والحواة، والدببة والخنازير، اللعب مع الجميع، وضد الجميع في آن واحد، أو لا شيء. في شقته المؤجرة حديثاً التي تطل على تقاطع شارعي شريف، وعدلي، وسط القاهرة جلست إليه، وسألته:

- ما المطلوب مني يا مصطفى؟!

اضطجع على مقعده، وقال:

- مسألة مهمة، بتعبير رجال الاقتصاد في عالمكم المتخلف، توفيق

أوضاع، وجدولة المشاكل بيننا، وفك الاشتباك.

قالت ساخرة:

- كل ما بيننا انتهى منذ زمن، لا مشاعر، ولا ديون، ولا مشاكل، ولا حاجة

تستحق الجدولة.

همت بالانصراف، فقال لها:

- لم أنته من كلامي بعد.

ومال بجذعه نحوها، وقال:

- أولاً.. الوديعة الخاصة بلنا حولتها لمصر، وممكن تسحب منها أي مبلغ،
- ثانياً طلبت من أحد المكاتب المتخصصة دراسة عن السوق المصري،
- ويهيأ لي أنك فاهمة أوضاع البيزنس.

خمشت بحروفها غروره وهي ترد:

- فاهمة ههه... رغم أنني من عالم متخلف، المهم، ثالثاً؟
- طبعاً لن أجد واحدة أمينة على فلوس لنا غير أمها.

قالت بلمجة قاطعة:

- أنت تعرف أن خبرتي في الصحافة فقط.
- ممكن جداً تستعيني بإدارة محترفة، تدير أي مجال من الشغل، حتى لو
- في الميديا.

ونظر في ساعته، وقال:

- معك ثماني دقائق لتفكري فيها.
- لفحته بنظرة حارة ساخنة، وأسرعت نحو الباب، وهي تقول:
- الدقائق الثمانية انتهت من زمن.

وخرجت دون كلمة أخرى.

قادت سيارتها إلى هاني، وطوال الطريق تضخمت عقدة ذنبا القديمة، حتى قطعت أوصال روحها، نفثت الهواء فيها لتنفجر، وتتطهر من كل ذنوبها.. هاني هل أترك ابنتي لمصطفى؛ ليفتح لها أبواب الانحراف على مصراعها؟! عاودتها الألام مثل عقربة سامة، وخشيت من السقوط في قوقعة الاكتئاب. كان عليها أن

تطيح بكل القيود التي تحاصرها، وصلت الفيلا، رنت الجرس وفتح الباب، أدرك من النظرة الأولى، كم هي تعاني، كان عليه أفروول ويقبض على فأس صغيرة في يده، أشار لها:

- تعالي.

سارت معه إلى التراس، جمع أصصاً فارغة، وعاود العمل لزراعتها، سألها:

- الشغالة في إجازة، ممكن تدخل المطبخ وتعملي لنا الشاي؟

أومأت برأسها:

- قوي حاضر.

أشار لها:

- المطبخ أول طرقة على يمين الباب.

انصرفت، وجمع الشتلات ليغرسها، دقائق وعادت بالشاي:

- تفضل، خير اشتغلت في البستنة؟

- نفسي من زمان أعيد الحياة لهذا الروف أزرع فيه، أملاه خضرة.

قالت مبهورة:

- يااه ه!! تبقى القاعدة والكتابة فيه إبداع.

قال لها كأنه يذكرها، أو ينتشلها من قوقعتها:

- كنت أحلم بعد زواجنا يبقى مكاننا هنا، زمان كل ليلة كنا نقعد مع بابا

يحكي لنا عن سفرياته.

ضمت الكوب الساخن بين أصابعها، وقالت:

- أنا خلاص، قطعت كل الطرق على مصطفى.

احتواها بنظرة عميقة، وسألها:

- وبنتك.. لنا؟!!

رفعت الكوب إلى شفيتها، وهامت بعينها، وقالت:

- لو سقطت معها، سأقضي على أي فرصة لإنقاذها.

تبادلت معه نظرة خصبة وابتسامة حب، خطا نحوها، تناول كفيها المطبقتين،

وقبلهما، وقال:

- آخر كلام؟

تناولت وجهه بين أصابعها، وقالت:

- لازم نهرب بحبنا، حتى لا تلوثة فلوس حرام، وثقافة تفسد العقل، وفكر

مريض.

انقض عليها، وطوقها بين ذراعيه، استسلمت للحظة، ثم ربت على كتفه،

وقالت:

- نكلم ماما ليلي، ونحدد الفرح.

- بكرة.

ضحكت، وقالت معاتبة:

- ماما ليلي هي مَنْ تحدد.

.....

عدت مساءً، استقبلني فرحًا، وقال لي:

- اتفقت مع لبي على الزواج.

قلت وكأنني أحذره:

- آخر كلام؟

- أنت عندك الكلام الأخير، تركنا لك تحديد الموعد.

خيّم على وجهي الأسف، وقلت:

- ننتظر بعض الوقت لظروف وفاة فيني الله يرحمها، وصدمة سامح الأخيرة.

وضع أمامي أطباق الطعام، وقال:

- نكتب الكتاب، والفرح بعدين.

- ربنا يتمم بخير يا حبيبي، بجد نفسي أفرح.

** **

عصمت أبو النور

دراسته للإلكترونيات حولت حياته لشرائح فائقة الذكاء، سجل عليها دورًا لم يحد عن نصه، أنشأ شركة "Nor open word" لتنافس الكبار في أنظمة تشغيل الكمبيوتر، حتى ظهرت نانسي القوصي على مسرح الأحداث فتغير كل شيء، وتساقطت بنات أفكاره على شرائح فائقة الغباء، فور وصوله إلى القاهرة، نشرت الشركات المنافسة برامج تصحيح ودعم لعيوب نظامها الإلكتروني، مما أدى إلى هبوط أسهم شركته، عبر بحقائه البوابة الأمنية، وتحدث عبر الهاتف مع وكيله الإنجليزي غاضبًا.. مستر جاك لن أقاضيهم؛ لعدم وجود حقوق ملكية في أنظمة برامج تشغيل الكمبيوتر، هذا التحالف تم بينهم لمحاربة Nor open word، والقضاء عليها، لقد أعلنوا الحرب، جهز خطة قبل عودتي للندن قريبًا.

فور وصوله اتصل بسرحان، وسأله مهددًا:

- ساعدت نانسي على أخذ أموالي، وكل ما أملك هنا في مصر؟

رد سرحان، وكأنه يبرى نفسه:

- عرضت أتعابًا لا تقاوم، ولو لم أساعدها لساعدها غيري.

في الصباح، قابل سرحان نانسي في مكتبها، وقال وقد استبد به الخوف:

- عصمت جاء؛ لينتقم.

انفجرت ضحكتها عاليًا، وقالت:

- فرصة نصفى الحساب بيننا.

- أعطه فلوسه، ولا تلعب بالنار.

- أنا صعيدية يا سوسو، وهذا ثأري، ولن أتنازل حتى يأتي عصمت برجليه حاملاً كفته.
- حملك فيها بعينيه، وقال:
- هذا جنون، تأخذي كل ما له في مصر، ويحمل كفته؟!
- عصمت خائن.
- عصمت لا أحد يجسر على أن يتحداه.
- أنا أتحداه.
- همس لها، موهماً نفسه بيقين ينقذه من أبي النور:
- الحاجة "الصغنتوتة" الخاصة به خطيرة جداً لهذه الدرجة؟!
- فُتح الباب على مصراعيه..
- جفلت نانسي وتمتمت:
- أه!
- دخل عصمت مرتدياً بالطو ووتر بروف واضعاً قبضتيه في جيوبه، وقال:
- وأنا أموت في التحدي.
- ارتعدت فرائص سرحان، وشملته نانسي بنظرة غاضبة، وصاحت:
- مَنْ أذن لك بالدخول؟
- دخلت سكرتيرتها مرتبكة، وقالت:
- استغل كلامي في الموبايل، ودخل المكتب عنوة.
- أشار لها عصمت، وهو يتخذ مكانه على فوتيل حريري:
- قهوة دوبل من فضلك.

خرجت السكرتيرة ترتجف، وقال عصمت:

- جميل، توقعت أن يكون الميتينج بيننا.

واصلت ناسي غضبها:

- ميتينج! فجأة وبدون ميعاد؟!!

تجاهلها، وقال:

- أنا صفرت كل مشاكلي المالية في أوروبا، وحوّلت كل فلوسي لأستثمرها

في جرت رشنس.

تبادل سرحان ونانسي نظرة تساؤل، قاطعها عصمت وهو يرتشف القهوة

متلذذًا:

- بعدما سددت كل ديوني لجرت رشنس، وفتحنا صفحة جديدة، هذه

المجموعة بعد سنتين صُنفت ضمن أنجح الشركات في العالم.

وضع الفنجان على مائدة، ودس يده في جيوب البالطو، وأخرج مسدسًا أداره

حول سبابته كقاتل محترف، وأشهره نحوهما، وقال:

- كل حقوقي ترجع لي، أو الخيار شمشون.

ثم دسّ المسدس في جيبه، واستدار نحو الباب.

تابعه سرحان حتى خرج، وخارت قواه، جلس مكان عصمت، وتناول فنجاناه،

أخذ منه رشفه، وقال ناصحًا مهددًا:

- نانسي دعك من النعرة الصعيدية، وردني له حاجته، أنا عن نفسي لن

أتحداه.

صرخت في وجهه:

- أنت وهو على الجزمة.

وأشارت نحو الباب:

- اخرج الحق به.

خرج سرحان، وجلست وحيدة تنتفض من الثورة والغیظ، تفكر في رد الإهانات الكثيرة التي تلقتها من عصمت، تابعتها على شاشة المراقبة حتى بوابة الخروج، يتخبط رأسها بالسؤال، كيف ترد على تهديده بالقتل من المسافة صفر، ياااه يا ناسي!! جرؤ على أن يهددك بالقتل؟! رفعت سماعة التليفون الداخلي لتتصل بالأمن ليقوفه، نقرت على الأزرار، ولكنها وجدته ينظر إلى كاميرا مصوبة إليها، ويرفع كفه نحوها، وكأنه يلقتها تحذيراً شديداً للهجة، وضعت السماعة مكانها، ورفعت الموبايل، لكنها ترددت في الاتصال بحسين، وفضلت الذهاب إليه، اجتازت حوائط مكتبه الزجاجية، ووقفت أمامه، فتشها بنظرة فاحصة، وهي تستطلع بعينها المكان، وقالت:

- ممكن في البريك نأخذ جولة؟

- ممكن الساعة السابعة بعد الظهر.

** **

نشوى الشناوي

لا تصدق كل ما حدث، فلم يخطر لها على بال؟! تطاردها صورتها أمام المرأة وهي تتجرد من ثيابها، تكتسحها العواقب فتشل جسدها ببرودة قاتلة، وتملأها الحسرة، وهي في الطريق إلى البلدة، كانت تخترق كيانها، وميض نظرتة المهينة، ولمعتها المخيفة، ولهجته الجارحة، حتى لمسة يده باتت خشنة.. جافة، لاحقتها الشكوك التي لم تتأهب لمجابتها، حتى وصلت الدار، فوجدته يجلس إلى أبيها، خطت نحوه مرحبة:

- حمد الله على السلامة يا سامح.

قال وهو يشبعها بنظرة عتاب خفي:

- الله يسلمك.

قال أبوها، وهو يتأهب للخروج:

- الظهر وجب، ألحق الجماعة في الجامع.

ثم أردف:

- البيت بيتك يا ابني.

انشق الفراغ عن زينب يسبقها صوت ضحكها الخشن:

- هئ هئ، ما هم إخوان.

رشقه تلميح الكلمة بحجر صلب، تجاهله، وقال لعمه:

- يا عمي لم ننه كلامنا بعد.

رفع الرجل عباءته، وقال:

- ما عندي قلته.

قال سامح، بلهجة حادة:

- يبقى دين العشرين مليوناً، أنت مكلف بسداده.

صاح الرجل وهو يلفّ العباءة حول عنقه:

- هذا دين وعليكم السداد، مفهوم؟!

وخطا إلى الباب، فلحق به سامح، وقال:

- الأسبوع القادم سيعقد مجلسٌ عرفي، وهو من يحكم.

تناول الرجل عصاه، وقال وهو يلوح بها:

- الأرض أرضي، ثلاثة بالله العظيم من يقل غير ذلك سأقتله.

وقفت نشوى:

- خلاص يا بابا، رح صلّ أنت.

خرج الرجل يتمتم بلعنات غاضبة، وقالت لسامح راجية:

- اهدأ يا سامح، تعال اقعد.

جلس سامح، وجلست إلى جواره تأملت وجهه، وشعرت بقلبيها الممتلئ، لحظة..

نبش فيه قيس من نور، فجأة دهمهما صوت أمها:

- وماله اقعد جنبها ولا منك أي خوف.

رمقها سامح وقد علتة سخرية حارة، وانطلق بضحكة عالية، وأوماً بإشارة

نحوها، وقال:

- ههه... تذكرت الدوجنج حيوان بحري مخيف، صوت أمك ذكرني به.

صرخت زينب، وخطت نحوه مهددة:

- تتماآلت عليّ يا ابن ليلي.

قالت نشوى لأمها:

- ماما أبوس رأسك أدخلي.

دخلت زينب غاضبة، وهي تردد:

- الدوح قال.. أحيه.

مسّته نشوى بنظرها القديمة الرائقة، وقالت:

- سامح قل لي ما الموضوع؟

- فيه خطة لتطوير المصانع تحتاج لفلوس، كلمت العمدة على قرض

جديد بضمان الأرض؛ فرفض.

ربتت على كتفه في حنان، وقالت:

- حاضر، أنا -ياذن الله- أخلص هذا الموضوع، وأحضر بنفسى الشيك

بالفلوس لماما ليلى، أو اكتب لي رقم حسابك وأنا أحولها عندما تتم

الموافقة، وأستلم المبلغ.

رنا إليها بعينيه فتلاقت الأعين، وهجم عليها صوتٌ من العدم.. تبّاً لقسوة قلبك.

ورأها وهو يغرق في كلمته الفارقة.. أنتِ طالق.. لحظتها سقطت روحه.. كُسرت،

وهو في طريق العودة، بحث عن فلسفة الحياة أو الموت، حاول ملممة ما بعثره من

نافذة عقله، عله يجد حبه -ضلاله القديم- لربما يعيد إلى روحه.. روحها، ويضمّد

كسرهما.

** **

نانسي القوصي

سارت عبر طريقة مكسرة، تكاد تتعثر في حفرها وأحجارها، وبلاطها، صعدت ثلاث درجات وهي تتلفت حولها حتى وصلت إلى باب قديم، وشبكة حديد تأكل طلاؤها، طرقت على الزجاج المعتم بأصبعها عدة طرقات، ففتح حسين وأشار لها بالدخول، خطت مستطلعة المكان الفسيح، والجدران القديمة، وورق حائط ممزق، يعود تاريخه إلى نصف قرن، قال حسين وهو يشير لها بالجلوس على كنبه تركي:

- فيلتنا القديمة، كان لها في زمن غابر حديقة خضراء مترامية حتى ميدان لاطوغلي، يحدّها من الشرق شارع 70 حتى مكان مستشفى أبو الريش، كان يوجد إسطبل ومزرعة للخيل العربية الأصيلة.
- قاطعته في عصبية وقد خيم عليها الضيق:
- حسين... بعدين إحك لي تاريخ عائلتك.
- تطلعت بعينها في المكان، واسترسلت:
- جئت أقابلك في هذه الـ... هذا المكان الغريب بعد ما هددني عصمت بالقتل.
- طواها بنظرة عامرة بالرغبة، وقال:
- هذا آمن مكان نتحدث فيه.
- ثقبته بنظرة عميقة، ولمعت عينها، وهي تسأله:
- الموضوع خطير؟!

رفع الموبايل، ومسح على شاشته، انسابت أغنية راح يردد معها:

If you weren't around

Tell me would that make sense of my existence

تناول كفها ووقفها، وهو يدور بها في المكان الفسيح، فوق أرضية من الخشب
المتهالك، همس في أذنيها.. لو لم تكن موجودًا، Tell me قل لي، هل سيكون معنى
لوجودي my existence

" تمنعت وقالت:

- حسين أنا مزاجي زفت.

ضمها إلى صدره، وواصل الغناء، فلم تشأ أن تفسد لحظته، رددت معه
الأغنية، ربما لتهرب من هواجسها، وتطرد صورة هذا القاتل الذي اقتحم حياتها
من جديد: If not I Would have tried to invent love، لو لم تكن موجودًا، كنت
سأحاول اختراع الحب.

كانت في حاجة إلى الهروب من هواجسها، وصورة مسدس أسود يوجه نحوها
ليقتلها، التصقت بوجهه، فنطق لون عينيها النحاسي بولّه، ورغبة ساخنة
للهرب معه، ضمها نحوه فاستكانت، وهمست له: Killing me softly، مع
موسيقى الجسد العميقة، تأججت الشهوة، حركت أصبعها فحلت عقدة
بسيطة، لتسقط عنها الفستان، واستقرت بين ذراعيه عارية، حاصرته بنظراتها
المثيرة المشوبة برغبة، أسقطها أرضًا فتداعت، وتواصلت الموسيقى ناعمة، حتى
أطاحت بهما لحظة أسطورية نحو قرار لذة جامحة.

.....

بعد وجبة الحب الدسمة، سألته:

- ما العمل الآن؟

قال في استهانة:

- ولا حاجة.

صاحت غاضبة:

- رفع في وجهي المسدس!

قال:

- وهو يعرف أن اللقطة مسجلة بالصوت والصورة؟

اتسعت عيناها، وقالت:

- مجرد تهديد، أم...

- محاولة لإرهابك ليس إلا..

ضمها فاستكانت على صدره، وقال:

- لأن معك أكثر ما يؤلمه، ويطيح به في أقرب طائرة من حيث أتى، أو

السجن.

رفعت عينيها نحو وجهه، وسألته:

- سرحان قال لك حاجة؟

- لا.

واستدرك، وقال:

- سنعقد قراننا الليلة عند مأذون.

ضحكت، وهي تضغط عليه:

- أحبك جدًّا يا حسين.

قال:

- سيطلب مقابلي قريباً.

** **

نشوى الشناوي

برودة سقيمة لفحتها عبر نافذة انتظاره، مرّ أسبوع على وعده لها بالسفر،
سألته فاخترق أعداراً سخيفة نثرت بذور الشك عبر القلب الذبيح المعلق، الفارغ
من قبسه وإلهامه الخفي، وأوشكت نافورة أحلامها الخلافة على الجفاف، لتطعن
قناعاتها، وكل رهاناتها بشرخ عميق، وهي تنتظر عينيه الجميلتين، وكلماته المبللة
بالحب، وذراعيه القويتين تطوقانها ويعرج بها إلى سماء اللذة البعيدة، ولكنه
بعدها أخذ أموالها، جفّت رغبته، ونضبت نشوئته، وتركها إلى برودة الهجر
اللينة، لم تحتمل أن يبتعد عن عناقها لأسبوع كامل، فشعرت بجرح في كرامتها.
عاد فجراً -ككل ليلة- شعرت به يغيّر ثيابه، أغمضت عينها حتى استلقى إلى
جوارها، بعد لحظات سمعت شخيرته، في الصباح خرجت إلى الشوارع التي بدت
ساكنة، باردة، نصف ساعة ووصلت إلى المستشفى، استقرت في مكتبها تفكر في
مآلها وسط ضباب أفكار كثيف، ألقت بها في تضاعيف شكوكها السوداء، حتى
رن الهاتف، وأخبرها مدير البنك بتحويل قيمة القرض إلى حسابها، وهي تتأهب
للخروج، دخل بابتسامته الميته التي أزعجتها وخرقت لحظة -تتخلق ملامحها-
قادمة حتماً لا محالة، قال لها:

- سوري يا حبيبتي، كان مفروض تسافري معي، لكن كرسطينا وأخوها

راجح اعتبارها سفرية شغل، ولن نجد فرصة للفسح.

حوّلت رأسها نحو حقيبتها أخرجت البطون، وقالت وهي ترتديه:

- لا يهم.

واستدركت وهي تستقر بعينها على وجهه:

- قبل السفر لازم نكتب العقد بحصتي في المستشفى.

نغزه شيء كشوكة في حلقة، وقال:

- ليس لدي وقت، الطائرة الساعة 5 بعد الظهر، أعدك يا حبيبتي فور

رجوعي نكتب كل ما تريدينه.

احتوته بنظرة جادة، وقالت:

- ترجع بالسلامة.

خرجا معاً وهي تحاول أن تخفي مشاعرها المرتبكة، وشكوكها السوداء، قال لها:

- أعدك بأنني لن أغيب.

قالت في برود:

- المهم ترجع بالسلامة.

مال عليها قبلها، وتركته وانصرفت، تابعها بعينيه، وقد خيمت على عقله فكرة

شاردة، وكأنها باتت غريبة عنه، استدار منصرفاً وهو يتحدث في الموبايل:

- نتقابل في المطار.. مع السلامة.

طرقت نشوى الباب، ودخلت فوجدت إحدى الممرضات تجلس إلى مكتب

دكتورة كوثر عبد الشافي، وقفت مرحبة:

- أهلاً يا دكتورة نشوى.

- أهلاً بك، أين دكتورة كوثر؟

- في إجازة.

خرجت من المستشفى، استقلت سيارتها إلى مصانع الشناوي، مدفوعة بقوة

لمجاهة هواجس قلبها، وشكوكها السوداء في قناعاتها التي علقت بجوار قلبها

الذبيح، فور وصولها أقبلت نحوي، تأملتُ وجهها رغم ابتسامته، كانت مثقلة بهمّ كبير، قالت:

- طلبت من البنك تحويل المبلغ إلى حساب سامح، وتقريبًا وصل.
- شكرًا يا نشوى.

جلست إلى جوارها، وسألتها:

- ما أحوالك أنت وزوجك؟

أشبعني بنظرة عتاب، ثم هربت بعينيها وغمغمت:

- الحمد لله، سيسافر اليوم رحلة عمل.

وصمتت، لم أَلح عليها لتحكي لي، أو أحاصرها بالسؤال؛ لتخرج لي أوجاع قلبها، وأيقنت بأنها جاءت للشكوى، ولكن...

قلت لها:

- الليلة تشرفينا كتب كتاب هاني.

اغتصبت ابتسامة من براثن مخاوفها العميقة، وقالت:

- ألف مبارك، حاضر.

- هي حفلة على الضيق في الفيلا، لظروف وفاة فيفي الله يرحمها.

قفزت أوجاعها الخاصة كفال سيّئ، وغمغمت:

- الله يرحمها.

ثم سألت:

- ما أخبار ماجد؟

قلت لها بقلب مثقل بالأحزان:

- يهرب من مصيبتة في الشغل.

- الله يكون في عونہ.

اجتمعنا مساءً، ظهرت لبني في أبهى صورة، مع مكياجها البسيط بدت جميلة ترفل في أنوثة دسمة موحية، أمسك هاني بيدها ووضع في أصبعها الخاتم؛ فصفقنا وقبلناه، وجلس إلى جوارها سعيداً، عندما وصلت نشوى، قالت معذرة عن تأخرها:

- الطريق للحلمية كان مغلقاً، ماسورة مجاري ضربت.

باركت للعروسين، وجلست إلى جوارى، تلفتت وسألتني:

- أين ماجد وسامح؟

- في التراس، الشغل لا يعطينا فرصة نقعد مع بعض، لولا فرح هاني

ولبني، هو الذي جمعنا.

واحتويتها بعيني، وسألتها:

- كنت خائفة أن تنشغلي ولا تأتين.

لمعت عينها، وقالت معاتبة:

- معقولة! لا آتي فرح هاني؟

صافحنا هاني واصطحب زوجته ليحتفلا معاً، فور خروجه، وقفت نشوى، خطت نحو التراس، رآته وكأنه كان في انتظارها، توثبت عيناه، وهي تخطو نحوهما:

- مساء الخير.

- مساء الخير.

رن هاتف ماجد وجاء صوت عزت مفاجئاً:

- ماجد أنا في المستشفى، أميرة في حالة خطرة.
أسرع ماجد بالانصراف، وبقيت معه..

** **

أميرة عبد ربه

وهن على وهن أسقطها أرضاً، فحملها عزت في سيارته، وانطلق إلى المستشفى،
أفاقت على يده المعلقة بها، وغمغمت في ضعف متناهٍ:

- أشعر أني أموت يا عزت.

ردد بلهجة وجلة:

- لا يا حبيبتي ربنا معك، تلدين وتقومين بالسلامة.

مسح عرقها البارد، وهو يحملها إلى مدخل الطوارئ، طاردته صورة فيفي، ورن
صوت ضحكها في أذنه، أفاق على صوت أميرة يستغيث به:

- عزت أنا ممكن أموت؟

سار بجوار سريرها، وهي في طريقها إلى غرفة الولادة:

- لا يا حبيبتي، تعيشين وتربين ابنا، وتزوجينه أيضاً.

- حقاً يا عزت؟

دخلت غرفة الولادة، ووقف ينتظر، تسفعه عاصفة هوجاء جديدة تكاد تطيح
بآخر أمل له في حياة بدت عقيمة، بعد وفاة ابنته، أيقن بأنه سينحني قسراً لكل
العواصف القادمة، فقد بات بلا جذور يستقر عليها، وأن له أن يبكي على أطلاله
الفارغة، لولا أميرة لانتظر الموت، لحق به ماجد وجلس إلى جواره في الاستراحة،
وقال كاظماً مخاوفه:

- تأتي مع الولادة رائحة الموت.

حبيبته فيني! يااه ه ه!! عاودته الرغبة في القفز إلى الجنون، لهرب من العالم المسكون باللصوص والأفاقين، وكارهي الحب، ولينس محيطه القاسي.. العنيف، الذي ظن فيه النجاة، ولكنه اختطف منه حبيبته..

لحظة صمت قطعها عزت وقال همسًا:

- عصمت أبو النور رجع إلى مصر.

انتبه للاسم، وتساءل:

- وما دوره في فيلم العصابات؟

- البطل، والباقي سنّيده.

قال ماجد في سخرية مرة:

- عصمت! صاحب أكبر حصة، في شبكة صرف مجاري المال الأسود في

العالم!

واصل عزت حديثه:

- أبو النور تزوّج ناسي القوصي لفترة، وحصلت بعد الطلاق على كل

ثروته في مصر: أكثر من ألف فدان، ومزرعة خيول، وقصر، وعدة

شقق، وبضعة شاليهات على الساحل.

ثقب بعينيه وجهه وقال، وهو يعاود العبث وسط ركام ذاكرته:

- هو صاحب شركة "Nor open word" الخاصة بأنظمة تشغيل

الكمبيوتر.

- أول حاجة عملها عصمت بعد ما وصل، اقتحم مكتب نانسي، رفع في

وجهها المسدس، وهددها هي وسرحان بالقتل، إذا لم ترد ما أخذته.

تغير كل شيء على نظام تشغيله، وتساقطت بنات أفكاره على شرائح فائقة الغباء..

ابتسم ساخرًا، وتساءل:

- تحوّل إلى مجرم غشيم!
- حسين احتفظ بفيديو التهديد بالقتل على حاسوبه الخاص، وأمر بحذفه من هارد كاميرات المراقبة كلها.
- وقبض على كتفه بأصابعه، وقال:
- الحرب بدأت!
- تظن أن النصر اقرب؟
- خرجت الدكتورة بوجه مبتسم، وقالت:
- مبروك.. ولد.

** **

-24-

سامح الشناوي

زي البنات من صغري برسم بيت معاك
قلبي يا دوب ورقة نبات بتهزني كل الحاجات

لم يدر، كما لم تدر هي بأنها لحظة حقيقة، وما عداها زمن كاذب، أوجد
أحاسيس كاذبة، مجرد وهم، واستقر في قرار اليقين سؤال وُلد سفاوحًا، تشكلت
حروفه، وصورته، وصوته من عدم: هل ما كان بيننا طوال سنوات مضت هو
حب؟ أم مجرد حلم، وهم كبير ملأ حياتنا، انشقت عنه الأرض، أو هبط علينا من
سماء كوكب بعيد فأغرقنا، حتى صدّقنا أنفسنا بأننا نحب؟ وهل ثمة فرصة
تنتظر للكشف عن تلك الحقيقة؟!

نشوى.. أنا لم أحبك قط، قد أكون أحببت فيك أشياء، وأنت أحببت فيّ أشياء،
أن لك أن تملئي قلبك الفارغ بحب حقيقي، له قبس آخر، وتغيّري من قناعاتك
البائدة.

دارت في المكان، وقالت:

- وأنا صغيرة كنت أول ما أصل إلى الفيلا، أدخل الفراندة، كانت أجمل
حاجة عندي، الزرع والخضرة، والورد الجميل.
- البركة في هاني، هو من أعاد لها الحياة.
- واضح أنه يحب لبني جدًّا.

شمليها بنظرة عتاب:

- وهي تحبه جدًا، وقعت بين اختيارين، ابنتها وحيها؛ فاخترت الحب.

رفت برموشها:

- يقينًا لن تضحي بابنتها.

- ولن تضحي بحبيبها.

واحتوته بعينها لترد على عتابه بعتاب.. بلوم.. لا تؤذني بكلامك، سامح
إحساسي بحبك يعذبني حتى اللحظة.

وهل تحسبينه حبًا؟!

وما الحب؟

أن أعطي كل شيء.

وأخذ منك كل شيء.

ضغطت جفونها حتى لا تبكي:

(وأعطيك كل شيء، ولا تؤذني في مشاعري، أو تؤذني بكلمة).

حاصرته نظرتها مرغمة..

ساعات ساعات بهرب كثير معاك..

أغرق في بيت الذكريات..

جلس على مقعد قريب، وقال:

- شكرًا، جاءت رسالة من البنك بتحويل الفلوس.

قالت، وهي تتأهب للانصراف:

- لا تعرف بابا.. بعد كل ما حصل يحبك!

رشقها بنظرة، وقال:

- أتمنى أن تقنعيه بإصلاح الخطأ.

غمغمت:

- حاضر.

تصبح على خير.

ودعته وانصرفت.

** **

نشوى الشناوي

قبل يوم من عودته، أخذت جولتها المعتادة على غرف المرضى، ومررت على قسم النساء والتوليد، ترددت في المرور على دكتورة كوثر عبد الشافي، فلم تعد تهتم بأن تنجب طفلاً، وهي تعيش برودة سقيمة، بعدما جفت رغبتها، وأوشكت أن تنضب نشوتها، وهي تعبر المكتب رآته مغلقاً، رطمها هاجس كدفقة هواء باردة، سألت ممرضة مرت إلى جوارها:

- هي دكتورة كوثر في إجازة؟

قالت لها:

- ستعود من السفر بكرة.

ارتعدت جوانحها..

سفر!

- كانت مع دكتور شريف، وراجعين بكرة إن شاء الله.

تحولت دفقة الهواء الباردة إلى بركان صهر الوجود بلون أحمر كالنار.. حرق جوفها وسحق عظامها، كادت تصرخ.. يا خائن يا ابن ال...، قادت سيارتها، وانطلقت إلى الشوارع، غامت تفاصيل الحياة، تكتسحها عواقب اختياراتها البائسة، أن لها أن تصدق كل ما حدث، شلّ جسدها وهي ترى آثار حريق نظرتة المهينة.

انتظرت عودته، مرت الساعات ثقيلة كدهر ليس له نهاية، حبست نفسها، تخشى أن يراها الناس فتجرحها العيون، وتأكّل سيرتها ألسنة حادة، تزوجته يا خائبة؟! نمت معه؟ جربت لذة الحب؟ يا خيبتك يا.. همهم... قبعت على سريرها

دون حراك، تنتظره لتجمع شتاتها في حضرتها العفنة، لعلّ يصيبها عنفه ببركان تطلقه في وجهه فتحرقه، في العاشرة صباحاً جاء رنين الهاتف كطينين حشرة ضخمة، رأت اسمه وصورته، ارتعد قلبها، ولكنها تماكنت نفسها:

- ألوه.

- حبيبتي وصلت من السفر، سأمرّ على المستشفى.

- سأكون هناك.

ارتدت ما وجدته من ثيابها في سرعة، وخرجت لتكون في استقباله، اجتازت الرواق والممرات حتى وصلت مكتبه، مدّت قبضتها لتفتح الباب؛ فوصلها صوت صراخه من الداخل..

- اخرج بره مكتي.

رد صوت رؤوف وبادله صراخاً بصراخ:

- لا يشرفني دخول مكتبك هذا، ولكن حتى لو تركت المستشفى كلها، لن

أتركك يا شريف يا سامع.

- أنا في يدي ما يدخلك السجن.

انفجرت ضحكة عالية، وقال رؤوف:

- ههه... سنرى مَنْ منا سيدخل السجن، لكن قل لي: شبعت من نشوى

الشناوي، وعجبك جوّ كوثر عبد الشافي؟

- قلت لك اخرج.

- أنا لا تهمني حياتك الخاصة، زواجك العرفي من ممرضات، وعاملات

الكير سرفيس، وذوقك الزبالة أنت حر فيه، لكن كله كوم، وصابرين

البنيت القاصر كوم، تزوجتها بحتة ورقة عرفي، حتى أنجبت طفلة
فتنكرت لها.

واصل الصراخ:

- لم أضرب واحدة ممن على يدها.

- لن أترك صابرين فريسة، موعدنا في النيابة يا دكتور.

فتح شريف الباب، وأشار له:

- اخرج بره.

عبر التفاتة نحو كفه الممدودة رآها، احتقن وجهه، وشملته دوامة غامقة

كرماد أسود، وغمغم:

- نشوى!

مرت اللحظة الثقيلة، خرج رؤوف، وأشار لها بالدخول، قال لها عندما أغلق

الباب:

- رؤوف إنسان مريض، أنا ممكن أبلغ عنه، وأحوله مستشفى المجانيين.

همهمت ساخرة:

- قلبك أبيض!

احتقنت نظرتة، وتغيرت ملامحه حتى صار وجهه كالحا.. كئيبًا، وجه رجل آخر،

لم تكن تعرفه، وقال:

- نشوى، أنا سأشرح لك، الحقيقة أذ..

قاطعتة، وقالت:

- أنا أنتظرك في البيت.

واستدارت نحو الباب، وأسرعت بالخروج. لحقت بالدكتور رؤوف في قسم الأشعة، كان وجهها محتقناً، شعر بالأمها، فقدم لها كرسيًا، جلست، وغمغمت شاكراً، احتواها بنظرة أسفة، وقال معترفاً:

- أفكر أنا حاولت أنبهك أكثر من مرة.

جمعت شتات نفسها:

- خدعني، ولا أعرف كيف أتصرف في هذا الموقف؟!

- هذا قرارك يا دكتورة.

امتقعت ملامحها، وهي تقول:

- هو سيئ لهذه الدرجة؟!

طلب لها الشاي، وقال:

- للأسف.. الخيانة وراثة، حاجة في جيناته، أبوه الشاعر اليساري الكبير

الدكتور محمود السامع، خان أستاذه، استغل دخوله السجن في

قضية سياسية، وأحب زوجته -أم شريف- بعد انفصالها عن الأستاذ

تزوجها، حكاية سخيفة مكررة وسط الجماعة اليساريين، الزوجة

والأستاذ والتلميذ.

قدم لها الشاي، وقال لها:

- أنصحك بأنك تأخذي فلوسك منه، لأنه لا أمان له.

واستدرك:

- على فكرة، كان متفقاً مع كوثر عبد الشافي على كل حاجة.

- كل حاجة؟!

- عملها كثيرًا، يبدو أنه تعلم من مطب صابرين، لم يشأ أن ينجب ممن تزوجهن.

.....

** **

ليلى أبو زيد

حبيبي جلال.

اليوم انتهيت من جمع مبلغ القسط الثاني، مر أكثر من عامين على الكارثة، ولكنني على العهد معك، ومع نفسي، نعم.. يقيني أنك تعرف.. بل ترى وتسمع، وتشعر بي، يخيل إليّ أنك تنتظر في مكان ما، تراقبني، وستحين لحظة عودتك، وأفتح لك الباب لتجدني في انتظارك، حبيبي.. أنا في حاجة ماسة إلى وجودك معي، وغير قادرة على أن أتصور أنك بعيد عني، فلا يجب أن تكون في مكان بعيد مظلم. على الفور بدأت تنفيذ خطة التطوير، راجعت مع سامح والمهندسين كل التفاصيل الفنية والمالية، ودخلت مكنتي.

وجدت ماجد في انتظاري، تفحصت وجهه، كانت بقايا أوجاعه لا تزال عالقة به، قال لي في اهتمام بالغ:

- عرفت النصّاب الذي خدع أبي.

بادلته الاهتمام ذاته، وسألته:

- مَنْ؟

قال في حماس:

- عصمت أبو النور، من ضمن الخبراء المعدودين في علم الكمبيوتر في العالم، اشترك مع سرحان عبد الشفيق في المؤامرة، والمستندات التي وصلت هاني، تثبت أنّ جرت رشنس استحوذت على شركة "أبو النور" بعد ما تمت تسوية ودية، لقفل التحقيق في دول أوروبية، في عمليات

- غسيل أموال، ولكي يقطع علاقته بالموضوع، باع حصته إلى جرت رشنس، ثم عاد واشتراها مرة أخرى.
- تفكرت قليلاً، ثم قلت:
- وسرحان أرسل الملفات على إيميل هاني، حتى يدين عصمت في حال كشف الحقيقة!
- قال ماجد راجياً بلهجة خافتة:
- ماما لا أحد يعلم غيرك حتى إخوتي، حتى أجمع أنا وعزت سليم كل الأدلة، هؤلاء قتلة محترفون.
- استبد بي القلق رغم حيرتي:
- أعرف، لكن...
 - بدأت حرب تكسير جماجم بين عصمت وبين ناسي القوصي، وطبعاً حسين رأفت لن يدع زوجته فريسة سهلة له.
- سألته في اهتمام بالغ:
- وتفكر هذه الحرب ستحل اللغز؟
 - نتيجتها ستكون لصالحنا.
- ثم وقف وقال:
- السبب الثاني للزيارة، أنا وعزت اعتمدنا قراراً باستلام دفعة أولى من إنتاج مصانع الشناوي.
 - أتمنى ألا تتكرر المشكلة.
 - سرحان بعد تهديده بالقتل، لم يخرج من مكتبه.

خطا نحو الباب، وقال:

- ضروري أذهب إلى المصنع الآن.

قبلته وسرت معه:

- مع السلامة يا حبيبي، انتبه لنفسك.

- حاضر.

خرج وعدت إلى مكنتي، جلست إليه، نظرت إلى صورتك ثانية، دوّمًا أراك معي، أتبعك في كل مكان، وتتبعني، تذكرت تفاصيل اجتماعي مع مسئولي جرت رشنس، لعقد الاتفاق، أمسكت بالقلم وظلت يدي عالقة للحظات، وسألتك.. هل أوقع؟ أم أمزق الأوراق، وأقذفها في وجوههم؟! هل هي خدعة جديدة؟! وهل...؟! ارتعدت وتملكني الخوف، والتردد.

** **

شريف السامع

كشفتك أيها المخادع الكبير، نعم هي أكبر لعبة لعبتها، كسبت منها عشرة مليون جنيه مرة واحدة، قبلها كانت خدعك مع النساء لا تنتهي النهايات السعيدة مثل أفلام السينما، ودومًا يحدث ما يفسدها في اللحظة الأخيرة، لتنتهي إلى لا شيء، تكررت كثيرًا حتى صارت مثل الاسطوانة المشروخة، إلا هذه المرة، مع نشوى الطيبية القروية، وحيدة العمدة الثري، توقعها ساذجة رغم ذكائها، وسيسقطها حتمًا في شباكه التي احترف نصيها، وساعدته سيناريوهات بائسة، على إنجاز مهمته، حتى سقطت كما سقطن.

عاد متأخرًا فوجدها في انتظاره، انتصبت متأهبة فور دخوله وسط الريسبشن الفسيح، بجوار حقيبة ملابس ضخمة، فقال مستنكرًا:

- نشوى! ما...

قاطعها صوتها مشحونًا بثورة:

- لا تنطق اسمي على لسانك.

اقترب منها، واحتواها بعينيه، وقال مواصلاً استنكاره:

- حبيبتي أنا...

أشاحت عنه، فلم تعد تُطيقه، أرادت أن تبصق على وجهه الكريه، وهو يواصل

في هدوء:

- أنا عرفت قبلك نسوان، لا أنكر، لكن أحببتك أنت، وتزوجتك رسميًا،

ووافقت أن تكوني شريكتي.

ثقبت وجهه بنظرة حادة، وقالت ساخرة:

- وستكون كوثر عبد الشافي شريكة أيضاً؟!

قال وسط ضحكة مسكونة بالعفاريت الزرقاء:

- صدّقتِ المجنون رؤوف؟ يا حبيبتي كوثر مَنْ؟

- تُنكر أنها سافرت معك، أخذتها وتركتني.

تساقطت عفاريت ضحكته، وهو يواصل أكاذيبه:

- يا حبيبتي، كوثر دفعة كرستينا، وصاحبتهما من أيام الجامعة، والحقيقة

إذن أن كوثر هي من أقنعتها؛ ليكون مستوصف السامع فرعاً من

باركلينا، وهي أصرت على سفرها معها، أصحاب بقي.

- والله؟!

- خذي مهدئاً حتى تهدأ أعصابك، وبكرة أعدك ممكن نتفاهم.

تابعت عفاريته وهي تقفز أمام وجهها، وقالت مهددة:

- اسمع بقي أنت تطلقني، وتسلمي العشرة مليون!

اتسعت عيناه كعيني غول مقزز، وانفجر ضاحكاً:

- ههه... طلاق وعشرة مليون؟!

واستدرك وهو يخلع الجاكت:

- تطلقني سهلة، لكن العشرة مليون، لا أنتِ ولا أبوكِ ممكن أن تلمسوا

منها مليماً.

احتدت لهجتها، وقالت في قرف:

- اكشف وجهك الحقيقي يا نصّاب.

التفت نحوها، ولوّح بكفه الغليظة الخشنة، وصفعها، فأطاح بها بعيداً، ولكنها

لم تسقط أرضاً، وأطلقت نظرة كرصاصة إلى وجهه، ثم قفزت عليه، انهالت عليه

ضربًا، حاولت قضمه بأسنانها، أخذته قوتها المفاجئة، حاول إبعادها ولكن تملك منها جنونٌ كاسح كادت معه ترديه أرضًا، ردّ الضربات بلكمات متتابعة، وركلات في كل جسدها حتى تمزقت ملابسها، وخارت قواها، دفعها إلى الباب، وهي تقاوم بما تبقى لها من قوة، حتى تهاوت وقذف بها خارج الشقة، وسط تجمع حشد من الجيران، غامت التفاصيل، حتى تلاشت صور الوجوه المعتمدة من حولها، وحلّ ظلامٌ أسود.

** **

هاني الشناوي

- عبرا شارع صلاح سالم إلى شارع بيروت، اصطحبته إلى داخل شقتها..
 أتعرف يا هاني؟ أنا لم أبرحها منذ عودتي من سفري، أعشق كل ركن فيها، كل ذكرياتي هنا، وخصوصًا المكتبة، كان أبي يحمل جزءًا منها في كل تنقلاته الكثيرة، فتحت الباب ودخلا، جال بعينيه في الصالة الفسيحة، فقالت له:
 - أبي كان المثقف ربما الوحيد المتسق مع أفكاره، مثلك تمامًا، لذلك تمسكت بك، وعلى استعداد للتضحية من أجلك، فقدت أبي، ولن أفقدك مهما حدث. رمقها بعينيه، سوّى شعرها بأصابعه، وهو يبحث وراء كلماتها عن شيء، تفشل كعادتها في إخفائه، سألهما:

- لنا مع أبيها الآن؟

غشى بريق نظرتها إحساس بالذنب، وفتحت باب المكتبة، وقالت:

- يهيا لي أن في حياة كل إنسان ما ينغصّها، لنا هي مشكلتي.

ثم غيرت من لهجتها، وأشارت إلى الأرفف العامرة بالكتب، وقالت:

- قل لي رأيك؟

نزعت كتابًا قريبًا من يدها، وقالت:

- الكثير من الكتب عليها إهداء من مؤلفيها، نجيب محفوظ، يوسف

إدريس، سعد الدين وهبة، رسائل الدكتوراه، والكتب العلمية،

سلاسل، وموسوعات، وو..

مدّ يده، وأمسك بكفها، وسألهما:

- لم تقولي.. لنا استقرت مع أبيها؟

قالت باقتضاب:

- نعم.

قبلت يده وقالت معاتبة:

- لا تذكرني به، فلن أسمح لك أن تضيع لحظة الرومانسية الجميلة.

شملمها بحبه، فواصلت رجاءها:

- أرجوك، لا تضع حبنا العظيم في اختبار صعب.

- اختبار وجودي، تزوجنا لننهي كل الاختيارات الصعبة التي تهدد حبنا،

وأظن أنك حسمت الأمر.

تعلقت به، وقالت:

- تزوجني لتكوني إلى جوارى، هاني أنا في محنة، لأنني لن أستطيع بمفردي

أن أنقذ ابنتي من إغراءات أبيها.

- أنا فكرت في هذا السؤال.. هل أصبح صعباً أن نعيش صح، أم أن معايير

الصح والغلط تغيرت؟!

عبثت بصدرة، وقالت:

- ووجدت إجابة؟

- للأسف إجابة صادمة.. قيم الفن الجميل والحياة الحقيقية الآن

تخوض آخر جولة في معركة خاسرة، ضد ثقافة ضحلة، وحياة كلها

ادعاء وكذب، مسنودة بقوة جبارة.

تعلقت به أكثر، وقالت:

- ولمَ نجعلها معركة خاسرة! مامتك.. ماما ليلى وقفت وتحدّثت وصمدت، ومستمرة وستنجح في الوفاء بالدين، لو حسبتُ أنّ الوقوف أمام قوة جبارة بمثابة انتحار، كانت سلمتُ من أول جولة، وأضاعتُ كل حاجة. نظر إليها، عيونها لا تكذب، قبلها ثم ضمها وضغط عليها، فقالت:
- ساعدني لأكون مثل ماما ليلى.
- رفع وجهها تأمل عينيها، وغمغم:
- لا أفهم.
- فلوس ابنتي سأعمل بها مؤسسة كبيرة، ونديرها معاً.
- فك ذراعها المعلقة به، وقال:
- مُصرّة تخدعي نفسك؟ فلوس مصطفى العناني فلوس حرام، والمؤسسة الكبيرة، مثل جرت رشنس واجهة شرعية، تستوفي كل شروط الجودة، والصلاحية القانونية، لعملية غسل أموال قذرة.
- هاني أرجوك!
- قاطعها:
- قلتها لك مرة، بل مرات.. لو قبلتِ فلوس مصطفى العناني يبقى كل منا في طريق.
- عاودت التعلق به، وقبلته عنوة، وقالت راجية:
- أرجوك يا هاني، لا تتركني، أرجوك حاول تفهمني.
- مسّد وجهها، وأطلّ إلى عينيها السوداء العميقة، وقال:
- حبيبتي محاولة التكيف مع معايير ثقافة العولمة، هي خداع للنفس.

استقرت بين ذراعيه، وقالت:

- ولماذا لا نفهم ما يحصل حولنا، ونتعامل معه قبل ما القطار يفوتنا،
ونندم على ضياع الفرصة؟

قال أسفًا:

- هذه مانشتات للتبرير، وترحيل لكل القضايا للأجيال القادمة، وللأسف
أهدرنا كل رصيدنا، ولم نترك لهم أي فرصة للمراهنة أو المناورة، كل
هذا لمكاسب تافهة.. رخيصة.

- يا حبيبي الزمن-والظرف في العالم كله- تجاوز هذه اللحظة، واليوتوبيا
التي ليس لها وجود إلا في أحلام الفنانين والحالمين.
ضمته إليه أكثر، وواصلت كلماتها:

- هاني، أرجوك لا تتخلّ عني، لسوء حظك أني أحبك، ولن أتصور حياتي
بدونك.

فك حصارها، وقال:

- بعد إذنك.

وأسرع بالخروج، تاركًا نداءها يتردد وراءه.

** **

نشوى الشناوي

يعتصرها ألم عميق، وكأنه نيران تعبت بجسدها كله، تناوبتها صرخات الفزع
وأشباح تتخبط في رأسها، تبحث عن ثقب لتدخل فيه، لتعيث فيه الفساد بنهم
وحشي، مرت ساعات وهي غائبة عن الوجود والألم، حتى زحف وعيها إليها
متثاقلاً، لينتبه جسدها على أوجاع عميقة، غمغمت بدون صوت، قبل أن تفتح
عينها، وتراه جالساً أمام سريرها..

سامح؟ من أتى بك؟!

اتصل البواب برقمي، وحكى جزءاً مما حصل لكِ.

انخرطت في البكاء، تراءت لنفسها وقد جردها عنوة من ملابسها، وألقى بها
عارية وسط الجيران، لتسرع إحداهن بسترها بملاءة عن العيون، حرّكت رأسها
نحوه في صعوبة، وقالت غاضبة:

- اذهب لا أريدك.

- اهدئي.

تزوجت؛ لأهرب من حيي لك.

نشوى!

- لبيتك كنت رفضت، قل لا.. لن أطلقك، ولكنك قلتها، طاوعك قلبك

وقلتها، لو تركتني عالقة، ما كنت تزوجت هذا المنافق، سامح اذهب

أرجوك.

انخرطت في البكاء، فقال:

- نشوى لازم الهدوء لتعبري الأزمة.

- أيّ أزمة! حياتي كلها أصبحت أزمة.

سامح أذهب أرجوك، لا أتمنى أن تراني وأنا في أسوأ حال، لتقول لي مَنْ

أخترته بدلاً مني بهدلك، وطردك في نصف الليل عااا...

وواصلت البكاء، مد يده وربت عليها في رفق، وقال:

- مستحيل أشمت فيك، اهدئي.

واصلت بكاءها، وهي تقول:

- ابن كلب، قليل الأصل، لم أتخيل أن يهينني أحد بهذا الشكل.

تبددت كل رهاناتها كسحابة عابرة، ولم يبق غير قلبها الذبيح معلقاً أمام عينيها،

نظرت نحوه..

سامح لم أكن قاسية، أنت مَنْ قسوت عليّ، تركتني وأنا في قمة ضعفي،

تركتني لهذا الأفاق، ليسرق أموالي، ويسرق جسدي، ليعيث فيه فساداً.

يقيناً أخطأنا، من بدأ؟ ومن انتهى؟ لا يهم، لكننا أخطأنا.

.....

بعد أسبوع سافرت إلى البلدة، وأسقط في يد العمدة، غام وعيه، وخارت قواه،

تحرك مثل طائر كسر جناحه، ورتف ريشه، حبس نفسه هرباً من طير جارح

ينقضّ عليه لينقر لحمه العاري، ومن نظرات زوجته الملعونة، عقد لسانه، حتى

قالت له وهي تهز رأسها مثل البومة:

- أنت أكلت سد الحنك؟!!

وقبعت أمامه لتشبع شرّها من هيئته الذليلة، وقالت:

- أنا عندي حلّ يرجع فلوسك، ويطلق بنتك، والجزمة في بق أمه.

رمقها بنظرة كليلة، فمالت بجذعها نحوه وقالت:

- لكن نتفق الأول.

احتواها بنظرة، وقال:

- لو عملتِ ملعوبًا وانكشفت، ولا أعرفك.

ضحكت ساخرة، وقالت:

- هئ هئ، من زمان يا خويا وأنت لا تعرفني، ولا أنا أعرفك.

- نتفق.

- العشرة مليون، لي نصفهم.

احتواها بعينيه، وقال:

- موافق.

هبت واقفة، وقالت:

- اتفقنا.

** **

-25-

عزت سليم

لم يعد يشعر بالدهشة من أي شيء، ولم تزح فرحته بابنه الوليد -عزت- حزنه على ابنته الراسخ في قلبه كحجر، فيفي حلم حياته الجميل الذي مرّ سريعاً، يباغته الحزن كثيراً، يحاصره كالقضبان الفولاذية، حتى خشيت زوجته عليه، وقالت لأختها أماني:

- خائفة عليه يا بنت، حزن على ابنته أكثر من أمها، كل يوم تأتي السنتر عاملة في روحها، كأنها بنت عندها عشرين سنة.

تقول أماني:

- موتها يا عيني كسر ظهره!

تحبينه يا أميرة؟

- أبو ابني.

لم يعد شيء يرتقي إلى ألمه عليها، شاركه ماجد مشاعره الفياضة، كلما تذكرها تواصل معها، وانطلقا على طريق بعيد، هرباً من الآذان والعيون. دخل سرحان، وتبادلا النظرات للحظة، وجهه المشوب بحمرة قانية، المحقون بخليط من مخدر وأعشاب البحر، وكعادته يتيه ببذلته الفاخرة، وكأنه على موعد لعقد مؤتمر صحفي، شمله عزت بذات نظرتة الثاقبة؛ ليرفع عنه ثيابه. فمنذ حادث التهديد بالقتل، تلاشى رواء وجهه المصقول، وغشيته مسحة رمادية؛ فبدا كالمسخ، قال متعجباً:

- الحرب استعر أوارها، وأنت اكتفيت بالجلوس على مقاعد المتفرجين؟!
كان في أضعف لحظاته، ويخشى على حياته من رصاصات طائشة تقضي عليه
في الحال، أو تمرغ كرامته في تراب السجون، فور الكشف عن عمليات التديس
والنصب التي برع فيها.
رمقه للحظة، وقال معاتبًا:

- رجعت للتعامل مع مصانع الشناوي، دون علمي؟
كان عليه أن يطيح به، ولكنه قبض على أعصابه، وقال مهددًا:
- الطلبية الأولى رجعت، وهددت ماجد بالرفت، والتقير كان متجنيا ولم
أدخل، هذه المرة لن أسمح لك بذلك.
شملة بنظرة، لم تخل من خبث، وقال ساخرًا:

- لهجة جديدة يا عزت! أكون هناك غرام جديد بينك وبين أرملة جلال
الشناوي وأولادها؟!
علته ابتسامة باهتة، وقال:

- غرام؟! همهم... لا وأنت الصادق، صحوة ضمير.
واصل سرحان سخريته:

- صحوة الضمير الآن؟ جاءت فجأة، وبدون مناسبة؟!
قال عزت مؤكداً:

- طبعاً فيه مناسبة.

وثقبه بنظرة حادة، واسترسل في حديثه:

- فيه حرب تصفية حسابات قديمة، بين...

واستعداد رغبته في الضغط على أعصابه، واستدرك:

- مشهد التهديد بالقتل، رغم حذفه من الكاميرات، أنا احتفظت بنسخة

ديجيتال منه عندي؟

قال في عصبية:

- نانسي هي المقصودة.

شدّد عليه الحصار، وقال:

- وأنت شريكها، والخير المثلّم لتركه عصمت، وساعدتها في الاستحواذ

عليها، وهذا سبب عودة أبو النور.

استعاد سرحان هدوءه، وقال:

- الخير المثلّم هو نسيبك القديم حسين رأفت، وأنصحك تنصحه

ينصح نانسي تتفاوض مع عصمت، قبل ما يكبر الموضوع.

- والمباراة تنتهي؟ ونحرم من متعة المشاهدة لفيلم صراع الجبابرة؟!

جلس سرحان، وقال:

- كلنا سنخسر، وحتى أنت وزوجتك، الكل خسران!!

- فيه أغنياء حرب.

ثم رفع سبابته نحوه، وأكمل:

- غيرك.

أخرج عزت سيجارًا، وقال وهو يفضُّ غلافه:

- الذي بدأ المأساة بينهما، أنت تقدر تقنع نانسي، وتكون السفير المفوض

للنوايا الحسنة، وتزعم فتيل الحرب بينهما.

قال غاضبًا:

- دماغها صعيدي ناشف، حاولت معها رفضت.

أشعل السيجار، وقال:

- تفتكر خطتها، مرسومة أن عصمت وحسين يقتل كل منهما الآخر، وهي

تكون الرابع السوبر، تستحوذ على ثروتهما.

قال متفكرًا:

- هي قالت لي إنَّ معها حاجة ضد عصمت.

- حاجة؟!!

- حاجة "صغنتوتة"

رشقه عزت بنظرة، وقال في يقين:

- وضدك أنت أيضًا.

تبادلا نظرة ذات مغزى، وعمّ الصمت المكان.

** **

سامح الشناوي

لحظة الحقيقة راوحت مكانها، انتبه من شروده وهو يقود سيارته، لازمته صورتها وهي مهينة، مطعونة في كرامتها، تناثرت قطرات أوجاعها فأصابت شيئاً في صميم الحقيقة التي حاولا التنصل منها، لربما تكون لا شيء.. مجرد كذبة كبيرة.. وهم، لكن الآن بدت جلية واضحة، فما بينهما طوال سنوات مضت لم يكن إلا حباً، وخلود.. أحبّ فيها أشياء، وأحبت فيه أشياء، أما شريف فسوف يلقيه درساً لا ينساه.

وصل المستشفى، تملأه رغبة في الانتقام منه لنشوى، ولنفسه، يطارده هاجس مرعب، خاطرة لعينة خامرت عقله واستنكرها مراراً، ولكنها الآن تحولت إلى حقيقة، فهذا المجرم، المخادع، عبث بأعضائه، ليبتز رجولته عن قصد ونية خبيثة، لتكن بداية اللعبة القذرة، دخل مكتبه عنوة، وصوّب إليه نظرتة الغاضبة؛ فتلاشت الابتسامة الواسعة، وتغيّرت ملامحه فجأة، ووقف متأهباً للخروج، وقال:

- آسف أنا مشغول جداً، تفضّل اعرض نفسك على أي دكتور.

قال سامح في هدوء:

- لن أعطلك، هي كلمة واحدة.

رد عليه مستنكراً:

- لا وقت عندي، تفضل.

- أنت مجرم.

فتح شريف الباب، وأشار له:

- أه.. لو لم تخرج حالاً، سأتصل بالأمن يرميك خارجاً.
- تضرّبها وتطردها عارية من البيت، ويحملها البواب ملفوفة في ملاءة إلى المستشفى؟!!
- نشوى حتى هذه اللحظة زوجتي، ولا يحق لأي مخلوق التدخل فيما بيننا، تفضل اخرج.
- بهدوء ومن غير مشاكل طلقها.
- يا سلام! بهدوء ومن غير مشاكل! ما رأيك في أني أموت في المشاكل.
- ثم رفع صوته وهو يخطو خارجاً:
- سكيورتي؟
- حضر ثلاثة من رجال الأمن على عجل، فأشار في قرف، وقال:
- ارموه في الخارج.
- تطلع سامح إلى وجه يمنحه فرصة نادرة لإطفاء نظرتة الخبيثة، وعليه أن يطفئها، ويقتنص لذة الانتقام منه، لوّح بقبضته وأطلقها مثل رصاصة قوية إلى وجهه، فألقاه أرضاً، أحاط به الأمن، وجاء صوت دكتور رؤوف:
- لو سمحتم، هذه مشاكل عائلية، تفضلوا.
- وأشار لهم، فانصرفوا.

** **

حسين رأفت

ضرب الكرة فأطاح بها نحو بحيرة صناعية، ينساب فيها ماء شفاف، واستدار نحوها، وقال:

- عصمت لا يعمل بمفرده.

ردت لتؤكد له:

- ولم يأتِ مصر بمفرده.

ترك الكرة بعيداً، وجلس إلى جوارها، وقال:

- أخشى عليك منهم.

رأت صورتها في عينيه، كم أحببت هاتين العينين، لعلها عشقته من أجلهما، كيف تحملت فقدهما، بل كيف تزوجت من الحشرة.. العنكبوت اللزج عصمت أبو النور؟! نعم أبهرها بعلمه الغزير، بقدرته على اختراق منصات، وقواعد بيانات لجهات سيادية حساسة، أوعز لها ظنهما السيئ، باللعب معه، تغريه بسلاحها الذي تراهن عليه في كل مغامراتها، أنا أنثى لا مثيل لي، حواء هذا العصر، عصمت اسمعني: لنلعب لعبة العمر، نضع أيدينا على الأرصدة السرية المحصنة، صناديق المعاشات، أرصدة تأمين لم يطالب بها أحد منذ سنوات، ثروات طائلة دون صاحب، جمعها لصوص، وملوك، ورؤساء من دماء شعوبهم ثم أطيح بهم إلى مزبلة التاريخ.

واصلت النظر إليه، وهو يتكلم، لم تسمع كلمة واحدة مما قال..

تزوجتُ عصمت لأعود لك، وأتركه معلقًا في خيط حبّه الواهي، الغبي كان يحلم بالوصول إلى منصة التتويج ويتسلم جائزة نوبل من ملك السويد، تركها وجاء منصتي ليصوّب نحو رأسي مسدسًا سريع الطلقات.

حرك حسين كفه أمام عينيها، وقال منيها:

- نانسي؟

انتهيت وردت:

- نعم!

- عصمت على وصول، وضروري ننهي الموضوع.

رشقته بنظرة، وصوت حاد:

- لن أردّ له مليمًا واحدًا.

- تملكين خطة، أم هو مجرد رهان؟

وقفت وخطت خطوتين، وقالت:

- أراهن على غبائه.

قال مخفيًا ضيقه:

- عصمت ليس غبيًا.

وأخرج كرة من جيب الشورت، تناولتها منه، وضربتها بالمضرب، وهي تقول:

- من يرمي بكل كروته قبل بداية اللعب غبي، أنت رأيت وسمعت.. كل

حقوقني ترجع لي، أو الخيار شمشون، اختياره واحد، وأنا اختياراتي

كثيرة.

وصلهما من الخلف صوته:

- جميع اختياراتك لا تجدي معي نفعاً.

خطا عصمت نحوهما، فرمقته نانسي بنظرتهما الواثقة، وقالت:

- سنرى.

قال حسين لهما:

- جئنا هنا لننهي المشكلة.

قالت نانسي:

- أنا ليس عندي مشكلة.

تبادل عصمت معهما النظرات، شعر بأن هنالك أمراً مبيتاً، فقال:

- أنا قلت كل ما عندي، كشفت كل الكروت، وجئت لإنهاء اللعبة.

ضحكت نانسي طويلاً، وقالت في سخرية:

- ههه... تنهيا بطلقة رصاص؟!!

التفت إلى رابية خضراء، حيث بدأت قوة من البوليس تقترب، فضحك:

- ههه... أقتلك في حضرة البوليس الهمام؟ المائدة الخضراء لا تخلو من

زبائن، ولو انسحبت من اللعب، يوجد من يكملها معك.

اقترب البوليس، فقال عصمت همساً:

- بصمة جلال الشناوي الإلكترونية الخاصة بفتح أرقام حسابه في

البنوك، التي أخذتها من موبايلي...

أحاط به جنديان، وواصل وهو يخطو معهما مبتعداً:

- وأنا حوّلت على حسابه الهياي فونديشن، خاصة برؤوس كبيرة لن
ترحمك، قل لها يا حسين، كلها أربع وعشرون ساعة وأخرج؛ لنكمل
كلامنا.

اختفى عصمت وراء الرابية، وحاصر حسين نانسي بنظرة اتهام، وقال:

- بلغت البوليس؟!

- أنا لا أترك تأري.

قال غاضبًا:

- ثأر؟! أنت ساعدته على تنفيذ خطته، يشغل البوليس؛ ليفسح الساحة

للآخرين لإكمال المهمة، قلت لك عصمت لا يعمل بمفرده.

ردت لتؤكد له ثانية:

- وقلت.. لم يأت مصر بمفرده.

شملمها بنظرة، وسألها:

- ما خطتك لخوض هذه الحرب؟

وأكمل وكأنه ينهرها ساخرًا:

- ستقفين بطولك أمام كتيبة إعدام!

قالت بلهجة من احتوت قياد غريمها بسياج صلب، قالت:

- فقط كن في ظهري، احمني من أي غدر، وسترى!

مسد شعرها، وقال:

- لكي أحملك لا بد أن أفهم.

تعلقت بيده، وقالت:

- تعال معي.

-

-

** **

شريف السامع

دخل شقته بعد يوم شاق خائر القوى، استلقى على سريره، تحسس موضع اللكمة التي أطاحت به أرضًا، وأغمض عينيه؛ فأحاط به الظلام، وسرى خدر النوم عبر جسده لدقائق، تراءت له وسط الظلام أشباح تخطو نحوه، فتح عينيه فهالته حقيقة وجودهم الراسخة، رفع رأسه مذعورًا، فعاجلته لكمة، ثم كفان أطبقتا بقوة فولاذية على فمه، حاول المقاومة، والصراخ، ولكنهم انقضوا عليه، وأحكموا وثاقه، في دقيقة واحدة بات مقيّدًا تمامًا، حرك جذعه؛ ليفلت منهم، فتلقى ضربة حادة على عنقه، أسقطته في جُبِّ أسود. وعلى الفور ألقى به في صندوق سيارة نصف نقل، انطلقت به على الطريق، أفاق بعد ساعة؛ ليجد نفسه في مذود بهائم، اخترق قلبه رعبٌ قاتل، جال بعينيه وسط الحظيرة، فغمت رئتيه برائحة لا تطاق، حاول الصراخ بضم مغلق بلاصق سميك، صدرت عنه همهمات مختنقة.. ضعيفة.. واهنة، ثم دخل رجال في جلابيب سود، وعباءات ضخمة، فأيقن بحدوث مأساة محققة، ستطيح بكرامته، وتسحق رقبته، تبادل معهم النظرات المهمة، تقدم أحدهم ونزع اللاصق في عنف، وعلى الفور صرخ فيهم:

- سأسجنكم يا قتلة، أنا دكتور شريف السامع، شخصية عامة، أبي

دكتور محمود السامع، اليساري الشاعر المعروف يا جهلة.

شقت طوق الرجال المحيطين به، وأطلت عليه، فأتسعت عيناه:

- مَنْ! حماتي؟

خطت نحوه، أمعنت بنظرة كريمة إلى وجهه، وقالت:

- هئ هئ... تضرب بنتي، وتطردها عريانة في نصف الليل؟!
 - اعتدل رغم قيوده، راکعًا أمام زينب، ومدّ فمه ليقبّل يدها، وقال:
 - الشيطان الملعون يا حماتي، لكن أنا على استعداد أبوس رجلها.
 - جذبت المرأة شعره في عنف، وقالت:
 - كما أخرجت ابنتي عارية، سنخرجك من هنا عريان، وتمشي في الشارع بلبوص.
 - انقضت عليه مخاوفه من الفضيحة والضياع، وقال راجيًا:
 - لا يا حماتي، كله إلا البلبوص!! لا، لا..
 - ونصوّرك بالمحمول، ونشيرها على النت يا روح أمك!
 - لا لا..
 - طحنته بنظرة حارقة، وهي تخرج قصاصة ورق من صدرها، وقالت:
 - تتصل بأهلك الآن- لو لك أهل- العشرة مليون، بكرة يحولوها لحسابي، ترسل صورة رقم التحويل على الواتس.
 - حاضر.
 - وأشارت للرجال:
 - دخلوا المآذون.
 - دخل الرجل حاملاً دفاتره، وهو يردد:
 - يا جماعة إنّ أبغض الحلال عند الله الطلاق.
 - لكزته زينب، وقالت:
 - شيخ عبد النبي، طلق.

- حاضر.

** **

ماجد الشناوي

أمي..

اليوم اقتحمت مكتبي الفرسة البيضاء، خطت نحوي، جميلة بحق، ولكنها مخيفة.. حوتٌ وسط عالم أسماك قروش المال، أتعشم أن تكون نهاية فيلم العصابة المجرمة، قد أن.

.....

أشاح عنها، وتساءل باقتضاب:

- نعم!؟

صرخت وأشارت بسبابتها في وجهه مهددة:

- طلبية مصانع الشناوي، غير صالحة.

ضغط على أعصابه المشدودة، وقال:

- لن ترجع منها فتلة واحدة، لقد أقرتها واعتمدتها اللجنة.

ألقت بملف أمامه، وقالت:

- أنا طلبت مراجعة من الجودة، ومعمل الفحص، تفضل أقرأها كويس.

استدارت غاضبة، شيعها بعينيه حتى خرجت، زفر من فمه دفقة هواء ساخنة، فلم يكن مستعداً لهذا الموقف، أو ما يعكر مزاجه، فعنده ما يكفي، انتابته شكوك، صلصلت في رأسه، وتساقطت على ذهنه كل الاحتمالات السيئة، تناول الملف الملقى على المكتب، استقر به أمام عينيه للحظة، كانت جملة واحدة.. "أنتظر في سيارتي أول شارع القصر العيني" رطمته الجملة كحجر،

تواصل طنين الصلصلة في رأسه كدبيب النمل، طوى الورقة ودسها في جيبه، وخرج.

ترك سيارته، واستقل مترو الأنفاق، نصف ساعة وخرج إلى ميدان التحرير، وصل إلى سيارتها، طرق على زجاجها؛ ففتحت له، ركب إلى جوارها، وانطلقت إلى الطريق الدائري، قالت له:

- لنتفق معاً؟

أنصت فقط في اهتمام، فواصلت:

- معي دليل يبرئ جلال الشناوي، ويكشف الحقيقة، ويردّ إليكم حقكم.

أوماً برأسه، وقال:

- أسمعك.

- معي شريحة "صغنتوتة"، عليها بصمة إلكترونية لأبيك، كانت على

موبايل عصمت في خزينته، وهذه البصمة فتح بها حساب جلال

الشناوي البنكي، حوّل إليه، وسحب منه، ورسم اللعبة كلها.

في هذه اللحظة دقّ قلبه بقوة سبعة ريختر، وهو على وشك كشف عملية

النصب المحكمة على أبيه، والقبض على اللصوص، حاصرها بعينيه ولم ينبس

بحرف، فقد اقتربنا خطوات من حلبة صراع الأموال والسلطة والنفوذ.

سألها:

- والمطلوب؟

- سأصلكم بمكتب محامي دولي، مقابل مبلغ بقيمة قسط يحوّل

لحسابي، وطبعاً سأكون شاهدة ملك.

قال وقد تنفس الصعداء:

- بالتأكيد أنا موافق.

- المهم ليلى هانم توافق.

فجأة انقضت أمامها عربة نقل كطائر أسطوري، وكأنها هي ذاتها العربة!

ضابقت المسافة، ذات المسافة كادت تتلاشى، التفتت عيناه، وصرخ: ساااامح!

وكان الصخرة هوت من ارتفاع شاهق، وطائر الرُخ يترصده، سقط مثل حائط

مانع عليها، أفاق على صوتها، وهي تصرخ في سائق يمر بالسيارة الجامحة إلى

جوارها:

- يا حيوان!

ابتسم الرجل في برود، ثم مضى..

** **

نشوى الشناوي

أفاقت من ألامها العميقة، تأملت صورته عاريًا ذليلاً يوارى سوءته بيديه،
أشاحت عنه في قرف، وقالت لأمها.. يا ماما حسابه عند ربنا.

شهقت المرأة في وقاحة، وقالت:

- وعندي يا روح أمك!

قالت نشوى:

- أنا والدكتور رؤوف تقدمنا بشكوى للنقابة، أوقفته عن العمل، وأحيل

للتحقيق، وأكد سيُسجن بسبب زواجه العرفي من بنت قاصر.

دخل العمدة يسبقه صوته مناديًا:

- زينب.

لوت المرأة شفتمها، وغمغمت:

- نعم!

قال الرجل متحفزًا:

- قلت لي سأحول لك الفلوس، الخمسة مليون، أسأل في البنك يقول لي

ولا جنيه تحول لحسابك.

تمطت المرأة، وقالت:

- غيرت رأيي!

اتسعت عينا الرجل، وقال وهو يتأهب لخوض معركة:

- غيرت رأيك؟! هو كلام عيال يا بنت أبو غنيمة؟!

- هئ هئ!! لا وأنت الصادق، كلام نسوان.

قفز أمامها، وصرخ:

- إمّا الخمسة مليون أخذها، أو أروح فيك السجن.

أشاحت بيديها في قرف، وقالت:

- اتلّهي، أنا خلاص قررت أوزع الفلوس رحمة ونور على روعي، على حياة

عيني.

انقضّ عليها الرجل، واشتبكا في العراك، تبادلّا اللكمات، جذبها الرجل من شعرها في عنف، وهي حاولت خنقه بطرف عباءته، صرخت نشوى، وهي تقف

بينهما:

- حرام عليكم، بابا.. ماما..

عاودت النار العبث بجسدها، وهي تصرخ وقد تراءت لها الأشباح تشتبك في

صراع مرير، حتى سقطا أرضاً، وهما يتبادلان الشتائم الفاحشة.

** **

ليلى أبوزيد

جلسنا حتى انتهى ماجد من كلامه، فدمعت عيني، كان عليّ أن أبكي، أخرج كل دموعي التي حبستها طوال سنتين ونصف، لأسبوعين تعددت اجتماعاتنا مع نانسي، وحسين، وعزت سليم، وتكفل نجيب بإنهاء الاتفاق مع مكتب المحاماة الإنجليزي، وبعد ماراثون طويل، صدر حكم من محكمة الأمور المستعجلة بإيقاف العمل بالتعاقد بيني وبين ممثل جرت رشنس سرحان عبد الشفيق، وفتح التحقيق في عملية النصب والتدليس على ورثة جلال الشناوي، يومها خلوت بنفسي في غرفتنا، وقلت لك:

- حبيبي ظهرت الحقيقة، أن الأوان للقبض على اللصوص، والمرابين، اليوم فقط هدأت نفسي.

تأملت صورتك خيل لي بأن ابتسامتك اتسعت، بل وسمعت صوتاً، خيل لي أنه صوتك:

- ليلى احذري، إنّ مكرهم تزول منه الجبال.

.....

صباح اليوم التالي، تناولنا الإفطار أنا وأولادي، شربت قهوتي، قال ماجد:

- عصمت هرب، بعد خروجه من الحبس بساعة.

ووقفت وقلت لهم عاقدة أمري:

- تعالوا معي لنقابل سرحان عبد الشفيق.

وصلنا إلى بناء تعلق واجهته الزجاجية، جدارية Great Persians Co، يحملها فرس أسود، بعيون حمراء، ينظر نحونا في تحدٍ، تقدمت أولادي إلى المدخل الفسيح، وعلى شاشة ضخمة ظهرت مذيعة، تذيع نبأ عاجلاً عن آخر قرارات الجمعية العمومية غير العادية للمؤسسة المالية، بتجميد أسهم السيد عصمت فايز أبو النور، وتعويض السادة المساهمين عن الخسائر الناجمة عن تجميد الأسهم، في بورصات: القاهرة والإسكندرية ولندن ودبي...

وتتابعت لقطات سريعة، تسجل لحظة القبض على عصمت في مطار هيثرو، واقتياده؛ للتحقيق معه في عدة اتهامات..

خطونا نحو الأسانسير، ونحن ننتظره هرعت نوال رأفت نحونا، قالت لماجد باكية:

- حسين أخي يا ماجد صار له أسبوع مختفياً.

رمقها في اهتمام، وسألها:

- ونانسي؟

- منها لله سافرت.

ربت ماجد على كتفها يواسيها، وفتح الأسانسير صعد بنا، وفور خروجنا سرنا عبر كريدور زجاجي طويل، خرج عزت سليم من مكتبه بوجه حزين، ولحق بنا، وقال:

- حسين رأفت قُتل فجراً، أمام الفندق نفسه الذي اغتال فيه سائحة

إسرائيلية منذ عشرين سنة.

سأله ماجد:

- ونوال هانم عرفت؟

قال عزت أسفًا:

- أنا لن أقدر، تصرّف أنت معها.

تركناه إلى مكتب سرحان عبد الشفيح، دخلنا فوجدناه فارغًا، تطلعت عبر الجدران الزجاجية، نحو قاهرة تمتد عبر الأفق، تظللها سحب بيضاء، وعلى مسافة كان النيل، بعد دقيقة فُتح باب جانبي، ودخل منه رجل، نظر نحونا بعينين باسمتين، وتساءل:

- أي خدمة؟

سألته:

- نريد سرحان عبد الشفيح.

نظم بعض الأظرف والملفات، وحافضة أوراق على المكتب، وقال:

- أنا في الخدمة!

استدرك، وكأنه تذكر:

- أه.. أعرفكم بنفسي.. أنا مستر بنيامين، العضو المنتدب لجرت رشنس.

واتسعت ملامحه بابتسامة جافة، وقال لي جيبنا على كل تساؤلاتنا المهمة.

- أيّ خدمة.

تبادلنا النظرات...

** **

اليوم الاثنين

18 يناير 2021

عوني عبد الصادق

نبذة عن المؤلف

عوني صادق

الدولة: مصر

روائي وسيناريست

الأعمال السابقة:

- الجولة الاخيرة في مربع الظلمة _ نادي ادب قويسنا
- رواية. ثقب أبيض صغير. دلنا للطباعة والنشر
- رواية وكأنه.. قد حدث. دار البشير للثقافة والعلوم
- رواية توأمي ورواية همس السنين عن دار يسطرون للطباعة والنشر
- _ رواية مفسدوفيلس_ دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني